مجلّة

المجمع الجزائري للّغة العربية

مجلة لغوية علمية محكمة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية

العدد الثاني عشر السنة السادسة محرم 1432 - ديسمبر 2010

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

العدد 12 السنة السادسة : محرم 1432 ديسمبر2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية مُحكمة يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

المدير المسؤول

د. عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس التحرير

عثمان شبوب

اللجنة العلمية

د. محمد صاري

د. أحمد حساني — د. التواتي بن التواتي

د. بشير إبرير — د. عبد الجليل مرتاض

عنوان المراسلة : 06 شارع العقيد بوقرة - الأبيار - الجزائر

البريد الالكتروني : aala@wissal.dz

هاتف : 213 021.23.07.90 - الفاكس : 213 021.23.07.81

* المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر
* كل باحث مسؤول عن آرائه

محتويات العدد

1 ـ الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة.

أ.د عبد الرحمن الحاج صالح 9

2 ـ الموشحات الأندلسية: آراء وتعقيبات

د. عبد القادر هني 25

3- الأثر الحضاري والثقافي للغة العربية على لغة الهوسا (نيجيريا أنموذجا)

د.محمد الثاني أبو بكر 63

4 ـ لفظ الانسان ودلالة تعريفه بالألف واللام في القرآن الكريم

أ.د. التواتي بن التواتي 89

5 ـ مفعول «غريب الألفاظ» في الدرس المعجمي

ابن حويلي ميدني 113

6 ـ معجم الشيخ عبد الرحمان الثعالبي

د. محمد عيسى وموسى 147

7ـ البنية التركيبية والعلاقات الإنسانية وأثرها في تشكيل الدلالة

د. خالد بوزياني 165

8 ـ الذخيرة العربية وأهميتها في رفع المستوى الثقافي والعلمي للوطن العربي

أ. عبد الحليم ريوقي 197

الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب(1) والترجمة خاصة*

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
رئيس المجمع الجزائري للغة العربية

إن الكتابة العلمية كموضوع دراسة هو أقرب إلى ميدان التعليم الجامعي منه إلى البحث الأكاديمي. فالطلاب في هذا المستوى هم أحوج الناس إلى معرفة الكتابة التي تعالج بها المسائل العلمية. أما إذا أريد منها اللغة العلمية إفرادًا وتركيبًا أو الخطاب العلمي (Scientific Discours) كما اشتهر ذلك اليوم فهذا ميدان أوسع بكثير من مجرد المعرفة والإتقان للكتابة العلمية. ويبدو أن المقصود هو هذا لأن المشكل المتعلق بكتابة الرموز هو من المشاكل التي تتجاوز معرفة الباحث لعملية الكتابة العلمية. ومع ذلك فإن محورًا مثل :«الكتابة العلمية بأسلوب أدبي»(في قائمة محاور المؤتمر) يدل على أن الجانب التعليمي التكويني هو أيضا مقصود.

فالذي اقترحناه كموضوع وهو«الأخطاء في تأدية المفهوم العلمي بالترجمة خاصة» يخص اللغة العلمية ولا يخرج عن الكتابة العلمية. ثم إن موضوعنا هذا لا يدخل في جملة المحاولات الرامية إلى تصحيح

* ألقي هذا البحث في المؤتمر التاسع لمجمع اللغة العربية بدمشق (28 من نوفمبر -1 ديسمبر 2010)

الأخطاء اللغوية الصرفة فقط بل هو يرمي ،زيادة على ذلك، إلى تصحيح الأخطاء في تأدية المفهوم العلمي بلفظ عربي. فقد كثرت الأخطاء التي تمس اللغة والتي تمس المفهوم على حدّ سواء في اللغة العلمية. واشتهرت إلى حد بعيد ورسخت في الاستعمال بحيث صار الصحيح من هذه العبارات خطأ عند الأساتذة والباحثين وقد لاحظنا ذلك في المستوى الجامعي العالي.

وسنتطرق إلى عدد محدود من هذه العبارات كمثال نمثل به الوضع الحالي. وسوف نحصر أكثره في ميدان اختصاصنا الذي هو العلوم اللسانية وأهم هذه العبارات الخاطئة وأخطرها عندنا هي النسبة إلى صيغة جمع المؤنث السالم: *مؤسساتي و*مؤسساتيًّا وغيرهما. وانطلاقا من هذا صياغة الكثير من أسماء العلوم التي ظهرت في زماننا مثل: الألسنية والمعجمية والمعلوماتية. والنسبة من جهة أخرى إلى «بنية» فقالوا: بنيوي وهو خطأ لغوي بحت مثل الأول. أما الخطأ في تأدية المفهوم فمثل اللفظ الذي شاع في أيامنا للدلالة على مفهوم الـ Positivism وترجم بلفظة الوضعية وهو غلط كما سنبينه فيمايلي.

وقبل أن نخوض في الموضوع سنقول كلمة وجيزة عن اللغة العلمية:إن الفرق الأساسي بين اللغة العلمية وغير العلمية ،كما هو معروف، هو ،في جميع المستويات من التعبير اللغوي، الدقة وعدم الغموض بكيفية مطلقة. وهذا يقتضي ،في مستوى المفردات، ألا يكون فيها اشتراك ولا ترادف أو بالأصح ألا تحتمل الكلمة الواحدة لأكثر من

معنى وألا يكون لها أكثر من كلمة دالة عليه وهذا يقتضي ألا يلجأ المتكلم أو الكاتب إلى أكثر من لفظ واحد للدلالة على المعنى الواحد. ويلزم من هذا أيضا ألا يلجأ إلى المجاز والاستعارة أبدا وخاصة في تعريف المفاهيم. أما في مستوى التراكيب فلا يحتمل إلا الأسلوب الموضوعي ويمنع الذاتي منعا باتا. ونعني بالذاتي صفة الأسلوب الذي تظهر فيه ذات المتكلم أو الكاتب ومن ثم انطباعاته وعواطفه ومواقفه الذاتية إزاء الغير واستعمالات لغوية خاصة يقصد منها التأثير على السامع فالذاتية منبوذة تماما من الخطاب العلمي.

وهذا كله معروف منذ أقدم الأزمنة. أما عند العلماء العرب فقد فرق اللغويون منهم بين ما هو وضع وبين ما هو خطاب أو بين ما اصطلحوا عليه بالوضع والاستعمال. ويعنون بالوضع اللغة كنظام من الأدلة المتواضع عليها وبالاستعمال الاستخدام الفعلي لهذا النظام في خطاب معين وظروف معينة. والأول يتصف بالإبهام أو عدم التعيُّن ومن ثم الصلاحية على التكيف بأي حال خطابية كانت بشرط أن يقترن الكلام بأدلة خارجة عن الخطاب تعيّن ما لم يكن معينًا وهي القرائن على اختلاف أنواعها. ويوجد في الاستعمال المبهم والمعين بحسب مراد المتكلم أو الكاتب ثم الخطاب يكون خبريا وإنشائيا[2]. فالخطاب العلمي أي استعمال اللغة في الموضوع العلمي يقتضي كما سبق أن قلناه: أن تكون الأوضاع اللغوية دالة على معني واحد فقط وتخص ميدانًا معيّنًا من المعرفة. فالموضوع من اللفظ في الخطاب العلمي وفي علم معيّن (وهو مصطلحه أسماء وأفعالا وحروفا[3]) يُوضع وضعا خاصا ولا يحتمل

التغيير مثلما يصير إليه اللفظ بالمجاز ولا يكون في الخطاب العلمي تركيب إنشائي إلا صيغة الاستفهام وصيغة الأمر إلا في العلوم العقلية والتطبيقية التي تستعمل فيها الخوارزميات فصيغة الأمر تدل فيها على التعليمات .

قال الفارابي في كتاب الحروف:«المخاطبة العلمية يقتضي بها علم شئ أو يفاد بها علم شئ ما. وهي بضربَيْن من الأقاويل إما سؤال وإما ابتداء. وجل الألفاظ قد تستعمل دالة على معانيها التي عليها وضعت. وتستعمل على معانٍ أخرى على اتساع ومجازا أو استعارة واستعمالها مجازا واستعارة بعد أن تستعمل دالة على معانيها التي وضعت لها...والخطابة والشعر فإن الألفاظ تستعمل فيهما بالنوعين جميعا وأما الفلسفة[4] والسوفسطائية فلا تستعمل فيها إلا المعاني الأولى التي لأجلها وضعت أولاً» (ص 164).

واشتهر هذا التمييز أيضا عند المتكلمين. قال فخر الدين الرازي في كتابه نهاية الإيجاز:«إذا أردت تشبيه زيد بالأسد في الشجاعة فإن أفدت ذلك بالدلالة الوضعية وقلت:زيد يشبه الأسد في الشجاعة فقد أفدت مقصودك بألفاظ دالة عليه بدلالة وضعية وهذه الإفادة تمتنع من تطرق الزيادة والنقصان إليها لأنك إذا نقصت من هذه الألفاظ شيئا فقد نقصت من المعنى لا محالة وإن زدت فيها فقد زدت في المعنى لا محالة... ولهذا السبب لم يستعمل في العلوم العقلية إلا الدلالات الوضعية لعدم احتمالها للزيادة والنقصان الموقعين في الغلط والشبهة»(ص 9-10).

صحيح أن الدلالة الوضعية هي التي تقابل كل ما هو اتساع ومجاز إلا أن مثل هذه الدلالة لا تخلو من الاشتراك في الدلالة على المعاني خلافا لمن يدعي أن الأصل في الوضع أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى الواحد (كابن السراج[5]).وهو غير صحيح لأن اللفظ الواحد لا يدل على المعنى الواحد إلا في الاستعمال أي في الخطاب المعين أو كمصطلح علمي.

أما الأخطاء اللغوية في الكتابة العلمية الحالية فالتعرف عليها في الاستعمال يجب أن يخضع لعدد من الأصول وأهمها هو التثبت التام من أن هذا الذي نعتبره خطأ هو حقيقة مما لا يجوز في العربية وليس له وجه من الصحة. وهو ما لم يرد في كلام العرب أو لم يكن على قياسه. ومن البيّن أن المعاجم -القديمة والحديثة- لا يمكن أن تغطي كل ما جاء في النصوص التي وصلت إلينا من المعاني. ولهذا يجب التحفظ من الاعتماد عليها هي وحدها[6].ثم إن أخطر الأخطاء بالنسبة لبقاء اللغة على كيانها الذاتي هو ما يصيب نظام اللغة النحوي الصرفي لأن كنه اللغة وجوهرها الذي تتميز به أساسا عن اللغات الأخرى هو هذا النظام بالذات. فقد تتحول معاني الكلم لضرورة التطور العلمي والحضاري بالاتساع والمجاز وبالاشتقاق من الجذور. ولكن يحصل ذلك دائما على قياس ومثال سابق. فإذا تسامح الناطقون بالمس بهذا الكيان وهو النظام النحوي الصرفي وانتشر ذلك وكثر فمآل اللغة الصيرورة إلى لغة أخرى لا محالة.

وقد انخدع بعض الناس بعبارة ظهرت على ألسنة اللغويين الغربيين من القرن التاسع عشر الميلادي وهي «تطور اللغات». وصدرت ممن كان يصّوب منهم تطبيق نظرية داروين على مصير اللغات (تحولها من البسيط إلى المتطور عبر الزمان مثل الكائنات الحية) ومن ثم العبارة المشهورة:«اللغة كائن حيّ» يشبهون اللغات بالكائنات الحية لا في أنها تولد وتنمو ثم تموت بل في أنها تتحول عبر الزمان من البسيط إلى المتطور[7].وهو تصوّر خاطئ وخطير يوهم أن هناك لغات تكون أرقى من غيرها لا فيما تحمله من المعاني بل في تنظيمها النحوي الصرفي. وقد ثبت عند الجميع الآن أن هذا الكلام بعيد جدا عن الصحة وأن المقصود من كلمة «تطور» إذا طبق على اللغات في عصرنا هو مجرد تحول اللغة عبر الزمان. فكل اللغات المنطوقة يوميا وفي الحاجات العادية تتغير مع مرور الزمان حتى تصير لغات أخرى. والمنخدع عندنا بما يدل عليه كلمة التطور ما يزال يعتقد أن هذا التغيُّر الذي يمس صميم اللغة بما أنه «تطور» فهو ارتقاء.

وليس هناك أي ارتقاء بل هو تحول لغة إلى لغة أخرى بتغيير عميق لنظامها النحوي الصرفي زيادة على تحول المعاني الوضعية إلى معان أخرى. وهذا نلاحظه فيما صار إليه في التاريخ من تحول اللاتينية إلى لهجات مختلفة وبعيدة كل البعد عن اللغة الأصلية في البلدان التي سادت فيها بفتح الرومان لها. فالأخطاء عندما تصير هي الصواب وشمل ذلك كل مستوياتها فهذا هو ما يسمى في الغرب بالتطور اللغوي وهو

تسمية خاطئة إلا أنها شاعت واعتمدت. ثم محاولة المحافظة على نظام اللغة للدور الذي تقوم به هذه اللغة هو غير مستحيل إلا في لغة التخاطب اليومي العفوية. ولغة الثقافة هي التي يمكن أن يحافظ عليها وإذا استعملت على نطاق واسع أو شملت كل فئات الأمة فقد تؤثر في العامية وتجلبها إليها.

وأما الأخطاء التي شاعت في زماننا ولاسيما في السنوات الأخيرة فإننا سنتطرق أولا ،كما قلنا، إلى ما ذاع وانتشر من النسبة إلى صيغة جمع المؤنث السالم مثل: مؤسساتي وآلاتي ومجتمعاتي وغير ذلك. فهذا صار اليوم قياسًا يقاس عليه! وإن لم يرد شئ من ذلك أبدا في كلام العرب[8] حتى في حالة الشذوذ عن الاستعمال ولا أجازه بالتالي أحد من النحاة. فللعربية ككل لغة أصول وسماع ولا تنتمي هذه النسبة لا إلى حدّ من حدودها ولا إلى سماع معروف. وهذا خطير جدا. وقد كثرت إلى حدّ أن صارت قابلة للتصرف في مستوى التراكيب فقالوا «مؤسَّساتِيًا» بل القياس عليها. فيصير بذلك جوهر العربية المستعملة أعجميا،كما سبق أن قلنا، لا في الأسلوب بل في صميم البنية اللغوية.

أما أقوال النحاة في النسبة فمعروف فقد قال الرضي الاستراباذي في شرحه للشافية عن النسبة إلى الجمع:«وإنما يُردّ في النسبة إلى الواحد...ليعلم أن لفظ الجمع ليس عَلَمًا لشئ إذ لفظ الجمع المسمى به يُنسب إليه نحو مدائني وكلابي...وإن كان جمع السلامة فقد ذكرنا أن جمع المؤنث بالألف والتاء يُحذف منه الألف والتاء. تقول في رجل

اسمه ضرَبات ضرَبي بفتح العين لأنك لم تردّه إلى واحده بل حذفتَ منه الألف والتاء فقط» (80/2).

وقال السيوطي بهذا الصدد:«قال أبو حيان: بشرط ألا يكون رده إلى الواحد يُغيّر المعنى فإن كان كذلك نسب إلى لفظ الجمع كأعرابي إذ لو قيل فيه عربي ردا إلى المفرد التبس الأعمّ بالأخص لاختصاص الأعراب بالبوادي وعموم العرب. وأجاز قوم أن ينسب إلى الجمع على لفظه مطلقا. وخرج عليه قول الناس: فرائضي وكتبي وقلانسي» (6/2).

فمن البين أن النسبة إلى الجمع بالألف والتاء لا يجيز أحد بقاء الألف والتاء فيه لأنه لم يرد أبدا في كلام العرب. أما استعمال المولّدين الذين جاء في كلامهم: «كتبي وقلانسي» وهو سليم فلم يرد في كلامهم فيما يخص الألف والتاء إلا القليل مثل :ساعاتي وهي مثل مؤسساتي.

أما معلوماتية ففيه أيضا نسبة إلى الجمع ببقاء الألف والتاء إلا أنه يمتاز عن نظائره بزيادة تاء التأنيث على الياء المشددة للدلالة على معنى العلم وهو ترجمة لكلمة:Informatics فأما ما شاع من أسماء العلوم منذ عهد قريب جدا مما زيد فيه هذه اللاحقة فقد سبق أن ذكرنا من ذلك كلمة: معجمية وهي ترجمة لكلمة.Lexicography وليست في الواقع مجرد نقل للمعنى بل هو أيضا نقل للفظ الأجنبي . فإن هذا اللفظ الذي يدل على العلم (باللاحقة -y أو -ics) جاء بصيغة المفرد فلم يرتح المعرّب أن يأتي مقابله بصيغة الجمع في العربية فقالوا:معجمية بالإفراد كما قالوا: أسلوبية (Stylistics) فحذا حذوهم من قال معلوماتية وهو

خطأ. وكلهم كانوا في الأول من اللغويين فانضم إليهم المهندسون في لبنان وسورية فقالوا: معلوماتية وامتازوا عنهم بزيادة الياء على جمع المؤنث السالم.

أما ما جاء من ذلك في العربية (زيادة -يّة) فهو إما «مصدر صناعي»(تسمية للنحاة المتأخرين) مثل القابلية والمسؤولية والحُرية والفعّالية وغير ذلك. وكل واحد منها اسم للصفة فالحرية اسم لصفة الحرّ وهكذا. وإما أن يكون فيه معنى المذهب أو أصحاب مذهب أو فرقة من الفرق كالحنفية والجاحظية وغيرهما. ولم تأت ، في علمنا، هذه اللاحقة للدلالة على العلم والصناعة.

والذي جرى عليه الناس ،منذ زمان، غير هذا. فقد يلجأ الباحثون العرب منذ القديم في الفلسفة والعلوم إلى استعمال زيادة ياء النسبة مع صيغة الجمع بالألف والتاء للدلالة على الصناعات والعلوم ومن أقدم هذه الألفاظ هي لفظة الرياضيات والطبيعيات أو على إضافة كلمة «علم» إلى ميدان علمي «علم الفلك» و«علم الحساب» و«علم المثلثات» وغيرها. وعلى هذا استعملت الكثير من الأوساط العلمية الآن[9] هذه المصطلحات.

علم الأصوات = الصوتيات
علم اللسان = اللسانيات[10]
علم المعاجم = المعجميات
علم الأسلوب = الأسلوبيات
علم الطبيعة = الطبيعيات
*علم الرياضة[11]= الرياضيات
علم الحاسوب = الحاسوبيات
*علم علاج المعلومات = المعلوميات الخ

القياس فيها: علم ← يّات
(فلا يقال: علم الصوتيات
أو علم اللسانيات لأنه حشو)

أما علم الأصوات اللغوية فقد تحفظوا من ترجمته بعلم الصوت لأنه جزء من الفيزياء يتطرق إلى ظواهر الصوت عامة.

وعلم اللسان هو عبارة قديمة جدا استعملها الفارابي للدلالة عل ما يسمى اليوم Linguistics وقد دخلت في الاستعمال لفظة اللسانيات منذ زمان.

وفرقوا بين علم المعاجم وصناعة المعاجم للتمييز بين العلم والصناعة . (Lexicology/Lexicography)

وفيما يخص علم الحاسوب فهو أفضل من غيره لأننا نستطيع أن نشتق منه فعل زحوسبس واسم مفعول: محوسب ويمكن أن ينسب إليه فنقول: اللسانيات الحاسوبية وكل هذا متعذر بالنسبة لكلمة «معلوماتية أو معلوميات أو علم الكومبيوتر».

وكل هذا استعمال سليم لا يمس أصول اللغة أبدا وهو قياسي مسموع. فلماذا نترك هذا الذي لا يمس العربية إلى ما ليس كذلك ونعرّض العربية بذلك إلى أعظم خطر وهو التلاشي شيئا فشيئا لكيانها الأساسي وهو الجانب الهيكلي لها حتى تصير لغة أخرى.

هذا وقد ترجموا كلمة Linguistics بعلم اللغة في القرن الماضي وسبق أن بينا أن علماءنا القدامى استعملوا هذه العبارة بالذات للدلالة على ما يقابل «علم النحو وعلم الصرف وعلم البلاغة وعلم العروض من علوم العربية » أو علوم اللسان وعلم اللغة يتطرق إلى «الموضوعات اللغوية» أي ما يخص المفردات وما بمنزلتها كالعبارات الجامدة وعمل «اللغويين» (بهذا المعنى) هو الجمع للغة وتدوينها وإثبات اللغات الإقليمية منها وعزوها إلى الناطقين بها وغير ذلك. فاللغة في مقابل النحو والبلاغة هي المعطيات اللغوية.

وعلى هذا فالأفضل أن نلجأ إلى عبارة «علم اللسان» وقد استعملت قديمًا ومرادفها اللسانيات.

وهناك استعمال آخر من هذا القبيل إذ يخص النسبة أيضا. فقد شاعت في أيامنا نسبة خاطئة إلى كلمة بنية. فقد ترجم الناس لفظة: Structuralism بكلمة * بِنْيَويّة. وهو خطأ لأن هذه الواو هي الياء في الأصل فقلبت واوًا كما في قرية لا نقول في النسبة إليها *قَرْيَوِي *ولا في طُهَيّة *طُهْيَوِى ولا في تربية *تربيَوي. والقياس هو بنيي كما صرح بذلك كل النحاة وخاصة سيبويه. قال:« من الناس من يقول في رَمية رميِي وفي

ظبية ظبيِي... أما يونس فكان يقول في ظبية ظَبَوي... فقال الخليل (وهو يوافقه):« كأنهم شبهوها ،حيث دخلت الهاء، بفَعِلةً» (74/2).ولم يذكر أحد من النحاة أنه سمع ظَبْيَوِي ولا *رَمْيَوي.

ومن أخطر من هذا هو عدم إدراك المترجم للمصطلح الأجنبي للمفهوم الذي يدل عليه وكما فهمه الواضع له. ومثال ذلك ما شاع أيضا منذ أكثر من 50 عاما من ترجمة مفهوم الـ Positivism بلفظة وضعية وهو تسمية لمذهب فلسفي أهم مؤسّسيه هو أوجست كونت الفرنسي (A.Comte) من القرن الماضي وهو يحثّ على التمسك في البحث عن المعرفة بالمشاهَد المحسوس وترك كل ما ليس بثابت من الأحداث إلا بطريق نظري بحت أو ميتافيزيقي بشئ كثير من الغلوّ.

وللصفة Positive مدلولان اثنان مختلفان في اللغة العلمية لم يراع المترجم إلا أحدهما وأخطأ في اختياره (إذا فرضنا اطلاعه على كل واحد منهما) فالأول هو صفة لكل ماهو موضوع بوضع واضع كجميع المؤسسات الاجتماعية مثل القوانين المدنية (Law established) في مقابل: الطبيعي غير الموضوع كالقوانين الطبيعية.فهذا في العربية هو الوضعي الذي يقابله عند الفلاسفة العرب الطبيعي. ولا علاقة بين هذا وبين المذهب المذكور إطلاقا.

والمدلول الثاني لكلمة Positive هو صفة البحث الذي يعتمد على مشاهدة الأحداث والتجربة وإثبات القوانين وهو يبتعد عن كل ما يخرج عن ذلك كالبحث عن علل الأحداث. فهذا ما يدعو إليه المذهب

المسمى بـ Positivism ولا يمكن أن يسمى بالوضعية بل أقرب لفظ إليه هو ما يدل على الإيجابي الذي يرادفه الثابت المحسوس.

وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى لفظة Features الذي يستعمل في الصوتيات. وهو الصفة التي يتصف بها الفونيم (الوحدة الصوتية) وهي الحرف(المنطوق)عند اللغويين العرب.فإذا أضافوا صفة relevant [12] فيكون معناها الصفة المميزة للحرف عن كل الحروف الأخرى. فكلمة Features يترجمها بعض من ليس له اختصاص بالتراث العلمي العربي- بالملامح مع إجماع علمائنا القدامى على التسمية السابقة الذكر. أي الصفة المميزة أو الذاتية. فللكلمة الانكليزية معنيان منها الصفة عامة وهو الـ Charateristic ومنها معنى ملامح الوجه خاصة (وكل ما يتصف به الشخص في جسمه). فاختار المترجم معنى الملامح مع أن المقصود هو معنى الصفة عامة ولا أدري لماذا. فكأنه يعتقد أن لهذا المدلول الخاص سرًّا لابد من المحافظة عليه!

كما ترجموا أيضا في هذا الميدان كلمة Vocal Cords بالحبال الصوتية وهو خطأ لأن الذي وضع العبارة الأعجمية وهو طبيب فرنسي في القرن السابع عشر الميلادي قد صرح بأنه شبه العضلتين الصغيرتين اللتين تحدث الصوت الحنجري بأوتار الكمنجة (وأي معزف آخر له أوتار). فالذي نقله إلى العربية المترجم وهو المدلول الآخر لكلمة Corde وهو الحبل ولا يتصور أن تكون في الحنجرة حبال وأن ترن! [13]

وفي هذا الميدان أيضا ترجموا كلمةً épiglotti بلسان المزمار وهو خطأ لأن هذه العبارة استعملها المترجمون القدامى والأطباء العرب للدلالة على ما يسمى بالـ épiglottis وهو الفراغ الموجود بين الوترين. أما الطبق الذي ينطبق عليه (بغلق الممر إلى الحنجرة)وهو الـ épiglottis فهو الغلصمة عند اللغويين وعند الأطباء العرب.

وقد وقع في هذا الميدان مساس بالنظام النحوي الصرفي العربي. فقد تجرأ بعضهم باقتراحه لكلمة هجينة وهي لفظة «صَوْتَم» لترجمة كلمة Phoneme وتم تركيبها باقتباس اللاحقة الأوروبية -eme وإقحامها في الكلمة العربية صوت. وقد سبقه بعض المختصين في الكيمياء فاقترحوا مثل هذا التهجين. وهو تجرؤ خطير جدا لأن المعروف عن جميع اللغات هو اقتباسها للكلمة الأجنبية ككل ثم تكييفها بحسب ما يقتضيه نظامها الصوتي. أما اقتباس اللواحق هي وحدها فغريب يكاد لا يعرف.

والله ولي التوفيق

الهوامش:

(1) نعني بالتعريب ههنا الوضع المقابل العربي للمصطلح الأجنبي أيا كانت الطريقة.

(2) الإنشائي مثل التعجب والنداء والمدح والذم وأنواع الطلب وأفعال إنشائية كثيرة مثل«أعدك» و«أقسم» وغيرهما.

(3) ولحروف المعاني وضع علمي أيضا مثل الواو و أو وغيرهما.

(4) وتدخل فيها العلوم عند القدامى كما هو معروف.

(5) انظر رسالة في الاشتقاق له (ط دمشق 197, ص21).

(6) ولا بد من أن يتم الجمع الثاني لكل ما وصل إلينا من النصوص بالعربية من أقدم العصور إلى يومنا هذا (وأن يستمر ذلك لما سيصدر في المستقبل). وقد شرع في القيام بهذا في مشروع الذخيرة العربية.

(7) ولا شك أن هذا حصل في زمان غابر بتطور الجنس البشري إلا أنه شمل ذلك كل اللغات ووصل إلى ما هو عليه الآدميون الآن. وهذا لا يمنع أن تكون بعضها اليوم وقبل اليوم أثرى من غيرها في المصطلحات العلمية والفنية لأسباب التأخر العلمي والتقني في زمان معين.

(8) ولا قبل اليوم.

(9) ما لم يرد إلا قليلا وضعنا له نجمة.

(10) ووردت بهذا المعنى لأول مرة في تسمية مجلة اللسانيات (الصادرة بالجزائر العدد الأول 1971).

(11) أو العلم الرياضي أو العلوم الرياضية (الكندي، رسائل الكندي،

.(120و110/1

(12) بالفرنسية: Pertinent

(13) وقد يدل الحبل على معنى الكبل!

الموشحات الأندلسية:
آراء و تعقيبات

د. عبد القادر هنّي
جامعة الجزائر2 – بوزريعة
قسم اللغة العربية.

إذا كان شعراؤنا القدامى قد استطاعوا أن يحققوا بعض التجديد في موضوعات القصيدة التقليدية و في لغتها و معانيها و صورها في الأعصر العباسية خاصة ، فإن الجانب الذي أخفقوا فيه إخفاقا كبيرا هو تفجير البنية الإيقاعية لهذه القصيدة ، إذ ظلت المحاولات في هذا الجانب محتشمة ضعيفة الأثر و غير مثمرة ، فالجهود التي بذلها أبو العتاهية للعدول عن عروض الخليل بقيت في الأعم الأغلب محاولات فردية لم تجد من يتبناها و يفرضها على الساحة الأدبية لتتحول إلى اتجاه عام يرتضيه الجميع و يدافعون عنه . كما أن اللجوء إلى المسمطات لم يقدم نتائج ذات خطر على مستوى موسيقى القصيدة ، إذ أن ما قام به أصحاب هذا اللون من النظم لم يتعد تنويع القافية داخل المسمطة مزدوجة كانت أم مثلثة أم مربعة ، أم مخمسة...إلخ حسب قواعد معينة.

ويجمع الدارسون أو يكادون على أن التجديد الحقيقي في الشعر العربي من هذه الناحية إنما حدث مع ميلاد الموشح.

إن سياق الحديث الذي نحن فيه يفرض علينا أن نبدأ بتعريف الموشح حتى يتجلى الفرق بينه و بين القصيدة التقليدية.فإذا رحنا نتصفح بعض ما وصلنا من تعاريف في هذا المساق ،فإنناالتقليدي،سناء الملك مثلا يقول في تعريفه إنه : «كلام منظوم على وزن مخصوص » [1].

إن هذا التعريف يلفت النظر منذ البدء إلى تميز الموشح بوزن يختلف عن الأوزان التي تبنى عليها القصيدة ، غير أننا إذا تأملنا ما ساقه ابن سناء نفسه من كلام على أنواع الموشحات وجدناه يصنفها على النحو التالي :

1- ما جاء منها على وزن أشعار العرب ، و هذا النوع يعده « من النسخ المرذول المخذول و هو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات و لا يفعله إلا الضعاف من الشعراء و من أراد أن يتشبه بما لا يعرف و يتشيع بما لا يملك» [2].

2- صنف يخالف الصنف الأول تمام المخالفة في عدم انضباطه بوزن من الأوزان المعروفة في الشعر العربي ، و قد عبر عنه ابن سناء الملك بقوله: « هو ما لا مـدخل لشيء في شيء منه من أوزان العرب ، و هذا القسم منها هو الكثير و الجم الغفير و العدد الذي لا ينضبط» [3].

واضح من هذا التقسيم الذي قدمه ابن سناء الملك للموشحات وموقفه من كل قسم أنه يجعل الخروج على أوزان القصيدة المألوفة ميزة

أساسية لهذا الفن الجديد ، لذلك أخرج من جنس الموشح مل حاكى فيه أصحابه الأوزان المعروفة و إن اشتمل على ما يشتمل عليه الموشح من أقسام ، في حين نوّه بما تمرد على العروض الخليلي . و إلحاحا منه على هذا الفارق الجوهري بين الموشحات و الشعر التقليدي ، نراه يلاحظ في الصنف الثاني الجدير وحده -كما يرى- باسم الموشح قسما «لأبياته وزن يدركه السمع و يعرفه الذوق كما تعرف أوزان الأشعار و لا يحتاج إلى وزنهـا بميزان العروض و هو أكثرها .و قسما آخر مضطرب الوزن مهلهل النسج مفكك النظم لا يحس الذوق صحته من سقمه و لا دخوله من خروجه كالموشح الذي أوله:

أنت اقتراحي لا قـرب الله النواحي
من شـاء أن يقـول فإني أسمع
خضعت في هواك و ما كنت لأخضع
حسـبي على رضاك شفـيع لي مشفع
نشـوان صاح بين ارتياع و ارتيـاح.

فها أنت ترى نبو الذوق عن وزن هذا الكلام و ما له عند الطبع الضعيف نظام و لا يفعله إلا العالمون من أهل هذا الفن و الملائكة المقربون من أهل هذه الصناعة ومثل هذا لا يقدم عليه إلا من كان مثل الأعمى.[4].

يتبين من هذه التقسيمات التي يؤكد فيها صاحب دار الطراز تميز الموشح بنظم مخصوص لا يشبه نظم القصيدة الموروثة و لا ما حاول أن

يخرج عنها خروجا جزئيا في موسيقاها كما حدث في المزدوجات والمثلثات و المربعات و المخمسات التي أسلك فيها الموشحات الجارية على أوزان العرب، وعدها صنفا مرذولا ؛ لأن علاقتها بالموشح علاقة شكلية جزئية ليس إلا.قلت يتبين أن التعريف الذي قدمه ابن سبنا الملك يتوافق مع ما ساقه من توضيحات أثناء حديثه عن أصناف الموشحات من ثم فإننا لا نرى معنى لتعقيب الدكتور مصطفى عوض عبد الكريم على التعريف السابق حين قال: « و هذا تعريف لا غناء فيه، فكثير من الموشحات لا تختلف في وزنها عن القصائد التقليدية و ليس لها وزن خاص بها »[5].؛ لأن ابن سناء الملك لم يدخل في الموشحات ما جرى من هذا النظم على أوزان العرب بل عده أشبه بالمخمسات المعروفة في الشعر العربي.

و التعريف الثاني الذي نقدمه في هذا المضمار هو لصاحب خلاصة الأثر و فيه يقول يتكلم على الموشح: « و هو في إعرابه كالشعر لكنه يخالفه بكثرة أوزانه و تارة يوافق أوزان الشعر و تارة يخالفها » [6].

واضح من كلام المحبي أنه يدخل في جنس الموشح الصنف الأول والصنف الثاني اللذين ميز بينهما صاحب دار الطراز . و إذا قابلنا هذا التعريف الذي تخلى فيه صاحبه عن المعيار الذي وضعه ابن سناء الملك للتمييز بين القصيدة و بين الموشح ، فإن الفارق بينهما يغدو فارقا شكليا فقط.فلا يعسر علينا حينئذ رد ما وافق من الموشحات أوزان الشعر العربي إلى ألوان من الشعر عرفت قبل الموشح هي المسمطات و في هذه

الحالة يصبح الحديث عن ابتكار الأندلسيين الموشحات حديثا عديم الجدوى .

و غير بعيد أن يكون إلحاق ما جاء من النظم على الأوزان الخليلية بالموشح و تركيز الاهتمام في النظر إلى الموشحات على شكلها الخارجي دون مراعاة نظمها المخصوص ، هو الذي حدا بالدكتور إبراهيم أنيس إلى القول : «و ليست الموشحات قبل تلحينها إلا نوعا من الشعر المسمط» [7].

إن كلاما من هذا القبيل ينقصه كثير من التريث و التثبت، لأنه لو كان الأمر كذلك حقا لما وجد ابن سناء الملك – و هو مشرقي – داعيا إلى الاعتراف بالفضل للمغرب على المشرق بهذا الخصوص ، فقد قال في ذكره الموشحات : إنها «مما ترك الأول للآخر و سبق به المتأخر المتقدم وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق ...صار المغرب بها مشرقا لشروقها بأفقه » [8].

و لما وجد ابن دحية (ت 633 هـ) أيضا ما يحمله على أن يقول بملء فيه مفاخرا: «...الموشحات و هي زبدة الشعر و خلاصة جوهرة وصفوته ، و هي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق و ظهروا فيها كالشمس الطالعة و الضياء المشرق » [9]. و لما سجل ابن خاتمة في كتابه « مزية المرية» ولا ابن غالب في تعداده فضائل أهل الأندلس أن طريقة نظم الموشحات من مبتكرات الأندلسيين و مبتدعاتهم، فلا يعقل أن يتباهى هؤلاء و يفاخروا بشيء لا فضل لأهل بلادهم فيه ، فلو كان

الأمر مجرد زعم وادعاء لقالوا مثل ذلك في فنون أدبية أخرى تعاطوها ورسخت لهم فيها القدم.

يبدو لي أن الفارق الذي ألمعنا إليه في النظام العروضي بين الموشحة والقصيدة بالإضافة إلى فروق أخرى تتعلق بتوزع أقسامها و بالعلاقات القائمة بين هذه الأقسام و بالجزئيات التي يتألف منها كل قسم ، هو ما حمل الأبشيهي على أن يعد الموشح فنا قائما برأسه يتميز عن القصيدة وعن ألوان أخرى من النظم ، فقد قال في هذا الموضوع : « و الفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض و الموشح و الدوبيت والزجل و المواليا و الكان كان و القوما ، و منهم من جعل الحماق من السبعة و في ذلك اختلاف.

و عند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدًا لا يغتفر اللحن فيها و هي الشعر القريض و الموشح و الدوبيت ، منها ثلاثة ملحونة أبدا و هي الزجل و الكان كان و القوما ، و منها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الإعراب و اللحن و هو المواليا ، و قيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة و بعضها ملحونة ،فإن هذا من أفج العيوب التي لا تجوز ، و إنما يكون المعرب منه نوعا بمفرده و يكون الملحون منه ملحونا لا يدخله الإعراب» [10].

و ابن بسام و هو أقدم من تحدث من الأندلسيين عن الموشحات – في تقديرنا – حديثا مقتضبا يشير إلى ضعف الصلة بين أوزان الموشح والعروض الخليلي ، الأمر الذي حمله على تنزيه مُصَنّفه.

منها جريا مع الموقف الرسمي المتمسك بالنمط الشعري التقليدي، فقد قال « و أوزان هذه الموشحات خارجه عن غرض هذا الديوان ، إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب »[11].

إن خروج جل النماذج التي نفترض أن تكون قد وقعت بين أيدي ابن بسام أو سمعها عن النموذج الشعري التقليدي من حيث أعاريضها، هو ما جعله يصرف نظره عنها ، مع أنه كان من دواعي تأليفه ذخيرته البحث عن ملامح الشخصية الأدبية الأندلسية ، لكن لما كان هذا الفن الجديد ما يزال يبحث له عن موطئ قدم في الأندلس في تلك الأثناء . إذ لم يصبح بعد فنا معترفا به رسميا و قتئذ -فإنه لم يفسح له مجالا في مصنفه للعلة التي ذكرها ، فلو كان هذا النمط من الشعر جاريا على أوزان الشعر العربي و كان الاختلاف بينه و بين القصيد مقصورا على الشكل الخارجي و على التقسيمات الداخلية لأشطاره ، لما لقي من المعزوف ما لقيه في أول عهد الناس به و لما وجد المصنفون مبررا للإعراض عنه و عن تفصيل الحديث فيه و تزيين مصنفاتهم به كعدول ابن بسام عن إثبات نماذج منه في ذخيرته كما هو بين من كلامه المتقدم وكما صنع الفتح بن خاقان الذي أضرب عن ذكر الموشحات و إدارة الحديث حولها في مصنفية «قلائد العقيان» و «مطمح الأنفس» إذ لم يثبت نماذج منها حتى في أثناء ترجمته لشعراء خاضوا في هذا الفن واشتهروا به ، و لم يكن هذا التصرف منه لجهله بالموشحات أو لندرة نصوصها التي كانت تتداول شفاها في الغالب؛ إنما صنع ذلك إزدراء لها

و تقليلا من قيمتها التي لم تكن تداني في عرفه قيمة الشعر التقليدي الذي خصه بمكان واسع في كتابيه ، و قد ندت منه عبارة في المطمح تكشف صراحة عن موقفه من الموشح و تفسير سبب تحقيره و استهانته به فقد قال في معرض ترجمته لأبي القاسم المنيشي: «..و نكب عن المقطع الجزل إلى الغرض الفسل ، و ليس من شرط كتابي هذا إثبات لذاعه و لا أقف حذاءه ، و قد أثبتت له ما هو عندي نافق و لغرضي موافق» [12] وبناء على ذلك اكتفى الفتح من إنتاج أبي القاسم المنيشي بشعره الذي جرى فيه على طريقة القصيدة التقليدية التي كانت سوقها ناقفة عنده و عند كثيرين غيره أما موشحاته فهي عنده من الفن المرذول الذي يجب أن يضرب عنه صفحا.

و إذا كان النص لا يحدد تحديدا دقيقا ما يستهجنه الفتح في هذا الفن الجديد، فإن واقع الموشحات يومئذ يرجح أن يكون ما نبا عنه ذوقه هو خروجها على نظام الوزن المعروف و تنويعها في قوافيها ، و ربما أيضا ما فيها من تفريعات في شكلها الخارجي ،يرجح ذلك أن الموشحات من حيث مضامينها و الموضوعات التي عالجتها لم تأت بجديد سواء حين كانت مرتبطة بالغزل و الطبيعة و مجالس اللهو و المجون في أول عهد الناس بها أم حين اتسعت دائرة موضوعاتها لتشمل بقية الأغراض المعروفة في الشعر التقليدي ، فأصبحت شأنها شأن القصيدة تخوض في المدح و الرثاء و الهجاء و الزهد و حتى في التصوف كما هي الحال في موشحات محيي الدين بن العربي ، فقد قال ابن سناء الملك :

«الموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل و المدح والرثاء و المجون و الزهد ». [13]

و قد اتسع الموشح لمثل هذه الأغراض المعروفة في الشعر العربي منذ القرن الخامس على أقل تقدير مع شعراء وَ شّاحين كانوا يترددون على بلاطات ملوك الطوائف يمدحونهم في موشحاتهم مثلما يمدحونهم في قصائدهم صنيع ابن اللبانة (ت 507هـ) الذي كان متصلا بالمعتصم ابن صمادح صاحب المرية ثم تحول عنه إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية و مثل أبي بكر محمد بن أرفع رأسه أحد شعراء المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة و قد أثبت له ابن خلدون في المقدمة مطلع موشح في المدح و هو.

العود قد ترنم بأبدع تلحين

و سقت المذنب رياض البساتين

معنى هذا أن ما يأخده ابن خاقان على الوشاحين من خروج على القصيدة لا يتصل بموضوعاتها ما دام معاصروه و من تقدمه من أصحاب هذه الصناعة قد خاضوا فيما خاض فيه أصحاب القصيد.

و قد يتبادر إلى الذهن من خلال دلالات بعض الألفاظ في نص الفتح بن خاقان أن موقفه من الموشحات كان موقفا أخلاقيا، و هذا الاحتمال في الحقيقة غير وارد لعدة أسباب منها أن الموشحات لم تكن كلها تدور حول الموضوعات اللاهية الماجنة، ثم إن الشعر التقليدي نفسه لم يتسام على هذا اللون من الموضوعات في المشرق و في الأندلس على

حد سواء ، لهذا فإن اعتذار المقَّري على ما أورده من موشحات و أزجال في أزهار الرياض لا معنى له في اعتقادنا ، لأنه يوحي بأن الموقف من هذا الفن كان موقفا أخلاقيا لخوضه في موضوعات خارجة عن الآداب العامة .فقد قال المقري بهذا الصدد : «كأن بمنتقد ليس له خبرة يسدد سهام الاعتراض و يتولى كبره » و يقول « مالنا و إذخال الهزل في معرض الجد الصراح ؟ و ما الذي أحوجنا إلى ذكر هذا المنحى و الأليق طرحه كل الاطراح؟ فنقول في جوابه على الإنصاف : لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف و ليس مرادهم إيثار الهزل على غيره .و إنما ذلك ترويح القلب و هو أعون على خيره و للسلف في مثل ذلك حكايات يطول جلبها و لا يقدح ذلك في سكينتهم و لا يتوهم لسببه سلبها ... و ليس قصدنا نحن بهذا علم الله غرضا فاسدا ننفق منه في سوق الهزل كاسدا ، إنما غرضنا صحيح و زندنا غير شحيح ، على أن المقصود الأعظم مدح النبي صلى الله عليه و سلم بهذه الأوزان و كل ما سيق وسيلة إلى ذلك مما راق أو زان ، و اعلم أيها الناظر أذهب الله عن ساحتك الأشجان أن كثيرًا من الأئمة مدحوا بذلك المبعوث رحمة إلى الإنـــس و الجان صلى الله عليه و سلم و على اله و أصحاب » [14].

إن هذا الاعتذار الذي آثرنا إثباته على طوله قد يوحي للقارئ بأن الهزل و طرق الموضوعات غير اللائقة و المعاني التي تخدش الحياء كانت السمة المميزة للموشحات ،وأن طرحها من المصنفات الأدبية كان سبب ذلك، و هذا الاعتقاد باطل في الحقيقة ، نقول ذلك على الرغم من أن

النماذج الأولى من هذا الفن قد طواها الزمن و عفت عليها الأيام بسبب عزوف المصنفين عن تدوينه ،فكلام ابن بسام التالي يشير بوضوح إلى الفوارق الرئيسية بين الشعر المألوف و هذا المولود الجديد ، تلك الفورق التي كانت من أسباب زهد المؤلفين فيه فقد قال يتحدث عن مبتدعه الأول :« و كان يصنعها - أي الموشحات- على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة يأخذ اللفظ العامي والعجمي و يسميه المركز و يضع عليه الموشحة دون تضمين فيها و لا أغضان » [15]. فإذا اتفقنا مع الدكتور عبد العزيز الأهواني في أن المراد (بالمركز) في نص ابن بسام هو (القفل) عند ابن سناء الملك ، اتضحت لنا الجوانب التي بدأت الموشحة تخرج فيها عن القصيد ، فقد جنحت نحو أعاريض غير مألوفة في الشعر القريض، و بدأت تبحث لها عن شكل يخالف الشكل المعهود في القصيدة العربية ، يؤكد ذلك أن ابن بسام يُلْمِعُ في تتمة النص إلى تطورات أخرى لحقت بناءها مع يوسف بن هارون الرمادي (ت 403 هـ) ثم عبادة بن ماء السماء الذي بلغت الموشحة معه ذروة نموها من هذه الناحية ، فقد قال ابن بسام بعد كلامه السابق يشير إلى هذا التطور :« ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة .فاستمر على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضفير ، و ذلك لأنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المراكز » [16].

و قد نوه ابن بسام مرة أخرى بالجهد الذي قدمه عباده في سبيل استكمال الموشحة شكلها النهائي الذي يميزها من القصيدة فقال :« و كانت صنعة التوشيح التي نهـج أهل الأندلس طريقتها و وضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود و لا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا منادها وقوم ميلها و سنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه و لا أخذت إلا عنه و اشتهر بها اشتهار غلب على ذاته و ذهب بكثير من حسناته.س [17] و بذلك أصبح عباة بن ماء السماء قدوة لمن تعاطى هذه الصناعة ، فقد قال ابن بسام يتحدث عن عبادة القزاز: « و قد ذكرت فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء من برع هذه الأوزان من الشعراء و هذا الرجل ابن القزاز ممن نسج على منوال ذلك الطراز» [18].

أما ما نراه بعد ذلك من خوض الموشحات في موضوعات ماجنة ، فذلك مجال قد سبقها إليه الشعر التقليدي نفسه ، لذلك يستبعد أن يكون مرد الميل عن تدوينها في المصنفات الأدبية ضمن ما يروى للشعراء المترجم لهم إلى السبب الذي يستشف من كلام المقري ،لا سيما أن الموقف الرسمي منها ظل قائما حتى بعد أن اتسعت دائرتها لتطرق الموضوعات المعروفة في الشعر التقليدي كما ذكرنا ؛ فإلى القرن السادس الذي عرف فيه هذا الفن عصره الذهبي مع أمثال الأعمى التطيلي (ت 520 هـ) و ابـن زهر الحفـيد (ت 595 هـ) ، فإننا لا نزال نرى مؤرخي الأدب و أصحاب التراجم يشيحون بوجوههم عن الموشحات و ينزهون مصنفاتهم عنها ؛ فبالإضافة إلى من ذكرناهم قبلاً كابن بسام و الفتح بن

خاقان ، نجد عبد الواحد المراكشي في كتابه (المعجب) يجري على عادة المصنفين الذين تقدموه في الإمساك عن إيراد الموشحات،فقد قال معتذرا عن إثبات نماذج من موشحات شيخه أبي بكر بن زهر : « و لو لا أن العادة لم تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لأوردت له بعض ما بقي على خاطري من ذلك» [19].

و لابد من التذكير أن القول باستمرار الإعراض عن إيراد الموشحات في المؤلفات الأدبية إلى القرن السادس لا يعني ألبتة أن هذا الموقف اتخذه جميع المصنفين ،ففي هذا القرن نفسه نرى ابن سعيد الخير البلنسي (ت525 هـ) يفرد كتابا لتوشيح الأندلسيين و قد وسمه (نزهة النفس و روضة التأنس في توشيح أهل الأندلس) وضمنه عشرين وشاحا على طريقتهم في الإجادة و الإحسان ، كما أن ابن دحية و هو من رجال القرن السادس و العقد الثالث من القرن السابع لم ير حرجا في التنويه بهذا الفن و إثبات نموذجين منه في كتابه (المطرب) و لم يجد ما يدعو إلى التماس الاعتذار صنيع المقري لتبرير مسلكه ، بل عد الموشحات ضمن فضائل الأندلسيين ، فقد قال في أثناء كلامه على شيخه ابن زهر : «و الذي انفرد به شيخنا و انقادت لتخيلته طباعُهُ وأصارت النبهاء خوله و أتباعه : الموشحات و هي زبدة الشعر و خلاصة جوهره وصفوته و هي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق و ظهروا فيها كالشمس الطالعة و الضياء المشرق »[20].

فلو كان السبب في إخراج الموشحات من دائرة اهتمام المصنفين هو خروج معاني نمادجها عن حدود الحشمة و الوقار لكانت بعض النماذج الغزلية و الهجائية في الشعر التقليدي أولى بالاطراح، ثم إن الخروج عن حدود الأخلاق و الآداب العامة لم يكن طابعا مميزا لهذا الفن كما ألمعنا إلى ذلك قبلا ؛ لذلك نؤكد أن السبب الأول - و ربما الوحيد - في موقف المؤلفين الذي بيناه هو ما تميزت به عن القصيد من حيث شكلها الخارجي و بنيتها الإقـاعية و استخدامها اللفظ العامي و العجمي في الخرجة، ولا يقلل من قيمة هذا الرأي في تقديرنا وجود موشحات جارية على الأعاريض المستعملة و التي عدها ابن سناء الملك بالمخمسات أشبه منها بالموشحات؛ فالموقف كان مبنيا على التغليب من ناحية ثم إن التنويع في التقفية و اعتماد الشكل الخارجي الشبيه بشكل الموشح كان مما حمل الؤلفين - ربما -- على الإعراض عنها هي الأخرى.

أعتقد بعد الذي تقدم أنه قد تجلى أن الموشح كما قال ابن سناء الملك هو لون من النظم يتميز من الشعر القريض بأوزانه الخارجة عن الأوزان المألوفة - على النحو الذي وضحناه - و بالتنويع في قوافية وفق نظام معين، و باستخدامه اللفظ العامي و العجمي في الخرجة غالبا ، حتى ذهب صاحب دار الطراز في استخلاصه قواعد الموشح إلى عد هذه الظاهرة جوهرية فيه فقال يتحدث عن الخرجة :س و الشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف قزمانية من قبل اللحن ... فإن كانت معربة الألفاظ على منوال ما تقدمها خرج الموشح أن يكون موشحا « [21].

غير أن واقع الموشحات يبين خروجها عن هذه القاعدة التي اشترطها ابن سناء الملك ، لذلك استثنى هو نفسه من هذا القيد ما جاء في المدح و اشتملت الخرجة فيه اسم الممدوح كقوله ابن بقي :

إنما يحيى سليل الكرام واحد الدينا معنى الأنـام

أو ما كانت ألفاظ الخرجة فيه غزلة جدًا هزازة سحارة خلابة بينها وبين الصبابة قرابة ، و هذا معجز معوز و ما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة كقول ابن بقي:

ليل طويل و لا معين يا قلب بعض الناس أما تلين

أو ما كانت الخرجة ذاتها مستعارة من خرجة مشهورة لموشح آخر أو كانت شعرًا مضمنا كما فعل ابن بقي في بيت ابن المعتز و هو:

علموني كيف أسلو و إلاَّ فأحجبو عن مقلتي الملاحا [22]

على أي حال إن أعجمية لفظ الخرجة أو عاميته مما لاحظه الأندلسيون قبل ابن سناء الملك كما هو بين من قول ابن بسام يتحدث عن المخـــترع الأول للموشح :« كان يأيخذ اللفظ العامي و العجمي و يسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها و لا أغصان » [23] ثم كانت الخطوتان التاليتان من تطور شكله الفني – كما ذكرنا في غير هذا الموطن – مع يوسف بن هارون الرمادي الذي أكثر من التضمين في المراكيز بتجزئته الأقفال إلى أجزاء صغيرة ، و مع عبادة بن ماء السماء الذي أضاف إلى عمل الرمادي تجزئة أشطار الأغصان ، على أساس أن الموشح يتألف في مجمله من وحدتين يطلق على الأولى منهما اسم القفل و على

ثانيتهما اسم الغصن ، و تتوالى هاتان الوحدتان .في أثنائه عددا من المرات .مع الملاحظة أن الوحدة الأولى إذا جاءت على وزن وقافية ما ، فإن الوحـدات الأخرى التي من نوعها في الموشح نفسه، يشترط فيها الالتزام بذلك ، بينما يشترط في الوحدة الثانية التطابق في الوزن والتمايز في القوافي مع الوحدات التي من نوعها في الموشح الواحد، و هذا نموذج نوضح به أمر هاتين الوحدتين ، قال عبادة بن ماء السماء [24]:

من ولي × في أمة ولم يعدل × يعزل × إلاّ ألحاظ الرشا الأكحل

هذا القفل هو النوع الأول من الوحدات، و لما كان الموشح قد افتتح بت، فإنه يطـلق عليه اسم (المطلع) أو (المذهب) و يلي هذا القفل (مطلع الموشح)، الغصن أو الوحدة الثانية و هو في هذا الموشح

حرت في × حكمك في قتلي يا مسرف

فانصف × فواجب أن ينصف المنصف

و ارأف × فإن الشـــوق لا يرأف

و بعد هذا الغصن (أو الوحدو الثانية) يعود الوشاح إلى وحدة من النوع الأول (أي القفل) فيقول :

علل × قلبي ذاك البارد السلسل ×ينجلي×ما بفؤادي جوى مشعل.

ثم ينعطف مرة أخرى إلى وحدة من الصنف الثاني (أي الغصن) دون الالتزام بالقافية نفسها فيقول

إنـــما × تبرز كي توقد الفتن

صنـما × مصورا في كل شيء حسن

إن رمي × لم يُخطِ من دون القلوب الجنن.

و هكذا حتـــى آخر وحدة في الموشح و التي تكون دائما من النوع الأول و تسمى في هذه الحالة (الخرجة) و هي في النموذج الذي بين أيدينا:

ياعلي × سلطت جفنيك على مقلتي × فابق لي×قلبي وجد بالفضل ياموئلي.

من هذا النموذج يتبين لنا كيف استوى للموشح – مع عبادة بن ماء السماء – شكله الفني الذي كان بسيطا عند مبدعه الأول ، و من ذلك نزداد يقينا بأن تعريف الموشح يستند إلى العناصر الجديدة في شكله أكثر مما يستند إلى شيء آخر ، فصلته بالغناء و إن كنّا لا ننكرها جملة ، فإنها لا تدخل في حدّه في تقديرنا ،خلافا لما ذهب إليه عدد من الدارسين المحدثين ؛ ذلك لأن الشعر الجاري على أوزان الشعر التقليدي و قوافيه كان هو الآخر مادة للغناء .فأنت إذا تأملت النماذج الشعرية التي كانت تُغَنىً في الفترة التي ظهر فيها الموشح و قبلهـــا ؛ وجدتها كلها أشعار القدماء و المحدثين ؛و قد استمر لهذا الصنف من الشعر مكانه في مجالس الغناء في الأندلس بعد ذلك ، و إن دخلت الموشحة هي الأخرى هذه الحلبة أيضا ، و أضحت بخصائصها الموسيقية الجديدة أكثر مناسبة لها – ربما – من القصيدة ذات البناء الإيقاعي التقليدي .و تدلنا أيضا الأخبار التي وصلتنا عن بعض أقطابها في الفترات التالية لعهد النشأة أنها – أي الموشحة – لم تكن تنظم للغناء فقط فهذه الخبار تفيد أنهم

وسعوا دائرتها إلى موضوعات ليست ذات علاقة حميمة بالغناء كالهجاء الذي بلغ عند بعض الوشاحين درجة كبيرة من البذاءة و الإقذاع ، كما أن هناك أخبارا أخرى تبين بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت تلقى أحيانا دون تلحين ؛ فقد ذكر المقرى في أزهار الرياض « أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس بإشبيلية و كان كل واحد منهم قد صنع موشحه و تأنق فيها ،فتقدم الأعمى التطيلي للإنشاد ، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

ضاحك عن الجمان سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان وجواه صدري

خرق ابن بقي موشحته واتبعه الباقون» [25].

إن هذين الخبرين يدلان على أن الموشح لم يكن متصلا بالتلحين فقط، إنما كان يلقى أيضا مثلما كانت تلقى القصيدة خارج مجالس الغناء و الـطرب ، و هذا بطبيعة الحال لا يتعارض البتة مع قولنا :

إن الموشحات كانت مادة مناسبة للغناء ، سواء في عهد نشأتها الأول الذي لم تنته إلينا نماذج من موشحاته ، أم بعد ذلك ؛ فقد جاء في أزهار الرياض أن ابن باجة الفيلسوف الذي كان إلى ذلك وشاحا مشهورا ، حضر مجلس « ابن تفلويت صاحب سرقسطة فألقى على بعض قيناته موشحته التي أولها :

جرَّر الذيل أيّما جرَّ

فطرب الممدوح لذلك و ختمها بقوله:

عقد الله راية النصر لأمير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح : و اطرباه وشق ثيابه، و قال : ما أحسن ما بدأت و ما ختمت و حلف بالأيمان المغلظة ألاّ يشمي ابن باحة إلى داره إلا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهبا في نعله و مشى عليه » [26].

سوى إن دخول الموشحة حلبة الغناء التي ولجتها القصيدة قبلها لا يكفي للقول : إن الغناء خاصية جوهرية فيها ، و إن كنا نعتقد أن الموشحات لا سيما بعد نمو شكلها الفني كانت دوما مهيأة من الناحية الإقاعية لأن تغنى ؛ لأن الوشاح أحيانا كان يعد موشحته و هو يعلم أنه من المستبعد أن يؤهلها مضمونها إلى أن تصبح مادة للغناء ، كما هي الحال بالنسبة إلى موشحات ابن حزمون الهجائية التي أسفّ في معانيها إسفافا كبيرا ، ثم إن وشاحين آخرين كانوا يؤلفون ما يؤلفونه من موشحات لغرض التكسب بالدرجة الأولى مثال ذلك ابن بقي الذي: «وقف بالبلاد على كل بابس و ابن القزاز و ابن اللبانة و غير هؤلاء من الوشاحين.

هذه الأدلة تقوي في رأينا ما ذهبنا إليه من أن صفة الغناء و التلحين خارجة عن حدّ الموشح ما دام هناك من لم يكن يقصد أن يقدمه إلى المغنين مثلما أن كثيرا من شعراء القصيدة لم يكونوا يؤلفون أشعارهم خصيصا للغناء ، و لكن ذلك لم يمنع من تلحينها أحيانا و دفعها إلى المغنين.

و المسألة التي تبرز لنا بعد الذي كنا فيه هي: لماذا اخترع الموشح أساسا وما هي العوامل التي تضافرت فساعدت على ابتكار هذا الفن؟

إذا كان القدماء و أغلب المحدثين مجمعين على أن الفضل في ابتداع الموشح يعود إلى أهل الأندلس ، فاعترف لهم المشارقة أنفسهم فضلا عن المغاربة بهذا السبق ، فإن المحدثين يكادون يتفقون أيضا على أن الموشح إنما اخترع لأجل الغناء ، لذلك رأينا في السطور السابقة من جعل اتصاله بت جزءا في تعريفه و خاصية من خصائصه.

و الحق أنه لو كانت الحاجة إلى الغناء هي الداعي الأول و الوحيد إلى ابتكار الموشح لرأينا ظل القصيدة التقليدية ينحسر انحسارا واضحا في مجالس الطرب لتفسح المجال لهذا المولود الجديد ، لكن تتبع تاريخ الغناء و المغنين بالأندلس في القرن الثالث للهجرة ، و حتى في القرن الرابع ، لا يؤكد هذه الحقيقة ، فقد ظلت القصيدة حتى بعد ظهور الموشح تتبوّأ مكان الصدارة في هذه الحلبة التي استمرت تتغذى من النماذج الشعرية الأندلسية و المشرقية حتى بعد وفاة زرياب الذي كان له شأن كبير في تطوير حركة الغناء بالأندلس ، فابن عذاري المراكشي يذكر أن الحاجب عبد الملك المظفر – في أواخر القرن الرابع – كان يـأمر الشـعراء بإنشاء مقطوعات في وصف الأزهار و الرياض لتشدو بها جواريه ، و في هذا المجال أثبت – أي ابن عذاري – في بيانه طائفة من المقطوعات التي غنتها جواري المظفر .

و ذكر التجيبي أنه كان في عام (406 هـ) مريضا بمدينة مالقة و وصف حاله فقال : ز و كنت إذا جنّ الليل اشتد سهري و خفقت حولي أوتار العيدان و المعازف من كل ناحية ز و يضيف أنه أعجب بغناء جارية كانت تغني أبياتا منها:

ما بال أنجم هـذا الليل حائرة

أضلت القصد أم ليست على فلك

عادت سواريه وقفا لا حراك لها

كأنهـــا جثت صرعى بمعترك

فلما سأل عنها عرف أنها جارية بغدادية من جواري المنصور بن أبي عامر صارت إلى أحـد الوزراء [27].

إن ما يعنينا من هذا الخبر ليس أمر الجارية، إنما طبيعة الأبيات التي غنتها و التي هي من الشعر التقليدي كما هو بين .

و في أثناء وصف ابن حزم مجالس الغناء في كتابه طوق الحمامة ، يقدم لنا نماذج من الشعر الذي كان يغنى بت و لا يخفي شدة تأثره بما كان يسمعه ، و يذكر في رسائله أيضا أن زحفنيس العامرية إحدى كرائم عبد الملك المظفر بن أبي عامر طلبت منه أن يصنع لها أبياتا تلحنها ففعل.

هذه الشواهد هي غيض من فيض مما يمكن أن يستدل بت على أن القصيدة استمرت لها سيطرتها على مجالس الغناء إلى نهاية القرن الرابع الهجري على أقل تقدير ، و إن منزلتها في هذا المضمار لم تتأثر بابتكار الموشح ، بل إننا لا نلقـــى في المصادر الأندليسة المطبوعة إشارة إلى

موشحة قد لحنت و غني بها إلى هذا الوقت (نهاية القرن الرابع) .و إشارة ابن بسام إلى أن الموشحات كانت زتشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب ز و التي توحي بالصلة بين الموشح و الغناء لا تفيد ضرورة أن هذا الفن قد اخترع خصيصا لهذا الغرض ، لا سيما أن ما قد يستشف من هذا النص من شدة الأثر الذي تحدثه الموشحات في المتلقين لا يعود حتماً إلى مرافقة الموسيقى لها ؛ لأن الشعر التقليدي نفسه كان يترك أحيانا آثاراً شبيهة بما يشير إليه ابن بسام في الممدوحين من خلال الإلقاء فحسب ، لذلك قد يكون مرجع التأثير الذي أومأ إليه صاحب الذخيرة إلى الموشحة ذاتها بما يوفره لها صانعها من عناصر الإثارة في شكلها و في مضمونها أيضا ، بعبارة أخرى إن هذه الاستجابة يمكن أن تتحقق للموشحة الناجحة حتى قبل أن تلحن ، يدلنا على ذلك ما رأيناه من قبل من إعجاب جماعة من الوشاحين منهم ابن بقي بموشح للأعمى التطيلي، حتى حملهم ذلك على تخريق موشحاتهم ، لما تميزيت بت موشحة الأعمى كما يقول الدكتور إحسان عباس : من عذوبة سائغة وسياق حلو و استرسال و عبارات مستقلة في ذاتها و خرجة لطيفة رقيقة [28].

و حتى طرب ابن تيفلويت لموشحة ابن باجة – كما أسلفنا – لا يعود فحسب إلى ما صاحبها من لحن « فربما زاد التلحين في طربه و لكنه بين أنه شديد الابتهاج بحسن الفاتحة و الختام لقوله لابن باجة: ما أحسن ما بدأت و ما ختمت ، فهو ينظر إلى الموشحة من حيث تأثيرها في نطاق معين » [29].

و من ناحية أخرى إن كلمة (سماعها) الواردة في عبارة ابن بسام قد تدل فحسب على الطابع الشفوي للموشحات في مرحلة من مراحل تاريخها، فقد ثبت أنها كانت لفترة طويلة تتناقل سماعا لا عن طريق التدوين للأسباب التي ذكرناها فيما تقدم.

فلا يعقل أن تكون الموشحة قد وجدت من أجل الغناء و أن تكون قد حازت شهرة واسعة في هذا الميدان و يظل الوسط الفني غير معترف بها مدة تزيد على قرن من الزمان اعتبارا من تاريخ نشأتها فلا يذكرها حتى على سبيل الإشـــارة ضمن ما ذكـــر مما كان يغنى فيه من أبيات ومقطعات و قصائد؛ لذلك يغلب على ظني أن الموشحة ظهرت إلى الوجود لأن عوامل ظهورها قد تضافرت و أن ملاءمتها للغناء لم تتحقق تحققا كاملا إلا بعد ابتكارها بمدة ، أي بعد أن استكمل شكلها الفني خصائصه .فاكسبت هويتها المميزة ، و هنا نفهم لماذا قال ابن خلدون في أثناء كلامه علي مبتكرها الأول :س و كان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذ عنه ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد و لم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر و كسدت موشحاتها» [30].

إن هذا الكساد يعود بطبيعة الحال إلى أنها لم تستطع أن تفرض نفسها على القصيدة في الساحة الأدبية ، من ثم لم تحظ بقبول الموقف الرسمي في الفترات الأولى من نشأتها ، ثم إنها لم تحقق النجاح حتى في الوسط الفني قبل نضجها فنيا مع عبادة بن ماء السماء خاصة ، فهل من قبيل

الإتفاق أن تكون أول موشحتين وصلتا إلينا هما موشحتان لعبادة ؟ و إن كان عبـادة القزاز نازعه في إحداهما ؛ إذ نسب إليه الصفدي واحد من الإثنين على الأقل فتناقلوه مشافهة في وقت كان فيه طريق الموشحات إلى بطون المصنفات ما يزال مسدودا.

و الحق، إن الشهرة التي حازها عبادة بن ماء السماء في مضمار التوشيح كانت قمينة بأن تحفظ لنا أكثر من موشحتين مما الفه؛ لذلك أفترض أن عليا بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعيد البلنسي صاحب (نزهة الأنفس و روضة التأنس في توشيح أهل الأندلس) قد أورد له بعضًا من أعماله لأنه في الوقت الذي كان يصنف فيه هذا الكتاب كانت شهرة ابن ماء السماء ذائعة في الأندلس كما يقول ابن بسام المعاصر لابن سعيد الخير ، و سبق لنا عرض كلام ابن بسام في موطن سابق ، و نعرضه مرة أخـرى في هذا السـياق لأهميته فيما نحن فيه ، قال صاحب الذخيرة :« و كانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها و وضعوا حقيقتها غير مرموقة البرود و لا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا - يعني عـبادة بن ماء السماء - منادها و قوم ميلها و سنادها فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه و لا أخذت إلا عنه و اشتهر بها اشتهارا أغلب على ذاته و ذهب بكثير من حسناته» [31].

و إذا صح هذا الافتراض فإن علاقته ستكون حميمة باستكمال الموشحة خصائصها الفنية التي تميزها من القصيدة ، و هذه الخصائص الـتي لم تـتحـقق للموشحة إلا بعد مرحلة النضج الفني هي التي

ستمنحها موقعا لم تعرفه من قبل في مجالس الطرب ، و حينئذ فقط تقوى على مزاحمة القصيدة في هذه الحلبة ، بالنظر إلى العناصر الإيقاعية المستحدثة التي أصبحت أكثر ملاءمة للغناء .و لابد أن أذكر في هذا المقام بأن الحاجة إلى الخروج من رتابة إيقاع القصيدة التقليدية في الغناء ظهرت منذ القرن الرابع هجري عند يوسف بن هارون الرمادي الذي أومأنا إلى إسهامه في تطوير البنية الإيقاعية للموشحة، و ربما هذا الشعور هو الذي هداه إلى الإضافة التي قدمها في إطار تطوير البنية الإيقاعية للموشح و الوصول بت إلى ذروة نموه التي قلنا – اعتمادا على كلام ابن بسام – إنها تحققت على يدي عبادة بن ماء السماء .و قد عبر الرمادي عن إحساسه برتابة النغم المستمر على إيقاع واحد فيما كان يغنى بت من شعر فقال في وصف الطائر المعروف بأم الحسن [32].

تبـدل ألحانا إذا قيل بـــدلي كما بدلت ضربا أكف الضوراب
تغــني علينا في عروضين شعرها و لكـن شعرا في قواف غرائب
إذا ابتدأت تنشدك رجزا و لن تقل لــها بدلي تنشدك في المتقارب
و ليــس لها نية الطراء بصوتها و لكن تغني كل صاح و شارب

أغلب الظن أن الرمادي يشير في البيت الثاني و الثالث إلى أهمية تنويع أوزان القصيدة و قوافيها في التخلص من رتابة الإيقاع للحصول على نغم أحسن وقعا و أكثر عــذوبة حين يُلحن الشعر و يُغَنَّى ، لكننا لا ندري إلى أي مدى وجدت رغبة الرمادي هذه – التي يبدو أن هناك من كان يقاسمه الرأي فيها – صداها لدى المغنين الذين كان جلهم من

الطراة (أي من المهاجرين) ، لأننا نُحِسُّ أن الرمادي يعبر عن ضيقه من المغنين الطراة الذين كان نفوذهم قويا في البيئة الفنية بالأندلس؛ بسبب مبالغتهم في تشبتهم بطرائقهم في الغناء و إعراضهم عن الاستجابة لما يرغب فيه الناس من تنويع في الأنغام .فقد قال مرة أخرى ينعت الطائر الذي وصفه في أبياته المتقدمة [33].

مسمعة مـن غير أوتار إلا ارتجالا فـوق أشجار

يقترح الناس عليها و ما يقترح الناس على الطاري

تبدل إن قيل لها بـدلي طائعة من غير إصـغار

و أظن ظَـنًّا أن يكون هذا الموقف المعارض لأي تنويع في الإيقاع قد عطل بعض التعطيل الموشحات عن السيطرة على مجالس الغناء ،و هذا الموقف نفسه يشجع في تقديرنا على مراجعة الآراء التي ذهبت إلى أن الموشحة ابتدعت أصلا لتُغنَّى .و قد حاول بعض القائلين بهذه الفكرة أن يؤكدوا صحة دعواهم بالتنبيه إلى طبيعة الموضوعات التي اتجه إليها الوشاحون في أول عهدهم بهذا الفن ، و هي : الغزل و وصف مجالس اللهو و الطبيعة ، سوى إن هذه الحجة لا تكفي للاستدلال على حقيقة العلاقة بين ابتكار الموشح و متطلبات الغناء في الأندلس يومئذ؛ ذلك لأن مثل هذه الموضوعات عالجها شعراء القصيد أنفسهم دون أن يكون الدافع إلى تناولها الغناء تخصيصا ، ثم إن الموضوع عند المبدعين الحقيقيين له علاقة بالتجربة ، أي بحوافز داخلية ، و إن كان هذا لا يلغي بطبيعة الحال أهمية العوامل الخارجية في توجيه إحساس المبدع نحو

ظواهر معينة ، يضاف إلى هذا مسألة ارتباط لون من الشعر بمجالات محددة في مرحلة من مراحل تطوره ظاهرة ليست جديدة في الشعر العربي.

فالرجز على سبيل المثال كان في فترة من الفترات يتناول أغراضا معينة ذات صلة بحياة الناس اليومية حتى عد غرضا شعبيا تمييزا له من القصيد الذي يعالج موضوعات زأسمى و أرقيس ، قال د/عبد الحفيظ السطلي : «و إذا ما عندنا إلى الأخبار المتصلة بالرجز الجاهلي و جدناه فعلا شديد الاتصال بحياة الأعراب و ما يعرض لهم من أحوال أو أسفار أو مهاجاة أو قتال أحياناً و لم يكن من طبيعة الرجز في الجاهلية أن يطول إلى أبيات متعددة ،إنما نجده غالبا في ثنايا الأخبار التي تتحدث عن وقائع القوم و أيامهم ... و لا يقف موضوع هذا الرجز عند الحرب و إنما يتعدى ذلك إلى حياة العراب نفسها و لا سيما في ترقيص طفل أو طفلة ، أو ترديد أبيات أثناء عمل شاق و خاصة إذا كانت تشترك فيه جماعة ... فالموضوعات في رجز الجاهلية عامة لا تكاد تخرج عن هذا النطاق المحدود في التعبير عن بعض أحوال النفس من تعب و حماس أو ماأشبه ذلك ، فهي تعبر عن دفقة شعورية خاصة في أبيات قليلة لا تتجاوز الثلاثة في أغلب الأحيان ، و لم تكن الأرجوزة لتعبر عن أمور متشعبة أو تطول لتعبر عن جوانب معقدة لموضوع واحد كالذي نجده في بعض القصائد أو المقطعات الشعرية لذاك العصر »[34].

ثم قيض للرجز مبدعون مشاهير أتوا من الموهبة و القدرة الفنية ما مكنهم من أن يرتقوا بت عن تلك الصورة لينافس القصيدة في شكلها وفي مضامينها و يخوض في مجالات كانت من قبل خاصة بالقصيد ، قال ابن قتيبة في ترجمة الأغلب العجلي :سو كان الأغلب جاهليا إسلاميا وقتل بنهاوند ، و هو أول من شبه الرجز بالقصيد و أطاله و كان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر » [35].و مع العجاج أصبحت الأرجوزة صنو القصيدة في الشكل والموضوع ، فذكر « الديار واستوقف الركاب عليها و وصف ما فيها و بكى على الشباب و وصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد ، فكان في الرجاز كامرئ القيس في الشعراء»[36].

معنى هذا أن اتصال الموشح في الطور الأول من نشأته بموضوعات معينة ليس قرينة دالة على العلاقة الحميمة بين ابتكاره و متطلبات الغناء، و ما نتصوره هو أن الموشحة مرحلة طبيعية من مراحل تطور الشعر العربي من حيث بنيته الإيقاعية ، و هناك جملة من القرائن تشجع على تبني هذا الافتراض ، منها أن الصورة الأولى لهذا الفن لم تختلف عن صورة القصيد اختلافا جذريا ؛ إذ كان الموشح في الطور الأول من نشأته كما رأينا فيما مر معنا : « أشطاراً كالقصيدة إلا أنه من مهمل الأعاريض و يفترق عن الشعر في أن له قفلا ختاميا يسمى المركز و يكون عاميا أو عجميا » .ثم إن الموشح لا يمثل المحاولة الأولى في تاريخ الشعر العربي لإحداث تنويع في إيقاع القصيدة و إثراء موسيقاها ،فقد كانت لشعراء

المشرق محاولات أسبق في هذا المضمار فنظموا الشعر المسمط الذي قال عنه ابن رشيق في العمدة :« ...و اشتقاقه من السمط و هو : أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما ثم تنظم كل سلك منها على حدته باللؤلؤ يسيرا ، ثم تجمع السلوك كلها في زبرجدة أو شبهها أو نحو ذلك ثم تنظم أيضا كل سلك على حدته و تصنع بت كما صنعت أولا إلى أن يتم السمط ...»[37].

هذا النوع من الشعر سواء كان مزدوجا أم مربعا أم خمسًا، فإن القصيدة منه تأتي على وزن واحد و إن اختلفت قوافيها.و يفهم من كلام ابن رشيق أن هذه المحاولة لكسر رتابة الإيقاع لم تلق القبول فَنُظِرَ إليها نظرة فيها شيء من الازدراء و التحقير ، فقد قال : « و قد رابت جماعة يركبون المخمسات و المسمطات و يكثرون منها ، و لم أر متقدما ما حاذقا صنع شيئا منها ، لأنها دالة على عجز الشاعر و قلة قوافيه و ضيق عطنه ، ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي نسبت إليه و ما أصحِحُها له و بشار بن برد قد كان يصنع المخمسات و المزدوجات عبثا و استهانة بالشعر ، وبشر بن المعتمر ، فقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح و قصيدة في سيرة المعتضد ركب فيها هذه الطريقة» [38]. و هذه عينة من الشعر نقتطفها من مخمسة لتميم بن المعز و فيها يقول :

دم العاشق مطـلول و دين الحب ممطول
و سيف اللحظ مملـول و مبدي الحب مغدو

و يرجح الدكتور مصطفى عوض الكريم [40] أن يكون التسميط تطويرا عباسيا للتسهيم الذي كان معروفا في الشعر الجاهلي كقول امرئ القيس:

أفاد فساد وقاد فزاد وساد فجاد وعاد فأفضل

و قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

حمّال ألوية هباط أودية سهاد أندية للجيش جرار

نحار راغية ملجأ طاغية فكاك عانية للعظم جبار

غير أن التسميط بأنواعه كما ذكرنا لا يختلف عن القصيد إلا من حيث التقفية التي يتحرر فيه الشاعر من قيد إعادة النغمة الواحدة في نهاية كل بيت طوال القصيدة كلها ؛ لذلك رأينا ابن سناء الملك يقول : إن الموشحات التي لا يختلف عروضها عن العروض المألوف في الشعر إلى المخمسات أقرب منها إلى الموشح.

لكن المهم في الأمر أن تكون هناك جهود سابقة لإدخال شيء من التجديد على إيقاع الشعر العربي، مهما كانت قيمة و نتائج هذه الجهود.

أما القرينة الثالثة فتتمثل في الإعراض عن مباركة ميلاد هذا الفن الذي تجلت فيه جرأة كبيرة على أهم عنصرين في القصيدة الموروثة.و هما الوزن و القافية ، و مهما يقال من أن خروج الموشحات الأولى عن التقاليد الإيقاعية للقصيدة كان خروجا محدودا ، فإن هذا العدول عما نهج الأقدمون سبيله أوحى من غير شك ببوادر ثورة عميقة على رتابة النغم في الشعر التقليدي ؛ فركوب الأعاريض المهملة غير المستعملة غير بعيد

أن يكون قد فهم على أنه خطوة أولى للتحرر من إسار الوزن الخليلي تحرا كليا ، نقول هذا بصرف النظر عن تحقق هذه الخطوة أو عدم تحققها تحققا كاملا ، من ثم فإن الموقف من الموشح كان يماثل الموقف من أية حركة تجديدية في الفن أو في غير الفن، بعبارة أخرى إن أنصار الشعر التقليدي في الأندلس نظروا - في اعتقادنا- إلى هذا الفن الجديد على أنه خرق«لتقاليد الشعر القديم و أنه جاء ليكون بديلا عن القصيدة التي ألفوها و انطبعت عليها أذواقهم ، من ثم كان رد الفعل تجاهه شبيها بما حدث في المشرق حين حاول المحدثون أن يجددوا في الشعر بتنكُّبِ النهج الذي كان يترسمه الأوائل ؛ لذلك كان الاتجاه العام هو العزوف عن تدوين الموشحات -كما رأينا- فظلت لوقت طويل تتناقل شفاها ليس إلا .

و أظن أن هذا المسلك الذي سلكه الموقف الرسمي كان من العوامل التي حافظت للقصيدة ذات البناء التقليدي على منزلتها فبقيت مثلما كانت من قبل معيارا للمفاصلة بين الشعراء ، يؤيد ذلك أنك تجد أصحاب التراجم حين يُنَوِّهُون بشاعرٍ رَاوَحَ بين القصيد و الموشح ، فإنهم يشيرون إلى شعره فحسب ، دون ما أبدعه من موشحات ، فالحميدي في ترجمته ليوسف بن هارون الرمادي يقول :« هو قرطبي كثير الشعر سريع القول شهر عند الخاصة و العامة هنالك ، لسلوكه في فنون المنظوم والمنثور مسالك شتى ، كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة، و ختم بكندة يعنون امرأ القيس و المتنبي و يوسف بن هارون

الرمادي »[41]، دون أن يذكر ما له من موشحات أو يجعل جهده في تطوير شكلها من بين فضائلة، و الفتح بن خاقان نفسه و قد توفي بعد الرمادي بما يقرب من قرن من الزمان لم ينوه أيضا إلا بفحولته في الشعر صارفا النظر عما ألفه من موشحات. و الحق إن صاحب المطمح سلك مثل هذا المسلك أيضا حتى مع شعراء شهد لهم بالتقدم و البروز في فن التوشيح، ففي حين رأينا ابن بسام يعترف لعبادة بن ماء السماء بجهده في الارتقاء بالشكل الفني للموشح، نرى الفتح في المطمح لا يشير إلى منزلته في الشعر القريض بمثل قوله:س...من فحول الشعراء و أئمتهم الكبراء كان منتجعا بشعرهس و قد فعل مثل ذلك مع الأعمى التطيلي و ابن بقي وغيرهما ، لذلك لم يرضه خوض أبي القاسم المنيشي في الموشحات كما رأينا في ما تقدم ، فنعت هذه الصناعة التي عدل إليها المنيشي ب (الغرض الفسل)، على سبيل التحقير و الازدراء.

و القرينة الأخرى التي تؤيد الفكرة التي قلنا بها أنك تجد التفاعيل المنفردة في الموشح لا تشذ عن التفاعيل المعروفة في الشعر العربي ، فهي تفاعيل عربية و إيقاعها عربي ، و لا يتمثل خروجها عن الأعاريض المستعملة غالبا إلا في الكيفية التي ترتب بها في المطالع و الأقفال والخرجات و في أشطر الأبيات ، فقد تأخذ في هذه المواطن تشكيلات مخالفة للتشكيلات التي تأخدها في الوزن الخليلي ؛ لذلك يقوم حازم القرطاجني في أضعاف حديثة عن وزن الخفيف مشيرا إلى تجديد الوشاحين الأندلسيين في موسيقى الشعر : « و قد وضع بعض الشعراء

الأندلسيين على هذا البناء وزنا إلا انه جعل الجزئين المزدوجين خمسايين فراراً من الثقل بتشافع السباعيين في النهاية ، فكان التشافع في ذلك الوضع أخف في الخماسي و ذلك قوله:

أقصر عن لومي اللاَئم لما درى أنني هائم

تقدير شطره : «مستفعلن مستفعلن فاعلن»[42]

و قد أشار الدكتور مصطفى عوض الكريم إلى الحيل التي كان يخرج بها الوشاحون موشاحاتهم عن مشابهة أوزان الشعر التقليدي إذا حدث هذا الشبه ، و ذلك بأن يقحموا كلمة يخرج بها الوزن عما هو مألوف أو بالتزام حرف على حركة معينة ضمة كانت أم فتحة أم كسرة لإخراج الوزن عن المألوف أو بتنويع الأوزان في الموشحة الواحدة أو باختلاف عدد تفعيلات البحر الواحد بين قسم و آخر من أقسام المطلع أو القفل أو الخرجة و في فقر القسم الواحد من البيت.

لكن تصرفات الوشاحين في هذه التفاعيل قد تبعد الموشح في بعض الحالات إبعاداً شديدا عن الوزن التقليدي حتى يعسر العثور على وزن معين له ؛ لذلك يقول ابن سناء الملك في الصنف الثاني من الموشحات حسب تقسيمه لها : « هو ما لا مدخل لشيء منه في شييءٍ من أوزان العربس فهذا الصنف في تقديره لا عروض له » إلا التلحين و لا ضرب إلا الضرب و لا أوتاد إلا الملاوي و لا أسباب إلا الأوتار فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور و السالم من المزحوف»[43].

ما نريد أن نصل إليه من خلال هذا الكلام هو أن التجديد الذي حققته الموشحات من الناحية الموسيقية له أصوله في أوزان الشعر التقليدي ؛ بمعنى إن هذا التجديد تولد من رحم القديم و ليس شيئا غريبا عنه كل الغرابة ،و هذا لا ينفي بطبيعة الحال تأثير العناصر الأجنبية في الاهتداء إلى هذا التجديد ، فالعوامل التي ساعدت على تحقيق هذا التطور هي مزيج من عناصر عربية و أجنبية ، و ليس من الموضوعية في شيء أن نبالغ في تقدير تأثير عنصر واحد من العناصر ، فنعزي ميلاد الموشحات إلى المؤثرات الأجنبية وحدها دون سواها ، فالأمر الذي لا ريب فيه أن ثقافة الأجناس الأجنبية التي ساكنها المسلمون في الأندلس بكل أشكالها من شعر شعبي و غناء و لهجات محلية تفاعلت مع ما كان بأيدي الناس من تراث أدبي عربي فأنتجت الموشح .و لا نستبعد في هذا السياق أن تكون المحاولات التي قام بها المشارقة لتنويع موسيقي القصيدة قد أثرت بعض التأثير في هذا المجال ، و في الوقت ذاته لا ينفي هذا الافتراض أن يكون الشعر الغنائي الأعجمي الذي ذهب كثير من الدراسين إلى أنه كان موجـودا بالأندلس و أن أسماع الأندلسيين كانت تمتلئ بموسيقاه و ألحانه قد أثر تأثيرا قويا في نشأة الموشحات ، فقد تنبه زإيمليو غرسية غومش إلى وجود نفس الخرجة في موشحة عربية و في أخرى عبرية لشاعرين مختلفين فبنى على ذلك افتراضا لا نملك الآن ما يفنده و مؤدى هذا الافتراض أن تكون « هذه الخرجات عبارة عن أغان قصيرة باللهجة الرومانسية التي كانت معروفة من قبل أي قبل تضمينها

في الموشحات العربية و العبرية و أنه على هذه الأغاني بنيت الموشحة»[44].

سوى إن التأثر بهذه الأغاني و الاهتداء بها في ابتكار الموشح لا ينبغي أن يذهب بنا إلى القول : إن الموشح من أصل أعجمي ، ففي ذلك تجاهل لكل محاولات التجديد التي سبقت ظهور الموشحات في الشعر العربي ، و حتى القول بأن الطريقة التي كتبت بها الموشحة – و كذلك الأزجال – دليل على أصلها الغربي بدعوى أن هذه الطريقة «غربية تغاير ما جرت عليه القصيدة العربية من الأبيات ذات البحر الواحد والقافية الواحدة » [45]، هذا القول مبالغ فيه ؛ لأنه يضرب صفحا عن الطريقة التي كانت تنظم بها المسمطات بأنواعها ، فالأقرب إلى الحق – في رأينا – أن نقول إن التراث الأعجمي ، بما فيه الأغاني التي أشار إليها غرسية غومث – قد فتح أمام الأندلسيين الطريق لتفجير البنية الإيقاعية في الشعر التقليدي و الذهاب في تجديدها إلى أبعد مما توقف عنده أصحاب المسمطات من المشارقة الذين لم تكن الأشعار و الأغاني الأعجمية التي أفاد منها الأندلسيون بين أيديهم ، فوقفوا في تطوير موسيقى الشعر عند الحد الذي أشرنا إليه ، و مثل هذا الأثر الذي كان للتراث الأعجمي في نشأة الموشح لا يسمح بالقول بالأصل الأعجمي لهذا الفن كما زعم بعض الدراسين مستندين في ذلك إلى عجز المشارقة عن مجاراة الأندلسيين في هذا المجال (46) و هذه الحجة في الحقيقة مردودة لأن أهل المشرق نجحوا بعد ذلك في هذه الصناعة دون أن يثبت تاريخها أن

أرواحهم قد تشبعت بالألحان الأعجمية التي كانت منتشرة في البيئة الأندلسية.

الهـــوامش:

1- دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك، ص. 25.

2- دار الطراز ،ص.33 .

3- دار الطراز ،ص.35.

4- دار الطراز ،ص.37.

5- فن التوشيح د/ مصطفى عوض الكريم ،ص.17.

6- خلاصة الأثر للمحبي 1/108.

7- موسيقى الشعر العربي د/ إبراهيم أنيس، ص.285.

8- دار الطراز ،ص.23.

9- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي ،ص.186.

10- المستطرف للأبشيهي 2/187.

11- الذخيرة لابن بسام : 1 م ،ص.470.

12-مطمح الأنفس للفتح بن خاقان ،ص. 354.

13- دار الطراز ،ص.38.

14- أزهار الرياض للمقري التلمساني 2/228.

15-الذخيرة: 1 م: 1, ص. 469 و قال في موضع آخر : « و تلك الأعاريض خارجه عن هذا التصنيف» الذخيرة ث:1م:1,ص.802.

16- الذخيرة: 1 م: 1, ص. 469

17- الذخيرة: 1 م: 1, ص. 469 و قد نقل ابن شاكر الكتبي هذا الكلام نفسه عند ترجمته لعبادة بن ماء السماء ، راجع فوات الوفيات 149/2.

18- الذخيرة: 1 م: 1, ص. 801-802.

19- المعجب من أخبار أهل المغرب الواحد المراكشي ،ص.146.

20- المطرب من أشعار أهل المغرب ص : 204 و راجع نفح الطيب للمقري التلمساني 250/2.

21-دار الطراز ،ص.31-33.

22- دار الطراز ،ص.33.

23- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين للدكتور إحسان عباس ،ص.229.

24-راجع فوات الوفيات تح . د.إحسان عباس 151/2 و قد نسب الصفدي هذا الموشح إلى عبادة القزاز راجع الوافي بالوفيات 189/3 وأنظر أيضا فن التوشيح ،ص. 173-174.

25-أزهار الرياض: 208/2.

26-أزهار الرياض: 209/2.

27- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة د/إحسان عباس ،ص.59.

28- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ،ص.243-244.

29- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ،ص.244.

30-نقلا عن أزهار الرياض 2/207.

31-الدخيرة : 1م:1م ،ص.469.

32-33- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة للدكتور إحسان عباس ،ص.61،62.

34- العجاج حياته و رجزه د/عبد الحفيظ السطلي ،ص. 214-215.

35- الشعر و الشعراء لابن قتيبة ،ص.412.

36- العمدة في صناعة الشعر و آدابه و نقده لابن رشيق 1/90.

37- العمدة في صناعة الشعر و آدابه و نقده 1/180.

38- العمدة في صناعة الشعر و آدابه و نقده 1/182.

39- يتيمة الدهر للثعالبي 1/352 و راجع فن التوشيح ،ص.52

40-فن التوشيح ،ص. 50-51.

41- نقلا عن نفح الطيب 4/35-36 وراجع جذوة المقتبس للحميدي ،ص.346.

42- منهاج البلغاء و سراج الأدباء لحازم القرطاجني ،ص. 241.

43- دار الطراز ،ص.35.

44- نقلا عن فن التوشيح ،ص.109.

45- تاريخ الفكر الأندلسي لبالنتثيا ،ص.155.

46-فن التوشيح ،ص.111.

الأثر الحضاري والثقافي للغة العربية على لغة الهوسا (نيجيريا أنموذجا)

د. محمد الثاني أبو بكر

جامعة التربية الفيدرالية، كنو – نيجيريا .

مقدمة:

تتمتّع القارة الإفريقية بكونها آهلة بالسّكان الذين هم أصحاب لغات ولهجات عدّة يتراوح عددها بين ثمانمائة إلى ألف لغة [1]، ومن بين هؤلاء سكان المنطقة التي كان بعض كتاب العرب القدامى يطلقون عليها اسم بلاد السودان [2]، وهي منطقة واسعة تمتدّ من حدود الصحراء الكبرى شمالا إلى ما يعرف بنطاق الغابات الوسطى جنوبا، ومن تلال الحبشة شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا، والمنطقة التي تخصّنا في هذا المقال هي المنطقة التي تقع فيها ولايات الهوسا، وهي التي تبدأ من مملكة برنو في الشمال الشرقي في الجمهورية النيجيرية اليوم، وهي منطقة واقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربا، ومن حدود مملكة أهير شمالا إلى حدود نهر بينوى جنوبا. هذه المنطقة هي المعروفة في التاريخ القديم بمنطقة ولايات الهوسا، وتقع اليوم في شمال جمهورية نيجيريا الاتحادية.

إن جمهـورية نيجيريا الاتحادية لم تكن معروفة بهذا الاسم، وبهذا الشكل الموجود اليوم إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وقد اقتحم المستعمرون الانجليز تلك المنطقة واستولوا عليها.

وكان الموجود قبل القرن التاسع عشر في جمهـورية نيجيريا الاتحادية هو عدة ولايات وممالك موزعة في تلك المنطقة، تختلف في حجمها وقوتها، وقد تختلف أيضا في عاداتها وتقاليدها، وكانت كل واحدة منها مستقلة ومنفصلة عن الأخرى تمام الانفصال ، إلا أن بعضها وهي ولايات الهوسا كانت تربطها صلة قوية، وهي صلة لغة الهوسا التي تتكلم بها ، وهناك رابطة أخرى تربط كل هذه الولايات الهوسوية ، وهي الرابطة التجارية، إذ أصبحت هذه الولايات الهوسوية يحتاج بعضها إلى بعض إلى الحد الذي تتحالف في أوقات الحروب أو الخوف ضد العدو، ومن ذلك مثلا عندما قام الشيخ عثمان بن فودي بثورته الإصلاحية ضد ما كان من تلك الولايات من فساد في البلاد ضد العباد.

وقد كاتب أمير غوبر " Gobir " (إحدى ولايات الهوسا) إخوانه: أمير كثنه، وأمير كنو ، وأمير زكزك ، وأمير دَوْرَا ، وغيرهم يطلب المساعدة منهم هذا ضد الشيخ الثائر. [3]

وجاءت حركة الشيخ عثمان بن فودى الإصلاحية هذه في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وأدت إلى تأسيس مملكة إسلامية مكوّنة من مجموعة من الولايات التي كانت موجودة في تلك الحقبة التاريخية ، واتسع نطاق تلك المملكة الإسلامية حتى شمل ما يربو على نصف مساحة نيجيريا الحالية، من الناحية الشمالية. [4]

وبعد ذلك دخل الإنجليزية فكانوا في جولاتهم الاستعمارية يطلقون على تلك البلاد اسم محميّة ساحل نيجر«Niger coast protectorate» تارة، والبلاد الواقعة في حوض نهر نيجر« The Territories in the Basin of the Niger » تارة أخرى، وغير ذلك من الأسماء. وأخيرا سمّوها، في مطلع القرن العشرين الميلادي، بنيجيريا، بعد أن تمّ استعمارها. [5]

وأما عن دخول الإسلام نيجيريا، فإن أكثر المؤرخين والباحثين الذين كتبوا في هذا الموضوع يذهبون إلى أن الإسلام دخل فيما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر الميلادي [6] ، ودعّموا أقوالهم بأن الإسلام دخل أول ما دخل في مملكة (كَانِمْ) في القرن الحادي عشر، وأن أول من اعتنقه من ملوكها هو هُمْى جلْمِى (1085 – 1097) ، وسمى نفسه محمدا [7] ، وأسلمت على يده مملكته كلها، وأما في ولايات الهوسا فإن الإسلام دخل (كنو) في القرن الرابع عشر الميلادي، وأن أول ملك أسلم فيها هو عَلِىٌّ يَاجِى (1349 1385 – م)، وانتشر الإسلام في عهده أيما انتشار.[8]

ومن هاهنا نرى أن حركة الشيخ عثمان بن فودى الإصلاحية ليست هي البداية لدخول الإسلام في نيجيريا، وإنما هي حركة تجديدية للإسلام، غير أنها تعتبر حجر الأساس في بناء صرح حضارة الهوسا وتاريخ لغتها وانتشارها داخل وخارج مماليك ولاية الهوسا، ومن ثم فإن من هموم هذا المقال تسليط الضوء عن قبيلة الهوسا وعلاقة لغتها بالعربية، والتأثير والتأثر الحضاري بين اللغتين، وذلك ما سنبينه لاحقا بإذن الله تعالى.

- **مفهوم كلمة (الهوسا) :**

تطلق كلمة الهوسا ، ويراد بها أحد المعنيين :

أ - الشعوب والقبائل .

ب - اللغة.

أولا: الشعوب والقبائل.

هناك روايات متعددة ومتقاربة عن أصل الشعوب و قبائل الهوسا منها ما يشير إليه الأمين أبو منقه [9] من أن خلاصة ما اجتمعت عليه الافتراضات المتعددة عن أصل قبائل الهوسا أنهم عبارة عن مزيج من العنصر الحامي ، وعلى وجه التحديد البربري مع العنصر الزنجي نتيجة هجرات البربر في الصحراء الكبرى جنوبا إلى إقليم السافنا الأوسط في البلاد التي تعرف ببلاد الهوسا . ونشأت هذه المجموعة العرقية الجديدة نحو القرن العاشر الميلاي [10] ، وتوحدت فأفرزت لغة وثقافة وعادات متميزة عرفت بالهوسا.

وفي رواية أخرى أن قبائل الهوسا هي القبائل الساكنة بين المنطقة التي تسمى مملكة بَرْنُو "Borno " شرقا والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربا ، ومن حدود مملكة أهير شمالا إلى حدود نهر بينُوَىْ زِصخِس جنوبا ، وكانت ساكنة في هذه المنطقة ومبعثرة فيها من زمن سحيق، ويقول المؤرخون : إن قبيلة الهوسا كانت مجموعة زراعية تسكن في أرض خصبة ، كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى ، وتجمعها كلها لغة الهوسا ، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن تكاثرت وتجمعت ثم تطورت إلى ولايات عدة .[11]

ولم يذكر المؤرخون شيئا - على وجه التحديد - عن تاريخ نشأة تلك الولايات ، ولا عن الفترة التي أخذتها قبل تطورها إلى الولايات ، وإنما المعروف عنها وجود عدد من تلك الولايات في القرن الحادي عشر الميلادي ، ومنذ ذلك التاريخ ازدهر بعضها وأصبح مركزا تجاريا وملتقى للقوافل التجارية .[12]

وحسب الأسطورة الشائعة عن بزوغ ولايات الهوسا يقسم المؤرخون هذه الولايات الهوسوية إلى مجموعتين هما :

*** المجموعة الأولى :**

وتسمى بالولايات السبعة الأصلية " HAUSA BAKWAI " وهي : كَنُو "KANO" و كَتِنَهْ "KATSINA" وزَكْزَكْ "ZAZZAU " ، و دَوْرَا " DAURA" وغُوبِرْ "GOBIR" ، وغَارْنْ غَبَسْ GARUN GABAS ، ورَنُوْ "RANO" .

*** المجموعة الثانية :**

وتسمى الولايات السبعة الفرعية "BANZA BAKWAI" ، وهي : كِبّ "KEBBI" ونُفى "NUPE" ، ويُوْرُبَا "YORUBA" ويَاوُرِى " YAWURI"، وكُوْرَرَّفَا "KWARRAFA" وبَرْغُو "BARGU"، وزَنْفَرَ " ZANFARA " .

وتقول الرواية الأسطورية : إن تاريخ نشأتها كولايات يرجع إلى وقت واحد ، وإن مؤسسيها وأمراءها الأوائل كانوا من أصل واحد ، هو بياجد "BAYAJIDDA" ، وإن بَاوُوْ "BAWO" بن بياجد هو الذي أنجب سبعة أولاد، وقام كل واحد منهم بتأسيس ولاية، فكانت المجموعة الأولى.

كان اسم بياجد "BAYAJIDDA"، الحقيقي أبا يزيد ، وقد هاجر من الشرق العربي إلى دَوْرَا "DAURA" (إحدى ولايات الهوسا) وخلّف ولدا أنجب سبعة أولادا ، وقام كل واحد منهم بتأسيس ولاية ، وهي الولايات الهوسوية السبعة الأصلية ، كما مر بنا سابقا.

كما يؤكد المؤرخون احتمال كون الإسلام قد دخل بعض تلك الولايات عن طريق التجارة في وقت مبكر ، كدخوله مملكة غانة القديمة وكانِمْ ، ويؤيد هذا القول ما ذكره بعض المؤرخين [13] من أن الإسلام كان منتشرا في القرن الحادي عشر الميلادي من مملكة غانة غربا إلى مملكة كانِمْ شرقا ، لأن هذه الحدود المذكورة تضم أكثر ولايات الهوسا الموجودة في ذلك الزمن .

كما يذهب المؤرخون إلى القول بأن انتشار الإسلام بطريقة واسعة لم يحدث إلا في القرن الرابع عشر حينما بدأ كثير من القبائل الفلانية "FULANI" يهاجر من مملكة مالي، وما جاورها إلى بلاد الهوسا شرقا.

وكان لهجرات القبائل الفلانية هذه أثر بعيد في تاريخ نيجيريا عموما، وتاريخ قبائل الهوسا خاصة، لأن الفلانيين المتحضّرين المقيمين في المدن مسلمون، ومتمسّكون بدينهم، وفيهم علماء ينشرون الدين بطريقتي التدريس والدعوة، وينتقلون من مدينة إلى أخرى طلبا للعلم والتعلّم.

وكانت ثقافة الفلانيين المتحضّرين الدينية أرقى من ثقافة غيرهم من سكان تلك المناطق، لذلك نجدهم إذا ما دخلوا مدينة سرعان ما يستميلون سكانها، ويأخذون زمام الملك فيها، وخير شاهد على ذلك استيلاؤهم على ولايات الهوسا وسيطرتهم عليها كلها، واحدة تلو الأخرى، بزعامة قائدهم الشيخ عثمان بن

فودى، في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، واستمروا يحكمونها بأنفسهم إلى أن اعتدت القوات الاستعمارية على تلك البلاد، واستولت عليها سنة 1903. [14]

وتعتبر مدن كنو "KANO" ، وكشنه "KALSIM" ، وزكِزَكْ " ZAZZAU" ثلاث ولايات رئيسية من ولايات الهوسا ، كان لها الفضل الكبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد نيجيريا قديما وحديثا .

ثانيا : اللغة .

وكلمة الهوسا تعني اللغة، التي تتحدث بها الشعوب والقبائل، ساكنة المنطقة التي تعرف بولايات الهوسا. وقد تعددت الروايات حول اشتقاق كلمة الهوسا واختلفت كثيرا ، ونحاول أن نلمّ ببعض منها على هذا النحو :

أ - يقول العالم اللغوي الانجليزي سكينا "SKINNER"(1968م) : إن كلمة الهوسا انحدرت من أصل لغة أهل السنغاي، ذلك لأنه كان يرى أن العلاقة القديمة بين شعبي الهوسا والسنغاي هي التي جعلت الهوسويين يلجأون إلى اقتراض كلمات من السنغاي . وعليه فإننا نرى أصل كلمة الهوسا من (أوسا) "AUSSA" ، وهو اسم أطلقه أهل السنغاي على الذين يسكنون المنطقة الشرقية من بلادهم ، فاقترضها الهوسويون بعدئذ ، وسموا أنفسهم بها ، فصارت علما عليهم قد اشتهروا به .

ب - وفي رواية للباحث اللغوي الانجليزي "C.R.NIVEN" (1971) يقول : إن أصل كلمة الهوسا جاءت من لهجة الطوارق، اقترضها الهوسويون منهم، لأنهم ، أي الطوارق، كانوا يسمون الذين يسكنون على ساحل بحر كوارَا " Kwara" بهوسا .

ج - ويقول المؤرخ الهوسوي الكبير، أمين كنو "aminu kano" : كلمة الهوسا محرّفة من كلمة الحبشة ، لأن قبيلة الهوسا منحدرة من أصل الحبشة، ولما أكثروا من نطق الحبشة حرفوها ونطقوها الهوسا بدلا من الحبشة.

د -ويقول صاحب السموّ الملكي الهوسوي أمير بلد نِنْفي "sarkin ningi " الحاج هارون، معتمدا على الأسطورة الشائعة من أن بياجد "bayajidda" ، لما وصل إلى مدينة دَوْرَا "daura" ليلا نزل عند امرأة عجوز واسمها أيّانَا "ayyana" أو "ويْرَا waira" وهناك ربط حصانه، ثم قتل حية اسمها سَرْكِ "sarki" .

ولما سألت ملكة مدينة دورا "daura" - واسمها دَوْرَامَا "durama" - عمن قتل الحية قامت العجوز ، قائلة إنه رجل قتلها، ثم قالت أيضا بلغة الهوسا : يا هَوْسَا بمعنى (ركب ثورا) ، وكلمة الهوسا حسب هذه الأسطورة تكون مركبة تركيبا مزجيا ، من جزئين هما : " hau" وسا "sa".

وبدلا من أن تقول العجوز: «ركب الحصان»، بدلت وقالت: ركب الثور، ذلك لأن الحصان حيوانا غير معروف لدى الهوسويين، وإنما المعروف عندهم هو الثور في ذلك الزمن. ويكون هذا الرجل هو أول مَنْ أدخل الحصانَ إلى بلاد الهوسا، وعرّفهم عليه، لأول مرة في التاريخ ، ومنذئذ صارت كلمة الهوسا علما على هذه القبيلة. والحقيقة أن هذه الكلمة من أسماء الأعلام المركبة تركيبا مزجيا.

وأمثال هذه الأساطير كثيرة، وكلها لا تثبت حقيقة أصل كلمة الهوسا أو أصل شعوبها وقبائلها ، وأرجع بعض المؤرخين السبب في غموض تاريخ أصل الهوسا إلى عدم وجود تاريخ مدوّن لهم ، باعتبار هذه الشعوب أمية لا تعرف القراءة و لا الكتابة ، وأمسى تاريخهم مفقودا تكتنفه غشاوة الغموض والضبابية،

وشأن الهوسا في ذلك كشأن سائر شعوب وقبائل غرب إفريقيا ، وفقدانهم القدرة على كتابة تاريخهم بأنفسهم قبل اتصالهم بالعلماء من الغلانيين والونغراويين، في القرن الرابع عشر الميلادي.

وذهب بعض العلماء إلى القول بأن كلمة الهوسا ليست قديمة في تاريخها ، وإنما هي حديثة جدا بحيث لا تتجاوز بدايتها القرن السادس عشر الميلادي ، لأنها لم تأت على لسان المؤرخين ولم يسموها بهذا الاسم إطلاقا ، ولنا مثال على ذلك المؤرّخ ابن سعد الذي زار ولايات الهوسا قبل القرن الثالث عشر ، و ل. إ أو أفريكانوس "L.E .O .Africanus" الذي قال بأنه سمع الناس في هذه الولايات يتكلمون بلهجة غوبر "Gobir" في حوالي القرن الخامس عشر الميلادي [15] .

ويؤيد هذا ما سبق أن ذكرناه في السطور السابقة من أن الموجود قبل القرن التاسع عشر في المنطقة التي تسمى ولايات الهوسا هو عدة ولايات وممالك موزّعة تختلف في حجمها وقوتها ، وقد تختلف أيضا في عاداتها وتقاليدها ، مما يجعل كل واحدة من تلك الممالك مستقلة عن الأخرى ومنفصلة عنها تمام الانفصال ، ولا صلة بينهم إلا الحرب والغارات فيما بينهم قصد توسيع مماليكهم، ولم يشعروا بالحاجة إلى الاتحاد إلا بعد أن كثرت عليهم الغارات الخارجية، وعند ذلك صار لزاما عليهم أن يتصالحوا ويتكاتفوا ضد عدوّهم المشترك، وعندئذ بدأوا فعلا يعقدون الأحلاف في أوقات الحرب أو الخوف من العدو ، كفعلهم عندما قام الشيخ عثمان بن فودى بثورته الإصلاحية ضد ما ظهر من فساد تلك الولايات ، فكتب ملكهم " Gobir" إلى زملائه يطلب النجدة منهم ضد الشيخ المهاجم . [16]

ومهما يكن من أمر فإن لغة الهوسا كانت ولا تزال منتشرة على نطاق واسع في غرب إفريقيا كلها ، وتعتبر كل من نيجيريا و النيجر أكبر تجمع الهوسا في التاريخ الحديث ، وصارت الهوسا عندهم لغة المعاملات التجارية والمالية والتواصل في كل من غانة وبنين ومالي وبوركينافاسو وسيراليون وغينيا وساحل العاج. وحديثا اتسع مجال استعمال لغة الهوسا فهي تدرس في الجامعات الأوربية والأمريكية والإفريقية ، وتبث بها كبر الكثير من الإذاعات الأوربية والإفريقية.[17]

كما تعد لغة الهوسا ثاني أو ثالث أهم وأكبر لغات إفريقيا الوطنية بجانب العربية والسواحيلية ، وتنحدر من فصيلة اللغات الإفريقية الأسيوية التي تضم العشائر اللغوية التالية:

1 - اللغات السامية ومنها العربية.

2 - اللغات التشادية ومنها الهوسوية.

3 - اللغات المصرية القديمة.

4 - اللغات البربرية.

5 - اللغات الكوشية.[18]

ويدلّ هذا على أن اللغتين (العربية والهوسا) من أصل واحد هو اللغات الإفريقية الآسيوية، إلا أنه حدث الانفصال بينهما منذ أمد بعيد ، فنشأت كل واحدة منهما مستقلة عن أختها ، وفي ظروف بيئية واجتماعية وتاريخية مختلفة نتج عنها - كما هي العادة في طبيعة اللغات - أن طرأت عليها تغييرات مختلفة.

كما تعرضت كل منهما إلى تأثيرات خارجية متباينة، كما يظهر من نفوذ الفارسية واليونانية في مفردات اللغة العربية ، ونفوذ لغة سنغاي والكانور في لغة الهوسا، ورغم كل هذا يظلّ الرّكام الموروث من الشجرة الأم موجودا حيّا في ثنايا اللغتين وطياتهما، ومن هاهنا نفهم أن العربية والهوسوية قد رضعتا ثدي أم واحدة في يوم من الأيام ، وأنهما وغيرهما من لغات هذه الفصيلة من أصول واحد مشترك.

ولدعم هذه الفكرة عمد الباحثون إلى إيراد أكبر قدر متاح من أوجه الشبه بين اللغتين في بحوثهم ، مقتدين في ذلك بمنهج علم اللغة المقارن في إثبات مثل هذا النوع من العلاقات العرقية بين اللغات ، وطبقوا ذلك تطبيقا علميا مدعوما بالأمثلة من اللغتين ، ومن غيرهما من لغات الفصيلة الإفريقية الآسيوية ، وقد كانت الحصيلة بروز اشتراك وتشابه مذهلين في مختلف مجالات اللغة من أصوات ومفردات ونحو وصرف ، بين اللغة العربية والهوسوية .

ولما كان الكثير من القراء العرب يجهلون الأصل المشترك بين اللغتين (العربية و الهوسوية)، فإنني سأحاول تسليط الأضواء، حسب القدرة، على هذا الأصل المشترك بين اللغتين والتأثيرات الحضارية التي فرضتها العربية على الهوسوية.

- العلاقة بين العربية و الهوسوية :

تنقسم العلاقة بين اللغتين إلى نوعين:

النوع الأول : هو العلاقة العرقية بينهما.

النوع الثاني : العلاقة الحضارية.

أما العلاقة العرقيّة فهي متمثّلة في الأصل المشترك والتشابه المذهلين في مختلف مجالات اللغة من أصوات ومفردات، ونحو وصرف بين العربية والهوسوية، وليس هذا من قبيل اقتراض لغة الهوسا لبعض مفرداتها من اللغة العربية.

ونبدأ بالنوع الأول الذي هو:

- العلاقة العرقية ومظاهرها :

المظهر الأول: التشابه في الأصوات.

ثبت لدى العلماء وجود اشتراك وتشابه شديد بين العربية والهوسوية في الفونيمات أو الحروف الصامتة بسبب العلاقة العرقية بينهما، فالحروف الصامتة في لغة الهوسا ثلاثون صوتا، وللعربية ثمانية وعشرون صوتا ، كما تشترك اللغتان في عشرين صوتا وهي : (ء : A) ، (ب :b) ،(ت: T)،(ج:J) : ،(د : D) ،(ض : D)،(ر :R) ، (ز: Z) ،(س :S) ،(ش :SH) ،(ف :F) ،(ق : K) ،(ل : L)، (ن : N)،(هـ :H) ، (م :M)، (ي :Y) ، (ج الجيم القاهرية : G) [19]

ومثال هذه الأصوات في المفردات الهوسوية هي :

1 - صوت الهمزة وهو « أ » : أكْيَا : AKUYA شاة، صوت حنجري انفجاري مهموس.

2 - الباء (b) ومثاله : بَقِي : ةثءَ أسود ، صوت شفوي انفجاري مجهور مرقّق .

3 - الجيم : (J) ومثاله : جَارِ : JARI رأسمال ، فهو في العربية حنكي مجهور شبه انفجاري مرقق وفي الهوسا مركب لثوي حنكي مجهور شبه انفجاري في الجزء الأول واحتكاكي في الجزء الثاني .

4 – التاء (T) ومثاله: تَفِيَا :TAFIYA سفر، صوت لثوي انفجاري مهموس مرقق.

5 – الجيم القاهرية (g) ومثاله : غري GARI مدينة ، غِرْغِزْ Girgiza =اهتزاز ، وهو صوت حنجري انفجاري مجهور مرقق ، كما في الأمثلة .

6 – صوت الدال : (D) صوت لثوي انفجاري مجهور مرقّق، ومثاله : دَامِنَا Damind =خريف ، دامِسَ = Damisa .

7 – الراء : (R) ، صوت الراء في العربية لثوي تكراري مجهور متوسط ، وتكون مرققة مطلقا إذا تلتها كسرة وتفخم إذا سبقتها حركة الفتحة، وكانت ساكنة ، أما صوت الراء في الهوسا فيتفق مع الراء العربية من حيث المزج وصفتي الجهر والتكرار، ومثاله: رِيجْيَا : Rijiya= بئر.

ويلاحظ الفرق بين نطق نوعين من الراء ودرجة التكرار فيها، كما في المثال السابق، مع ترقيق كما في : رَنِي Rani = صيف ، ومَرِنَا Marina = مصبغة ، والنوع الثاني مفخّم قليلا ، كما في رُوَا Ruwa= ماء ، رُمْفَا Rumfa = مظلة .

8 – الزاي : (Z) أسناني لثوي احتكاكي مجهور مرقّق ، ومثاله زَافِي Zafi =ثخونة / حرارة ، زَاقِي Zaki = حلاوة = زَاكِ Zaki = أسد .

9 – السين : (S) صوت لثوي احتكاكي مهموس مرقّق ، ومثاله سَرْكِي Sarki = أمير، غَسْكِسَا Gaskiya = الصدق / الحقيقة ، بِسَ Bisa = فوق.

10 – الشين (ch-sh) صوت احتكاكي مهموس مرقق ، ومثاله : شُوكَا Shuka = زراعة، بِشِيَا Bishiya = شجرة ، قِشِرُوَا Kishiruwa = عطش ، هَرْشِي Harshe = لسان.

11 – الطاء : (D) ، صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم ، وهو يختلف عن صوت الطاء في اللغة العربية في أن الطاء الهوسوية يحدث الانفجار فيها بشفط الهواء إلى داخل الفم ، كما يحدث في الأمثلة الآتية، وهي : طَيَا Daya = واحد ، طَرِي Dari =مائة ، طَاكِي Daki =حجرة / غرفة ، كَطَن Kadan=قليل ، هُطُ Hudu =أربعة بينما اندفاع الهواء في الطاء العربية إلى خارج الفم .

12 – الفاء : (f) ، وهو صوت أسناني شفويّ احتكاكي مهموس، وينطق الفاء صوتا بين الفاء والصوت (P) الإنجليزية في لغة الهوسا [20]. ويلاحظ أن اللغة العبرية ، وهي أخت للعربية ليس فيها صوت الفاء بل مكانه صوت (P) تماما كما في لغة الهوسا [21] ومثاله في الهوسوية : فَرْكُوْ Farko =بداية ، فَتَوْثِي Fatauci = تجارة ، رافِي Furfura = مهر .

13 – القاف (K) ، صوت لهوي مهموس انفجاري مفخم، وهناك اختلاف ضئيل بين القاف في العربية ونظيره في الهوسا، إذ أنه في الهوسا مرقّق شفطي، أي يحدث الانفجار فيه بشفط الهواء إلى داخل الفم ، ومثاله في المفردات الهوسوية هو : رَاقُمِي Rakumi =جمل ، هَقُرِي Hakuri = صبر ، قَرْشِي Karshe =نهاية، قَيَا Kaya = شوكة ، قَرْيَا Karya =كذب ، سَوْقِي Sauki = سهولة

14 – صوت الكاف (K)، وهو صوت حنكي انفجاري مهموس مرقّق، ومثاله في لغة الهوسا كَرِي Kare =كلب ، كُنْيَا Kunya =حياء.

15 – اللام (L)ج صوت لثوي جانبي مجهور وسط بين الشدة والرخاوة ، والأصل في اللام العربية الترقيق ولكنها تفخم إذا وقعت مفتوحة وجاورها أحد

أصوات الاستعلاء ولاسيما الصاد والطاء والظاء ساكنا أو مفتوحا.[22]

وأما اللام في لغة الهوسا، فتكون مرقّقة لعدم وجود أصوات الإطباق في اللغة الهوسوية، ومثالها لَمْبُو Lambu =حديقة ، لَلّي Lalle =حناء .

16 – الميم : (M) ، صوت شفوي مجهور متوسط ، ومثاله مَاتَا Mata= نساء، مَزَا Maza= رجال ، مَاكُوْ Mako =أسبوع ، جيمَاغي Jemage = حفاش ، جِمِنَا Jimina = نعامة ، كُنَامَا Kunama =عقرب.

17 – النون : (N) ، صوت لثوي أنفي مجهور متوسط ، مثل نُمْغَاشِي = Numfashi تنفّس، نُوْانُوا Nono =لبَن ، نَاما Nama= لحْم .

18 – صوت الهاء (H) ، حنجري احتكاكي مرقق مهموس ، مثل Hutu =راحة ، هَيَاقِي Hayaki =دخان .

19 – صوت الواو (W)، شفوي متوسط مجهور ، مثل : وَايُوْا Wayo = ذكاء، وُرِي Wuri = مكان .

20 – صوت الياء (Y) ، متوسط حنكي مجهور ، ومثاله : يَمَّا Yamma =جهة الغرب، يَوَا Yawa =كثرة ، يَايي Yaye =فطام ، وُيَا Wuya =عنق ، سُوِيَّا Soyayya =محبة ، غَيْسُوَا Gaisuwa =تحية .

هذه هي الأصوات الصامتة العشرون، المشتركة بين اللغة العربية ولغة الهوسا وهي متطابقة تماما عدا الاختلاف الضئيل في نطق أصوات الطاء والقاف والفاء، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وتنفرد اللغة العربية بتسعة أصوات لا وجود لها في لغة الهوسا، وهي على الترتيب :

1 - صوت الثاء: مثل: ثلاث ثمن.

2 - صوت الذال: مثل: هذا، ذلك.

3 - صوت الحاء: مثل: حاكم، تحية.

4 - صوت الخاء: مثل: خير، تاريخ.

5 - صوت الصاد: مثل: أصل، نصر.

6 - صوت الضاد: مثل: ضرورة، هضم.

7 - صوت الظاء: مثل: ظالم، ظهر.

8 - صوت العين: مثل:عبادة، عيادة.

9 - صوت الغين: مثل: غاية، غنيمة.

وتنفرد الهوسا بعشرة أصوات لا نظير لها في اللغة العربية، وهي :

1 - صوت (يـ) (Y)(23) ، صوت مركب حنجري حنكي مهموس ، يبدأ النطق به من موضع صوت الهمزة ولا يتم النطق إلا بالانزلاق اللساني إلى موضع النطق بصوت الياء ، مثاله : يـ (Ya) =ابنة ، يَنْثِ Yanci =حرية ، يَيَا Ya Ya =أبناء .

2 - صوت بـ (b) ، وهو صوت يشبه الباء تماما إلا أن الانفجار فيه يحدث بشفط الهواء إلى الداخل ، فهو صوت شفوي شفطي مجهور ومثاله : بِيرَا bera =فأر ، بَوْرِى baure =تين ، بَرَوُا barawo = لص .

3 - صوت ظ (TS) ، صوت مركب لثوي مهموس احتكاكي، وللنطق به يرتفع مقدم اللسان نحو اللثة لنطق صوت الثاء، ولكن لا يتم النطق الانفجاري المصاحب لصوت التاء بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع النطق بصوت السين

حيث يحدث الانفجار ، غير أن الفرق بينه وصوت السين هو أن الهواء في (ts) يبدأ من الحلق بينما يبدأ في صوت السين من الرئة [24] مثاله : ظيَا tsaya =قف، ظنْظو tsuntsu = طائر.

4 - صوت ثَ (C) ، وهو صوت مركّب لثوي حنكي مهموس احتكاكي، للنطق به يرتفع مقدم اللسان نحو اللثة، كنطق صوت التاء، ولكن لا يتم الانفجار المصاحب لصوت التاء بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع نطق صوت الشين حيث يحدث الصوت الاحتكاكي ، مثل ثِكِ CIKI =بطن ، ثُوتَا Cuta =مرض، هَنْثِ Hanci =أنف .

5 - صوت غُوَ (g w) ، صوت مركب أقصى شفوي مجهور، جزؤه الأول انفجاري للنطق به يوضع اللسان في موضع النطق بصوت الجيم القاهرية ، ولكن لا يتم النطق الانفجاري المصاحب لذلك الصوت، كما لا يتم النطق إلا بعد استدارة الشفتين وثبات اللسان في نقطة خاصة بنطق صوت الوا ، ومثاله : غُوَدَ gwada =قياس ، غُوَنِيْ Gwauni =ماهر ، أغُوَاغُوَا Agwagwa =بطة ، غُويوَا Gwuwa =ركبة.

6 - صوت غِي (gy) ، صوت مركّب أقصى حنكي مجهور جزؤه الأول انفجاري، وهو يبدأ من موضع النطق بصوت الجيم القاهرية، ولكن لا يتم النطق الانفجاري المصاحب للنطق بالصوت ، بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع النطق بصوت الياء، ومثاله : غِيَارَا gyara =إصلاح ، غِيَطَا gyada =فول سوداني (كاوكَاوْ) ، غِيَنْغِيَطِي gyangyadi =نعاس .

7 - صوت قُوَ (KW)، وهو صوت مركب أقصى شفوي جزؤه الأول شفطي مهموس يحدث الانفجار فيه بشفط الهواء المنحبس في الحلق إلى داخل الفم ، وللنطق به يوضع اللسان في موضع النطق بصوت القاف ، ولكن لا يتم الانفجار ، كما لا يتمّ النطق إلا بعد استدارة الشفتين وثبات اللسان في نقطة خاصة بنطق صوت الواو ، ومثاله : قُوَيْ Kwai = بيض ، قُوَاثِي Kwace = سلب ، مُقُوَوْثِي Makwauci =جار .

8 - صوت قِيَ (KY)، صوت مركب أقصى مهموس جزؤه الأول شفطي، أي يحدث الانفجاري فيه بشفط الهواء من الحلق إلى داخل الفم، ولكن قبل أن يحدث الانفجار ينتقل اللسان بسرعة إلى موقع النطق بصوت الياء ، ومثاله : قِيَاشِي Kyashi=عدم الرغبة في شيء (التعفف) ، قِيَوْرِي Kyaure =باب ، قِيَلَقِيَلِي Kyalkyali =لعان .

9 - صوت كِيَ (Ky) ، وهو صوت مركب أقصى مهموس جزؤه الأول هو صوت الكاف والنطق به يتخذ اللسان موضع النطق بالكاف و لكن لا يحدث الصوت الانفجاري المصاحب له بل ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع النطق بصوت الياء ، مثل : كِيَوْ Kyau =جمال ، كِيَنْوَا Kyanwa =قط ، كِيَوْتَا Kyauta = هدية ، كِيَنْكِيَسُو Kyankyaso = صرصور.

10 -صوت كُوَ (KW) ، صوت مركب أقصى شفوي مهموس جزؤه الأول انفجاري للنطق به يوضع طرف اللسان في موضع النطق بصوت الكاف، ولكن لا يتمّ الانفجار المصاحب لصوت الكاف، كما لا يتم النطق إلا بعد استدارة الشفتين وثبات اللسان في نقطة خاصة بنطق صوت الواو ومثاله : كُوَانَ

Kwana = مبيت ، كُوَنْدُوْ Kwando = سلة، كُوَطُو Kwado = ضفدع ، تَكُوَسْ Takwas =ثمانية .

وهذه هي الأصوات الهوسوية العشرة التي لا توجد في اللغة العربية بالرغم من أنهما انحدرتا من أسرة واحدة ، والسؤال المطروح هاهنا هو :

- **ما هو السبب في هذا الاختلاف ؟**

وللإجابة عن هذا السؤال قال العلماء : يغلب الظن من أن أجد هذه الأصوات وهو صوت بـِ (b) صوت دخيل في لغة الهوسا ، انتقل إليها من لغة مجاورة ، ربما لغة الفلاني . [25]

وبالنسبة للأصوات التسعة المتبقية التي هي أصوات مركبة من صوتين ، فقد اعتقد العلماء أنها شائعة في اللغات الإفريقية ، لذلك فهي طارئة في لغة الهوسا من تأثير اللغات التي حولها.

وأن صوت : ظ (ts) يوجد في التقرينية (إحدى لغات الحبشة) ، وهي لغة سامية كما هو معروف ، وأورده كارل بروكلمان ضمن الأصوات الأصلية في اللغات السامية ، وقال عنه إنه صوت رخو مهموس يتكوّن بوضع طرف اللسان عند اللثة مع تفسير مؤخرة اللسان شيئا ما . [26]

ونلاحظ هنا صدق الفرضية التي تقول بأن كلمة الهوسا منحرفة من كلمة الحبشة لانتماء قبيلة الهوسا إلى الحبشة.

جدول يوضّح مخارج وصفات الصوائت العربية والهوسية

المخارج	الصفات															
	شديد / انفجاري				رخو / احتكاكي				مركب	متوسط						
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور	تكراري	أنفي	لين (شبه لين)			
	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مرقق	جانبي						
شفوي labials	b	ب b										م m				
شفوي أسناني Debio - dental							ف f									
أسناني dental					ظ	ذ		ث								
أسناني لثوي dental Alveolar	ض	د d	ط d	ت T				ts		ل L		ن N				
لثوي Alveolar					ز Z	ص	س S				ر R					
غاري Palatals							ش SH		ج J				ي Y			
طبقي Velaris			غ	ك K		خ			KY				و W			
طبقي شفوي Labilised Velars				KW	KW				gW							
لهوي Uvalars				K	ق											
حلقي Pharyangeals					ع		ح									
حنجري Glotal		الجيم القاهرية g		ء			هـ H									

- الصوائت أو الحركات:

وتوجد في اللغة العربية ثلاث حركات قصيرة هي: الفتحة (a) الكسرة (i)، الضمة (u)، وتقابل كل واحدة منها حركة طويلة، والفرق بين الحركات القصيرة والطويلة: فرق في الكمية وليس في الكيفية، بمعنى أن وضع اللسان في كليهما واحد، ولكن الزمن يقصر في القصيرة ويطول في الطويلة، والذي يحدّد الطول والقصر هنا هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة . [27] وترسم الحركات الطويلة العربية بكتابة ألف بعد الفتحة، أو ياء بعد الكسرة، أو الواو بعد الضمّة.

وبذا يصير مجموع الحركات في اللغة العربية ستّا ، وأما في لغة الهوسا فعشرة ، خمس قصيرة هي: الفتحة والكسرة، والضمّة، والكسرة المُمَالة (e) ، والضمّة المتّسعة(O)

والضمّة المتّسعة والكسرة المُمالة ليستا بفونيمين مستقلين في العربية، كما في الهوسا، ولكن تنطق الكسرة الممالة في قراءة القرآن قراءة ورش، كما تنطق الفتحة قبل الياء في اللهجات العامية العربية مثل : بيت ، وبيض، كسرة ممالة. وأما الفتحة فتسمع أيضا في العاميات العربية عند نطق الفتحة قبل الواو مثل: خور، صوت، حوض...الخ.

وهذه أمثلة لجملة من الحركات في اللغتين محل المقارنة:

الحركة	اللغة العربية	لغة الهوسا
الفتحة (a)	ذهب	Sa (ثور)
الكسرة (i)	بنت	tafi (اذهب)
الضمة (u)	أذن	su (صيد)
الضمة المتسعة (o)	/	so (حب)
الكسرة الممالة (e)	/	bera (فار)

وترسم الحركات الطويلة في لغة الهوسا بكتابة الحرف الصائت القصير مرتين مثل (aa) ، (ee)، (oo) ....الخ ، ولكن غالبا ما يتم تجاهل كتابتها والاكتفاء بكتابة الحركة القصيرة فقط في الكتابة العادية.

وهناك حركات مركبة في لغة الهوسا، كما في : أ وْراى aure =زواج ، وفَيْفَىْ faifai = طبق ، ولكن الواقع هو أن هاتين الحركتين هما مجرد حركة واحدة زائد + صامت مثلا AURE (زواج) ، ويمكن كتابتها : Awre و Faifai ، و Fayfay ، وكل ما سبق من التشابه بين العربية والهوسا في الحروف الصامتة والصائتة إنما هو بسبب الاشتراك بينهما في الأصل الواحد ، وليس من قبيل اقتراض لغة من أخرى عن طريق الصدفة.

- **التشابه بين العربية والهوسوية سببه الفعل الحضاري :**

ثمة تشابه بين المفردات العربية و مفردات لغة الهوسا ، ولقد ذكر العلماء الأسباب الأربعة التي من أجلها يحدث التشابه بين اللغات، وهي :

1 - اقتراض إحدى اللغات من اللغة الأخرى .

2 - أن يكون هذا التشابه قد حدث بالصدفة .

3 - أن تكون الألفاظ قد صيغت بطريقة محاكاة الأصوات .

4 - قد يعني اشتراك اللغات في الكلمات دلالة على أن تلك اللغات قد نهلت من معين واحد ، وأنها من أصل مشترك [28].

وعند مقارنة هذه الأنواع الأربعة بين العربية ولغة الهوسا نلاحظ أن السبب الأول يرجع إلى سبب حضاري ، وهو اقتراض اللغة مفردات من لغة أخرى، وجعلها ضمن معجمها.

وهذا النوع موجود بكثرة بين الألفاظ الهوسوية خاصة تلك المقترضة من اللغة العربية لتأثير حضاري، ومن أمثلة ذلك: المفردات المتعلقة بالدين الإسلامي، كالصلاة والوضوء، والإيمان، والإمام ، والمأمون، والتيمّم، والزكاة،

والصدقة، وكلها تنطق كما هي في العربية إلا بعض التحريفات في بعض الألفاظ.

ومنها أيضا الكلمات التي تعبر عن الحضارة والثقافة والصناعات والأدوات والمعاملات التجارية التي دخلت بلاد الهوسا عن طريق التجار العرب المسلمين ، كالسرج الذي ينطق بالهوسا سِرْدِ (Sirdi) ، واللجام وينطق بالهوسا لِنْزَامِ (Linzami), والربا رِبَا (Riba) . وقد أثبت الباحثون أن الهوسا قد أخذت خمس مفرداتها من اللغة العربية بتأثير حضاري [29].

وتكتب لغة الهوسا بالحروف العربية وتسمى (عَجَم) وباللاتينية هوسا بوْكُوْ Hausar Boko . =

خاتمة:

لقد تعرّضنا في هذه المقالة الموجزة للحديث عن لغة الهوسا تعريفها، وخصائصها ومميزاتها، وأصلها واشتقاقها، وعلاقتها بالعربية مع التركيز في ذلك على الحروف المستعملة بين اللغتين، وأشرنا إلى أوجه البنية والمعجمية، وكذلك القوة والضعف وصفات الحروف من الهمس والجهر والأمثلة على ذلك من ألفاظ العربية والهوسوية، مما يدلّ على أوجه التشابه بين اللغتين والعلاقة العرقيّة والتأثير الحضاري بينهما .

الهوامش:

1 – **أحمد العابد**: البحث في العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية.– المجلة العربية للدراسات اللغوية.– مطبعة التمدن: الخرطوم، (المجلد الثالث، العدد الأول، ذو القعدة 1404 هـ – 1984 م، ص. 9. .)

2 – **محمد بللو:** إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور؛ تحقيق وتنغ –Whitting لندن: 1951م ، ص. 4 .

3 – **محمد بللو** : المصدر السابق ، ص. 73 .

4 – **شيخو أحمد سعيد غلادنثي** : حركة اللغة العربية .

5- Hogben , S . J. / The Muhammaden Emirates of Northern Nigeria, 1930 , p. 163 .

6- Coleman J.S., / Nigeria Background to Nationalism California , 1958 , p. 44 .

7 – **شيخو أحمد سعيد غلادنثي** ، المرجع السابق ، ص. 27 .

8 – **الأمين أبو منقه**: كتاب تعريفي عن تاريخ الهوسا.– ط.1.– دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة و النشر: الخرطوم، 1998 م، ص. 2 .

9 – **الأمين أبو منقه** ، المصدر السابق، ص. 2 .

10- Abdullahi Smit / The early states of the central Sudan History of west Africa edited by Ajayi and crowder 1971, vol 1 , p. 187 .

11 - Abdullahi Smith , p. 187 .

12 - Hogben , p. 50 .

13 – **شيخو أحمد سعيد غلادنثي**: حركة اللغة العربية في نيجيريا ، المرجع السابق، ص. 38 .

14 - **المرجع السابق نفسه** ، ص. 36 .

15 - Muhammad Tahar Adamu Asalin / Hausawa da Harshensu , p. 2 .

16 - **شيخو أحمد سعيد غلادنثي** ، المرجع السابق ، ص 26 .

17 - **بابكر حسن قدرماري :** اللغة العربية و السواحلية والهوسا كبرى اللغات الإفريقية، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، العدد 18 .- الخرطوم ، ص. 55 .

18 - **الطاهر محمد داود :** تحليل أوجه الشبه بين اللغة العربية ولغة الهوسا .- جامعة- بايرو : كنو نيجريا- ،1422 هـ - 2001م ، ص. 4 .

19 - **المرجع السابق،** ص. 22 . 23 -

20- An introduction to Hausa grammar M .K.M galadanci, longman, nig 1976

21 - **رمضان عبد التواب في قواعد الساميات** .- ط.2 .- مكتبة الخانجي: القاهرة، 1983, ص.3.

22 - **إ براهيم أنيس** : الأصوات اللغوية .-، ط.6 .- مكتبة الانجلو المصرية ، 1981, ص.64.

23 - **مصطفى حجازي**: العربية والهوسا نظرات تقابلية.-، جامعة أم القرى، 1985, ص. 55

24- M .A.Z . Sani / ilimin tsarin sauti na hausa , 1989 , p 9 .

25 - **مصطفى حجازي،** المرجع السابق، ص. 55.

26 - **كارل بروكلمان :** فقه اللغات السامية؛ ترجمة رمضان عبد التواب .- جامعة الرياض، 1977, ص.39.

27 - **العربية و الهوسا :** نظرات تقابلية ، المرجع السابق ، ص. 67 .

28 -**الطاهر محمد داود :** تحليل أوجه الشبه بين العربية و الهوسوية، المرجع السابق، ص. 46.

29 - **علي أبو بكر:** الثقافة العربية في نيجيريا.- ط.1.- بيروت، 1972, ص. 372 - 469.

لفظ "الإنسان"
ودلالة تعريفه بالألف واللام
في القرآن الكريم

أ.د. التواتي بن التواتي

جامعة عمار ثليجي -الأغواط-الجزائر.

يتناول هذا البحث لفظ "الإنسان" ودلالة تعريفه بالألف واللام كما ورد في القرآن وكلام العرب، وقد قدر لهذا البحث أن يكون وفق النقاط التالية:

-حقيقة الإنسان.

- الإنسان ووضع اللغة.

-دلالة أداة التعريف "ال".

- دلالة لفظ "الإنسان على العموم والخصوص.

-أقسام أداة التعريف (ال).

-قول النحاة والمفسرين في دلالة "الإنسان" المحلى بـ"ال".

حقيقة الإنسان: في حد الإنسان يقال: الإنسان حيوان ناطق، فالحيوان جنسه القريب؛ لأنه تمام المشترك بين الإنسان وبين غيره في الجنسية فيقع جوابا عن الماهية وعن جميع ما يشاركها فصله فقد سبق أن ذكرنا في كتابنا شرح التحفة البهية فصل مقاصد الكليات الخمس سواء قدمنا الجنس كما مثلنا أو الفصل

كأن يقال: الإنسان ناطق حيوان وهو رأي كثير من المحققين؛ لأن اجتماع الجنس والفصل القريبين هو المراد المبين للذات.

وقيل: إن اسم الإنسان لا يطلق على الحيوان والناطق بل يطلق على المجموع، وتقسيم الشيء باعتبار أوصافه كتقسيم الإنسان إلى عالم وكاتب وأبيض وأسود ولا بد فيه من اشتراك مورد التقسيم أيضا، ومن أن يوجد في الجميع من يوصف بالكتابة دون العلم وبالبياض دون السواد وبالعكس ليتميز كل قسم عن غيره في الخارج، وليس ما نحن يصدده من قبيل الأول لعدم اشتراك مورد التقسيم فيه بين الأقسام إذ لا يمكن أن يحكم على مأخذ العام مثلا بأنه عام ولا على مأخذ المجاز بأنه مجاز بل لا يمكن أن يحكم على ما ذكرنا أنه من الكتاب وأصل مورد التقسيم الكتاب، ولا من قبيل الثاني؛ لأن معرفة موضع الاشتقاق ليس من أجزاء الخاص وكذا معرفة معناه وحكمه وترتيبه وقس عليه سائر الأقسام ولا من قبيل الثالث؛ لأن مورد التقسيم ليس بمشترك؛ ولأن معرفة مأخذ اشتقاق لفظ الخاص ليس وصفا لحقيقة الخاص، وإن معرفة مأخذ اشتقاق لفظ الإنسان لا يكون وصفا لحقيقة الإنسان وكذا معرفة معناه وحكمه وترتيبه ليست من أوصافه فلا يستقيم بهذا الاعتبار أيضا كما لا يستقيم أن يقال الإنسان أقسام قسم منه أن مأخذ اسمه الإنس وقسم منه أن معناه حيوان ناطق وقسم منه أنه مقدم على الفرس في الشرف.

وإذا رجع الإنسان إلى نفسه علم أنه مولود اضطرارا بالخبر كما علم أن ولده مولود بالمعاينة وعلم أن أبويه كانا من جنسه بالخبر كما علم أن أولاده من جنسه بالعيان، وعلم أنه كان صغيرا ثم شابا بالخبر كما علم ذلك من ولده بالعيان، وعلم

أن السماء والأرض كانتا قبله على هذه الصفة بالخبر كما يعلم أنهما على هذه الصفة للحال بالعيان، وعلم أن آدم أبو البشر على وجه لا يتمكن فيه شبهة فمن أنكر شيئا من هذه الأشياء فهو مكابر جاحد لما هو معلوم ضرورة بمنزلة من أنكر العيان.

ولا نقول: إن هذا العلم يحصل بفعل المخبرين بل بما هو من صنع الله تعالى وهو أنه خلق الخلق أطوارا على طباع مختلفة وهمم متباينة يبعثهم على ذلك الاختلاف والتباين فالاتفاق بعد ذلك مع الأسباب الموجبة للاختلاف لا يكون إلا بجامع يجمعهم على ذلك كما قررنا، وفيه حكمة بالغة...

وعليه فإن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالماً، فكأنه سبحانه وتعالى امْتَنَّ على الإنسان، بنقله من أخس المراتب، وهي العلقة، إلى أعلاها، وهي العلم، وذلك كما ورد في قول تعالى: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ)** هذه السورة أول ما نزل من القرآن كما ثبت في الصحيحين، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قال: من علق وإنما خلق من علقة واحدة، كقوله تعالى: من نطفة ثم من علقة؟ قلت: لأن الإنسان في معنى الجمع، كقوله تعالى: **(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)**أراد الجنس دون اختصاص إنسان واحدٍ، ألا ترى أنه استثنى منه جمعاً فقال: **(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)**الإنسان هنا لو حذفت كلمة "ال" ووضعت مكانها كلمة "كل" فإنه يستقيم الكلام، لو قلت: إن كل إنسان لفي خسر، ودليلك على ذلك أنه استثنى منه الإنسان واحد واستثنى منه جماعة هو قوله سبحانه وتعالى:

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) العصر /وهذا واضح في هذا الأمر **(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) هذه** "أل" التي للاستغراق الحقيقي.

قال الصنعاني: ولذا صح الاستثناء منه ومعيار عمومها أن يصلح وقوع كل موقعها نحو: "كل إنسان في خسر"، وقيده في ذلك ليخرج سائر معاني اللازم إيضاحا للمراد وإلا فالكلام في صيغ العموم ووضع لام التعريف حقيقة في الاستغراق كما ذهب إليه جماعة من المحققين سواء دخلت على الجنس نحو: الرجل أو اسمه نحو: العسل والماء أو الجمع نحو: الرجال أو اسمه: كالغنم والرهط والقوم...

الإنسان ووضع اللغة: خلق الله نوع الإنسان وصيره محتاجا إلى أمور لا يستقل بها بل يفتقر إلى المعاونة عليها ولا بد في المعاونة من الإطلاع على مضمرات النفوس، وذلك إما باللفظ أو بالإشارة أو بالمثال.

وكان اللفظ هذا هو الأمر الثاني في الموضوع ومن لطف الله تعالى إحداث الموضوعات؛ لأنها أفيد هذه الثلاثة وأيسرها أما كونها أفيد فلأنها تعم كل شيء معلوم موجود ومعدوم إلى غير ذلك لإمكان وضع اللفظ بإزاء ما أريد من تلك المعاني بخلاف الإشارة فإنها مخصوصة بالموجودات المحسوسة وبخلاف المثال وهو أن نجعل لما في الضمير شكلا فإنه أيضا كذلك لا يعسر بل يتعذر أن يجعل لكل شيء مثال يطابقه، وأما كونها أيسر موافقة للأمر الطبيعي؛ لأن الحروف كيفيات تعرض للنفس الضروري ولا شك في أن الموافق للأمر الطبيعي أسهل من غيره.

هذا هو الأمر الموضوع له وإذا ثبت ما ذكرناه فنقول: وضع اللفظ بإزاء المعاني الذهنية وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: بل بإزاء الخارجية، واسْتُدِلَ على الأول بدوران الألفاظ مع المعاني الذهنية، فإن من رأى شبحا من بعيد واعتقده مثلا حيوانا مخصوصا أطلق عليه اسم ذلك الحيوان، فإذا تغير ذلك الاعتقاد باعتقاد آخر أطلق عليه بحسب ذلك الاعتقاد اسما آخر وهذا الدليل أيضا يدل على بطلان القول بأنها موضوعة بإزاء الخارجية؛ لأنها لو كانت موضوعة بإزاء المعاني الخارجية لامتنع تسمية ذلك بحيوان مخصوص، وقد عرف أن ذلك لا يمتنع مع عدم الشعور بكونه إنسانا ولكان يمتنع اختلاف الألفاظ عند عدم اختلاف الأمر الخارجي، وقد أجيب عن هذا الدليل بأن هذا الاختلاف إنما هو لاعتقاد أنها في الخارج كذلك لا لمجرد اختلافها في الذهن..

ذهب عباد بن سليمان الصيمري ومن وافقه إلى أن دلالة اللفظ على المعنى لمناسبة طبيعية بينهما وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما: وهو الذي اقتضاه نقل الآمدي عنه أن تلك المناسبة الطبيعية حاملة للواضع على الوضع وهو أقل نكيرا ولا يمكن ادعاؤه في كل الألفاظ واللغات إذ لو كان كذلك لما وقع المشترك بين الضدين، ولما اختلفت دلالات الألفاظ على معانيها باختلاف الأمم والأزمنة إذ المناسبة الطبيعية لا تختلف باختلافها.

والثاني: وهو أعظم نكيرا أن تلك المناسبة الطبيعية وحدها كافية في كون تلك الألفاظ دالة على تلك المعاني من غير احتياج إلى الوضع وهو معلوم الفساد.

واحتج عباد بن سليمان الصيمري بأنه لو لم يكن بين الأسماء والمسميات مناسبة بوجه ما لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا لأحد طرفي الجائز على الآخر من غير مرجح.

والجواب أن الواضع إن كان هو الله تعالى كان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين كتخصيص وجود العالم بوقت مقدر دون غيره وإن كان الناس فيحتمل أن يكون السبب حضور ذلك اللفظ بالبال في ذلك الوقت دون غيره إذا بطلت المناسبة الطبيعية، وظهر أن مستند تخصيص بعض الألفاظ ببعض المعاني إنما هو الوضع الاختياري حان النظر في الكلام في الواضع.

وعلى ما ذكرنا فالواضع إن كان هو الله تعالى فهو مذهب الشيخ أبي الحسن ومن وافقه وهو المسمى بالتوقيف، وإن كان هو العبد فهو مذهب الشيخ أبي هاشم وهو المسمى بالاصطلاح والتواطؤ، وإن كان منهما فإما أن يكون ابتداء الوضع من الله والباقي من العبد وهو رأي الأستاذ أبي إسحاق أو العكس وهو مذهب ضعيف.

وأما جمهور المحققين فقد توقفوا في الكل وقالوا: بإمكان كل واحد من هذه الاحتمالات الأربعة وهو الذي اختاره حيث قال: ولم يثبت تعيين الواضع.

وقال ابن الحاجب: الظاهر قول الأشعري، ومعنى هذا القول بالوقف لعدم القطع بواحد من هذه الاحتمالات، ويرجح مذهب الأشعري بغلبة الظن، وقد كان بعض الضعفاء يقول: إن هذا الذي قاله ابن الحاجب مذهب لم يقل به أحد؛ لأن العلماء في المسألة بين متوقف وقاطع بمقالته فالقول بالظهور لا قائل به، وهذا ضعيف فإن المتوقف لعدم قاطع قد يرجح بالظن ثم إن كانت المسألة ظنية اكتفى في العمل بها لذلك الترجيح وإلا توقف عن العمل بها.

دلالة لفظ "الإنسان على العموم والخصوص: ولفظ سالإنسان" فإنه يستعمل عموماً وخصوصاً.

-أما العموم فكقوله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)**، وقوله تعالى: **(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ.)** . ويدل على أنه لفظ عام لا يخص واحداً دون آخر قوله تعالى: **(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)**العصر/فاستثنى منه، ولا يستثنى إلا من جملة، ونحو هذا قول العرب: أهلك الناس الدينار والدرهم، وقولهم: الملك أفضل من الإنسان، والإنسان متعبد دون سائر الحيوان.

وأما الخصوص فنحو قولهم: جاءني الإنسان الذي تعلم، ولقيت الرجل الذي كلمك، وقولهم: شربت الماء، وأكلت الخبز، ولم يشرب جميع الماء ولا أكل جميع الخبز، وهذا كثير مشهور تغني شهرته عن الإكثار منه، وقد يأتي من هذا الباب في القرآن والحديث أشياء يتفق الجميع على عمومها أو على خصوصها، وأشياء يقع فيها الخلاف.

-أقسام (ال): ومن أقسامها أن تكون حرف تعريف وهي نوعان: عهدية وجنسية وكل منهما ثلاثة أقسام:

-فالعهدية: إما أن يكون مصحوبا معهودا ذكريا، كما في قوله تعالى: **(كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ)** وقوله تعالى: **(وفِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)**.

أو معهودا ذهنيا كقوله تعالى: **(إِذْ هُما فِي الْغارِ)** وقوله تعالى: **(وإِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)**.

أو معهودا حضوريا، قال ابن عصفور: ولا تقع هذه إلا بعد أسماء الإشارة، نحو: جاءني هذا الرجل، أو أيّ في النداء، نحو (يا أيها الرجل)، أو إذا الفجائية نحو: (خرجت فإذا الأسد)، أو في اسم الزمان الحاضر نحو: "الآن" وقوله تعالى: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)**.

- **والجنسية:** إما لاستغراق الأفراد، وهي التي تخلفها كل حقيقة، كقوله تعالى: **(وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً)**وقوله تعالى: **(وإِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ)أي:كل** الإنسان.

-أو لاستغراق خصائص الأفراد: نحو (زيد الرجل علما) أي الكامل في هذه الصفة، ومنه قوله تعالى: ذلِكَ الْكِتابُ.

-أو لتعريف الماهية: وهي التي لا تخلفها (كلّ) حقيقة ولا مجازا كقوله تعالى: **(وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)** وقولك: (واللّه لا أتزوج النساء) أو (لا ألبس الثياب) ولهذا يقع الحنث بالواحد منها ..

قال الرازي: "الألف واللام" في الإنسان، يحتمل أن تكون للجنس، وأن تكون للمعهود السابق، فلهذا ذكر المفسرون فيه قولين:

القول الأول: أن المراد منه الجنس وهو كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، ويدل على هذا القول استثناء سالذين آمنوا" من الإنسان.

القول الثاني: المراد منه شخص معين.

قال ابن عباس: يريد جماعة من المشركين كالوليد بن المغير، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب.

وقال مقاتل: نزلت في أبي لهب، وفي خبر مرفوع إنه أبو جهل، وروي أن هؤلاء كانوا يقولون: إن محمداً لفي خسر، فأقسم تعالى أن الأمر بالضد مما توهمون.

وتعريف (الإنسان) تعريف الجنس مراد به الاستغراق وهو استغراق عرفي؛ لأنه يستغرق أفراد النوع الإنساني الموجودين في زمن نزول الآية وهو زمن ظهور الإسلام كما علمت قريبا، ومخصوص بالناس الذين بلغتهم الدعوة في بلاد العالم على تفاوتها. ولما استثني منه **(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** العصر/ بقي حكمه متحققا في غير المؤمنين.

وبما أنّ الأسماء على ضربين: مفرد ومركب وأن المفرد إذ كان هو الأصل؛ لأن التركيب إنما هو ضم مفرد إلى مفرد، وأن الاسم المفرد المتمكن في الإعراب على أربعة أضرب:

نذكر منها اسم الجنس الذي تعليله من جنس آخر، والواحد من الجنس وما اشتق من الجنس ولقب الواحد من الجنس وهو الاسم الدال على كل ما له ذلك الاسم ويتساوى الجميع في المعنى نحو: الرجل والإنسان والمرأة والجمل والحمار والدينار والدرهم والضرب والأكل والنوم والحمرة والصفرة والحسن والقبح وجميع ما أردت به العموم لما يتفق في المعنى بأي لفظ كان فهو جنس، وإذا قلت: ما هذا؟ فقيل لك: إنسان فإنما يراد به الجنس فإذا قال: الإنسان فـ"الألف واللام" لعهد الجنس وليست لتعريف الإنسان بعينه، وإنما هي فرق بين إنسان موضوع للجنس وبين إنسان هو من الجنس، إذا قلت: إنسان قال الله تعالى: **(وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** فدل بهذا أن الإنسان يراد به الجنس ومعنى قول النحويين: "الألف واللام"

لعهد الجنس أنك تشير بـ"الألف واللام" إلى ما في النفس من معرفة الجنس؛ لأنه شيء لا يدرك بالعيان والحس، وكذلك إذا قلت: فضةٌ والفضةُ وأرضٌ والأرضُ وأسماء الأجناس، إنما قيلت ليفرق بين بعضها وبعض مثل الجماد والإنسان وهذه الأسماء تكون أسماء لما له شخص ولغير شخص فالذي له شخص نحو: ما ذكرنا من الإنسان والحمار والفضة، وما لا شخص له مثل الحمرة والضرب والعلم والظن.[1]

قال سعد الدين التفتازاني: وقد يفيد المعرف بـ"اللام" المشار بها إلى الحقيقة الاستغراق نحو قوله تعالى: **(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)**أشير بـ"اللام"إلى الحقيقة لكن لم يقصد بها الماهية من حيث هي هي ولا من حيث تحققها في ضمن بعض الأفراد بل في ضمن الجميع بدليل صحة الاستثناء الذي شرطه دخول المستثنى في المستثنى منه لو سكت عن ذكره فاللام التي لتعريف العهد الذهني أو الاستغراق هي لام الحقيقة حمل على ما ذكرناه بحسب المقام والقرينة.[2]

قال الكسائي: العرب تأتي بالواحد في معنى الجميع كقوله تعالى: **(وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)** فالإنسان هاهنا

في معنى الجميع؛ لأنه قد استثنى منه جماعة بقوله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)فمحال أن يستثني جماعة من واحد.[3]

ولقد ورد في درة الغواص أنّه أراد الناس بدليل أنه تعالى استثنى منهم الذين آمنوا ولا يجوز استثناء الجمع من المفرد[4]، وكذلك قوله تعالى: **(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19) ثم قال: (إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22))** .

وقال أحمد بن فارس: وَقَدْ يُستثنى من الشيء الموحَّد لفظاً وهو فِي المعنى جمع، نحو قوله تعالى: **(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)**العصر/.

ورد في كتاب"الجمل" وهو الكتاب المنسوب للخليل بن أحمد أنّ معنى"الإنسان" هاهنا معنى الناس؛ لأن الكثير لا يستثنى من القليل، وإنما يستثنى القليل من الكثير تقول: خرج القوم إلا زيدا، ولا يجوز أن تقول: خرج زيد إلا القوم، إلا أن الإنسان هاهنا في معنى الناس.[5]

-قال قوم: لا يُستثنى من الشيء إلا مَا كَانَ دون نصفه: لا يجوز أن يقال عشرة إلا خمسة.

-وقال قوم: يُستثنى القليل من الكثير ويستثنى الكثير مما هو أكثر منه.

وهذه العبارة هي الصحيحة، فأما من يقول: يُستثنى الكثير من القليل فليست بالعبارة الجيدة، قالوا: "عشرة إلا خمسة" حَتَّى يبلغ التسعة، قالوا: ومن الدليل عَلَى أن نصف الشيء قَدْ يستثنى من الشيء قوله جلّ ثناؤه: **(يَا أيها المزَّمِّلُ قُمِ الليلَ إلا قليلاً)**ثُمَّ قال: **(نِصْفَهُ)**أفلا تراه سمّى النصف قليلاً واستثناه من الأصل؟.

قال أحمد بن فارس: واعترض قوم بهذا الَّذِي ذكرناه عَلَى أبي عبد الله مالك بن أنس فِي قوله فِي الجائحة؛ لأن مالكاً يذهب إلى أن الجائحة إذا كَانَتْ دون الثلث لَمْ يوضع؛ لأنها قليل بمنزلة مَا تناله العوافي من الطير وغيرها وَمَا تلقيه الريح، فإذا بلغت الجائحة الثلث وَمَا زاد فهي كثيرة ولزم وضعها للحديث المرويّ فِيهَا.

قال المعترض عَلَى أبي عبد الله مالك:t فقد دفع هَذَا الفصل المعنى الَّذِي ذهب إليه مالك؛ لأن قوله جلّ ثناؤه: **(قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)** قَدْ جعل النصف قليلاً، فإذا كَانَ نصف الشيء قليلاً منه وجب أن يكون كثيرة مَا فَوْقَ النصف.

فالجواب عن هَذَا أن مالكاً إنما ذهب فِي جعله الثلث كثيراً إلى حديث حدثناه عليّ بن إبراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابن عيينة عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال: " مرضت عامَ الفتح حَتَّى أشرفت، فعادَني رسول الله(ص)فقلت: أي رسول الله إن لي مالاً وَلَيْسَ يرثني إلا ابنتي أفأتصدّق بثلثي مالي؟ قال: "لا". قلت: فالشطر؟ قال: "لا" قلت: فالثلث؟ قال: "الثلث كثير، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالَةً يتكففون الناس " فبقول رسول الله(ص)أعلم بتأويل كتاب الله جلّ ثناؤه..[6]

وعليه ففي استثناء الجماعة من هذا الاسم المفرد دلالة بينة على أن المراد العموم والكثرة، وفي وقوع المفرد موضع الجميع دلالة يعلم بها أن المراد الجمع، وذلك أن الأسماء الدالة على الكثرة على ضربين:

(1) -اسم مبني للجمع، وهو الذي بني للجمع على قسمين:

-أحدهما: من غير لفظ الواحد، وذلك نحو: قوم من رجل ونساء من امرأة.

-والآخر: أن يكون من لفظ الواحد المجموع وذلك كَرْكب من راكب ورَجْل من راجل.

-(2) اسم أصل بنيته ووضعه للواحد ثم يقترن بما يدل على الكثرة، فينقسم أيضاً إلى ضربين كذلك:

-الضرب الأول: أن يكون اسماً مبهماً مقصور لا يقتصر به على أمة كـ"الذي ومن وما" إذا اقترن بما يدل على الكثرة

كقوله تعالى: **(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)**فهذا قد اقترن به ما يدل على الكثرة وهو قوله تعالى: **(أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)**.

-الضرب الثاني: أن يكون اسماً متمكناً أولاً مقصوراً على أمة كالجون والإنسان والفرس، وهذا الضرب من أسماء الأنواع على ضربين: نكرة ومعرفة، وهي التي تقع في غالب الأمر والجمع كما قدمنا وجه تعريفه فإنما يذهب إلى تخصيص النوع، ونظيره قولهم: "أهلك الناسَ الدينارُ والدِّرهمُ وكَثُر الشاءُ والبعير"، ليس المراد درهماً بعينه، ولكن المعنى أهلكهم هذا النوع، وكثر هذا النوع فقد تبين أن القصد في التعريف إنما هو الإشارة إلى ما يثبت في النفوس فليس الدرهم في هذا، ونحوه كدرهم واحد قد عهدته محسوساً ثم أشرت إليه بعد؛ لأن معرفة كلية النوع بالحس ممتنعة، وإنما يعلم به بعض الأشخاص فهذا الفرق بين تعريف الشخص، وتعريف هذا شيء عرض ثم نعود إلى لفظ الإنسان فنقول: ومما يدل على أنه يقع للمؤنث قول الشاعر:

ألا أيها البيتان بالأجرع الذي ـ بأسفل مفضاه غضا وكثيب

هجرتكما هجر البغض وفيكما ـ من الناس إنسان إلى حبيب

فهذا قد أوقعه على المؤنث "إنسان"عندي مشتق من "أنس"، وذلك أن أنس الأرض وتجملها وبهاءها إنما هو بهذا النوع الشريف اللطيف المعتمر لها، والمعني بها فوزنه على هذا فعلان، وقد ذهب بعضهم إلى أنه إفْعِلانٌ من نَسِيَ لقوله تعالى: **(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)** ولو كان

كذلك لكان إنْسِيَاناً ولم تحذف الياء منه؛ لأنه ليس هنالك ما يسقطها فأما قولهم أناسي فجمع إنسان شابهت النون الألف لما فيها من الخفاء فخرج جمع "إنسان" على شكل جمع حِرْباء وأصلها أَناسِينُ وليس أناسي جمع إِنْسيٍّ كما ذهب إليه بعضهم لدلالة ما ورد عنهم من قول رويشد أنشده أبو الفتح عثمان بن جني النحوي.

أهلاً بأهل وبيتا مثل بيتكم ـ وبالأناسِينِ أبدالَ الأناسِينِ.

قال: ياء أناسي الثانية بدل من هذه النون ولا تكون نون أناسِين هذه بدلاً من ياء أناسي كما كانت نون أثانين بدلاً من ياء أثاني جمع أثناء التي هي جمع الاثْنِ بمعنى الاثنين؛ لأن معنى الأثانين ولفظها من باب ثنيت والياء هنا لام البتة فهي ثم ثابتة وليست أناسين مما لامه حرف علة وإنما الواحد إنسان فهو إذْنَ كضِبْعانٍ وضَبَاعِين وسِرْحانٍ وسَرَاحِين، ولا يكون إنسان جمع إنسي؛ لأن الله سبحانه قال: " ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً ".

فقولهم: الإنسان على غير قياس أو على حذف الزائد، وأما الأَنْسُ فجمع إنسيٍّ كزِنْجيٍّ وزِنْجٍ، وذلك أن ياء النسب تسقط في هذا الضرب من الجمع كما تسقط فيه هاء التأنيث كقولهم: طَلْحة وطَلْح، وذلك للمناسبة التي بين ياء النسب وهاء التأنيث.[7]

وأما الناس فأصله عند سيبويه والجمهور أناس وهو جمع أو اسم جمع لإنسان، وقد حذفت فاؤه تخفيفاً فوزنه فعال، ويشهد لأصله إنسان وإنس وأناسي ونقصه وإتمامه جائزان إذا نكر فإذا عرف بـ(أل) فالأكثر نقصه ومن عرف خص بالبلاء ويجوز إتمامه على قلة كما في قوله:

إن المنايا يطلع _ ن على الأناس الآمنينا

وهو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة لأنسه بجنسه لأنه مدني بالطبع ومن هنا قيل :

وما سمي الإنسان إلا لأنسه _ ولا القلب إلا أنه يتقلب

أو من آنس أي أبصر قال تعالى : **(مِن جَانِبِ الطور نَاراً)**القصص/29 وجاء بمعنى سمع وعلم ، وسمي به لأنه ظاهر محسوس، وذهب السكاكي إلى أنه اسم تام وعينه واو من نوس إذا تحرك بدليل تصغيره على نويس فوزنه فعل.

قال ابن عقيل: والألف واللام المعرفة تكون للعهد كقولك: سلقيت رجلا فأكرمت الرجل" وقوله تعالى: **(كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ)المزمل/** 15

قال ابن عطية: والتعريف هنا في السحر أرتب، لأنه قد تقدم منكراً في قولهم: إن هذا لسحر، فجاء هنا بـ"لام العهد" كما يقال: أول الرسالة سلام عليك، وفي آخرها والسلام عليك.

قال الفراء في قوله تعالى: **(قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ)** وإنما قال السحر بالألف واللام، لأن النكرة إذا أعيدت أعيدت بالألف واللام، ولو قال له من رجل لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكر له.

وما ذكراه هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة، ثم أخبر عنها بعد ذلك، لأن شرط هذا أن يكون المعرّف

بالألف واللام هو النكرة المتقدم، ولا يكون غيره كما قال تعالى: **كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ)المزمل/** 15 وتقول: زارني رجل

فأكرمت الرجل، ولما كان إياه جاز أن يأتي بالضمير بدله فتقول: فأكرمته. والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو في قوله: أنّ هذا لسحر، لأن الذي أخبروا عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى-عليه السلام من معجزة العصا، والسحر الذي في قول موسى إنما هو سحرهم الذي جاؤوا به.[8]

-ولاستغراق الجنس نحو قوله تعالى: **(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)** وعلامتها أن يصلح موضعها كل ولتعريف الحقيقة نحو الرجل خير من المرأة أي هذه الحقيقة خير من هذه الحقيقة.[9]

أما لفظ الجلالة "الله" إذ كانت "الألف واللام" لا تفارقانه فإن "الألف واللام" وإن كانا غير مفارقتين فالأصل فيهما أنهما دخلتا على "إله" قال سيبويه: أصل هذا الاسم أن يكون إلها وتقديره (فعال) والألف واللام عوض من الهمزة التي في (إله) وهو على هذا علم.

قال أبو العباس: لأنك تذكر الآلهة الباطلة فتكون نكرات تعرف بالألف واللام وتجمع كما قال الله عز و جل: **(أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً)**وتعالى الله أن يعتور اسمه تعريف بعد تنكير أو إضافة بعد أن كان علماً.[10]

وقال سيبويه في موضع آخر: ويقولون: "لاه أبوك" يريدون: "لله أبوك" فيقدمون اللام ويؤخرون العين والاسم كامل وهو علم وحق الألف واللام إذا كانت في الاسم ألا ينادي إلا الله عز و جل فإنك تقول: يا لله وتقطع الألف فتفارق سائر ألفات الوصل والشاعر إذا اضطر فقال: (يا التي) لم تقطع الألف فهذا الاسم مفارق لجميع الأسماء عز الله وجل.

فإذا أدخلوا "الألف واللام" في أُناس قالوا: الناس هذا قول سيبويه، وذلك أنه ذكر اسم الله عز وجل فقال: الأصل "إلهٌ" فلما أدخلوا "اللام" حذفوا الهمزة وصارت "اللام" كأنها خَلَفٌ منها ثم قال: ومثله أُناس فإذا أدخلت "اللام" قلت: الناس إلا أن الناس قد يفارقه اللام ويكون نكرةً، والله تعالى لا يكون فيه ذلك فَخَرَجَ ظاهر كلام سيبويه على أن الناس لا يجوز فيه دخول الهمزة مع اللام وليس كذلك؛ لأن اللام في الله تعالى خلف من الهمزة وليست كذلك في الناس، ويدلك أنها ليست في الناس عوضاً من الهمزة كما هي عوض منها في اسم الله تعالى ما أنت من اللام، وإنما أراد سيبويه الهمزة مع اللام لا أنه مساو لاسم الله تعالى، وإنما أراد مثل ذلك في بعض أحواله..[11]

مع الملاحظة أنّ العلماء ذكروا أنّ دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

فمعنى دلالة المطابقة: تفسير الاسم بجميع مدلوله، أو دلالته على جميع معناه.

ومعنى دلالة التضمن: تفسير الاسم ببعض مدلوله، أو بجزء معناه.

ومعنى دلالة الالتزام: الاستدلال بالاسم على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها، أو على لازم خارج عنها.

مثال ذلك: =الخالق+ يدل على ذات الله، وعلى صفة =الخلق+ بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي =العلم والقدرة+ بالالتزام. هذه الأنواع الثلاثة تسمى أنوع الدلالة اللفظية الوضعية.

وهذا بعض التفصيل في هذه الأنواع زيادة على ما مضى؛ لتتضح بصورة أجلى.

1- الدلالة المطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له. وذلك مثل دلالة لفظ (البيت) على الجدار والسقف معاً. ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم (العليم) على ذات الله وعلمه، أي: دلالة الاسم علي المسمى، والصفة المشتقة من الاسم نفسه وسميت مطابقية؛ لتطابق اللفظ والمعنى، وتوافقهما في الدلالة.

2- الدلالة التضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.مثل دلالة البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده.

وسميت تضمنية؛ لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل، أي: في داخله، ومن هذا النوع مثلاً دلالة اسم الله)السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال الجزء والكل، بل يقال على الصفة والموصوف.

3- الدلالة الالتزامية: هي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له. مثل دلالة اسم الله (القدير) على صفة الحياة، وعلى العلم وغيرهما من صفات الله تعالى.

يقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق؛ فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.[12]

وعلى ما ذكرناه عن لفظ "إنسان" معرفة ونكرة، وما قاله النحاة في الأسماء مفردة ومركبة يدفعنا إلى أن نثبت أحكامه كما وردت في كتب النحو والأصول.

من المعلوم في عرف النحاة القدامى أن الأسماء التي تفيد الشمول والعموم لها أحكام ومواضع وشروط:

1- فمنها ما يفيد ذلك البتَّة في موضع بعينه، ثم إذا فارق ذلك الموضع، إن كان مما يفارق، جاز أن يفيده وصلح له، وجاز أن يفيد غيره.

-فالأول: هو ما يفيد الشمول في موضع بعينه ينقسم قسمين:

(أ)- منه ما يلزم ذلك الموضع ولا يفارقه، وذلك: كـ"كم وكيف وأين ومتى"؛ لأنها تلزم موضعي الإبهام والاستفهام والجزاء، ولا يدخل على الذي ذكرناه وقوع كما في الخبر، لأنه بالاستفهام أولى حتَّى يقع في الخبر إذا وقع بغير صلة، فيبقى على حده في الاستفهام من الإبهام وسنبين من حاله ما يحتاج إليه في هذا الموضع.

(ب)-ومنه ما يفارق ذلك الموضع وينتقل إلى غيره، ويقترن به، فيه ما يخصصه ويزيل الإبهام عنه فلا يفيد الشمول

والعموم، وقد يقع مع اقتران المخصص به مفيداً للكثرة والشمول، وذلك كـ: "من، وما، وأيّ"، ألا ترى أن هذه الأسماء تقع في موضع الإبهام من بابي الجزاء والاستفهام على حد وقوع الأسماء التي تقدمت فيه، نحو: من عندك؟ وما تفعل؟ ومن تضرب أضرب، ومن تعطه يأخذ، وأيهم في الدار؟ وأيهم تكرم أكرم، فيكون حكمها من الشمول حكم تلك، ويقع أيضاً في باب الخبر موصولة موضحة، أو موصوفة محدودة، فيكون الأولى بها الدلالة على المفرد المخصص في

التنكير، وهي إذا كانت موصوفة وقد يقترن به أيضاً ما يستدل منه على إفادته الكثرة والشمول، فالأول وإن كان لا يحتاج إلى مثال لظهوره نحو: رأيت من أبوه منطلق، وما سلمته إلى زيد، وأيهم في الدار، فهذه مختصة بصلاتها معارف بمعنى الذي، ولموصوف المنكور نحو قولك: "ربَّ من أحسنت إليه أساء إليَّ"، لأنه بمعنى: رب إنسان، ومررت بمن ظريف، أي: بإنسان، وكذلك تقول: مررت بما صالح، أي بشيء صالح، وحمل قوله تعالى: **(هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد)** ق /على أن ما فيه نكرة، ولديَّ صفته، وقال سيبويه: يلزم لما هذا الوصف ثم حكاه غير موصوف في التعجب وغيره، كأنه يريد أن ذلك أكثر أحواله.

-الثاني: كقوله تعالى: **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ)**يونس /، ثم قال: **(وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)**يونس /18، وكقوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا)، ثم قال: **(ولا يَسْتَطِيعُونَ)** النحل /73.

ألا ترى أن القرينة أبانت إفادتها الكثرة، وقد جاء من الأسماء المبهمة مجيء هذه الأسماء الذي وبابه الخبر، كقوله تعالى: **(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)**، ثم قال: **(G أُولَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ)**، وفي قوله تعالى: **(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ)** يونس /42، وهذا كثير جداً.

2-ومنها ما الأولى به أن يفيد الوحدة والانفراد، ثم إذا اقترن به لفظ أو حال أفاد الشمول والعموم،فذلك نحو: عشرون درهماً، وما جاءني من رجل، وهل جاءك من خبر، وكقولك: كل إنسان، وأول فارس، وكل رجل، وتقول كذا فكل هذا حكمه في أصل نيته ووضعه أن يكون للجنس، فصار بالعرف الأولى به أن يكون للواحد، ثم اقترن به ما يستدل به على تناوله الكثرة.

3- ومنها ما يفيد بلفظه الجنس الذي وضع له، ثم ينصرف إلى الوحدة والانفراد بعلامة تلحقه وتغيير، فأسماء الأحداث، نحو: الضرب، والضربة، والانصراف، والانصرافة، ومن شرطها وشرط سائر أسماء الأجناس أن لا تقف على قليل دون كثير، ولا كثير دون قليل إلاّ بدلالة.

4- ومنها ما يفيد الشمول في التنكير على وجه، ويفيده في التعريف على وجه، ثم لا يقع أحدهما موقع الآخر، نحو قولك: كل إنسان يقول ذلك، وكقوله تعالى: **(إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)**، وكقوله تعالى: **(إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)**، وكقولك: عشرون درهماً، وعشرون ديناراً، وعشرون شاة، وعشرون بعيراً. وكقولك: أهلك الناس الدينار والدرهم، وكثر الشاء والبعير، وكذلك: رب سارق سلم، وكل مذنب وفاسق فله وزره. وكقوله تعالى: **(السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ)**، وكقوله تعالى: **(وَالزَّانِي وَالزَّانِيَةُ)**.

ألا ترى أن معرف هذا الفصل لا يقع موقع منكَّره، وكذلك منكره لا يقع موقع معرفة، وأنه ليس كقولك: مائة درهم، ومائة الدرهم. وكقولك: يعطي خزًّا وقزًّا ودرهماً ودينارًا، والخز والقز والدرهم والدينار، وقد كان منه ضرب وشتم، والضرب والشتم.

5-ومنها ما يفيد الكثرة، ولفظه لفظ الواحد، وقد صيغ اسماً للجمع: فهي الأسماء المصوغة لجمع، نحو، كل من جزء وبعض، نحو: قوم من رجل، ونساء من امرأة، وإبل من ناقة وجمل، وأولاء من ذا.

وأن يكون من لفظ المجموع بالاسم المفرد المصوغ للكثرة، وذلك نحو: الجامل من جمل، والباقر من بقر، ونحو: الضئين والكليب، من ضأن وكلب.

6- ومنها ما يفيد الكثرة ولفظه لفظ الجمع: فذلك كجموع السلامة، نحو: المسلمون والمسلمات. وجمع التكسير، نحو قولك: الفجّار والفسّاق.

ولأبنية هذه الجموع تفاصيل وأحكام سننتهي إليها ونفصلها، وهي على الجملة لا تفيد الشمول والكثرة إلاّ بعد تجردها مما يقصرها على الأعداد ويخصصها.

7- ومنها ما يفيد الشمول في باب النفي ولا يقع في الإثبات البتة: وذلك نحو قولهم: "ما في الدار ديَّار"، وما بها طوريّ، وما بها صافر، ألا ترى أنك لا تقول: بها صافر، وبها طوريّ، وبها ديَّار.[13]

الهوامش:

1 - الأصول في النحو، ابن السراج، 1112

2 -مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، 481

3 - غريب الحديث للخطابي، 6421

4 - درة الغواص في أوهام الخواص،481

5- الجمل في النحو، ص: 208 ولقد سألت أستاذي العلامة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عن حقيقة هذا الكتاب الذي نسب للخليل بن أحمد فقال لي: هذا الكتاب في حقيقته لابن شقير استخلصه من الكتاب، ولما قابلت ما في هذا الكتاب بكتاب سيبويه وجدت حقيقة ما قاله الأستاذ أطال الله في عمره ونفعنا بعلمه، وقد نشرت هذه المقابلة في مجلة اللسانيات...

6 - الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، ص: 32

7 - المخصص لابن سيده، 91

8 - إعراب القرآن لابن سيده، 3855

9 - شرح ابن عقيل على الألفية،1781

10 - الأصول في النحو لابن السراج، 1132

11 - المخصص لابن سيده، 91

12 - انظر المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم د. عوض الله جاد حجازي، والصفات الإلهية د. محمد أمان ص178ـ179.

13 - أمالي المرزوقي، 331

مفعول "غريب الألفاظ" في الدرس المعجمي
(وقفة على السبب الأساسي
لنشأة المعجم في العربية)

د. ابنُ حَوْيْلي ميذْني
أستاذ علوم اللسان العربي كلية الآداب واللغات
جامعة الجزائر2 (بوزريعة)

مقدمة:

لا نعرف عن العرب في عصرهم الجاهلي برهانا واضحا عن اهتمامهم بالبحث العلمي بله اللغوي، وبالنتيجة لا يمكن أن نجد لهم أثرا علميا بارزا في هذا المجال وتطبيقاته التي نبتغيها اليوم، و يبدو لي أن أقصى همّ يشغلهم هو أن يعيشوا يومهم بأقلّ مشقة. غير أن المؤكّد الذي لا يختلف فيه العاقل مع نفسه هو أنه كان لنزول أول آية في سنة 610م ، - وهي (اقرأ باسم ربك) - وقعٌ عنيف وهزّ شديد للنفوس المؤمنة لكي تسير في اتجاه التغيّر والتطوّر، في ظلّ تعاليم الدين الجديد الذي كان مثابة تباشير لبزوغ شمس حضارة عربية إسلامية، تعدّ الأولى من نوعها، عرفتها الإنسانية على وجه البسيطة، جاءت منقذة للناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، أنزلها الروح القدس على قلب سيدنا محمد(ص)، في كتاب مكنون، بلسان عربي مبين، وكان من أوكد واجبات المؤمنين، من العرب

والمسلمين الأوّلين، وهم أصحاب الفصاحة والبيان، أن يحسنوا فهم معاني هذا الذكر الحكيم، ويتقنوا آليات إدراك مراميه، كي يجيدوا استنباط أحكامه. **ولكن ما الأمر؟ وقد قابلوا فيه من المعاني ما هو عنهم جديد، ومن الألفاظ ما هو عنهم غريب نديد، وعن أفهامهم معجم شديد، فلا بدّ، إذن، من طلب تذليل صعوبته، وشرحه وتقريبه إلى الأذهان والأفهام؟**

ومن هذا المنطلق بدأ عمق التفكير وجيّد التدبير في البحث عن حلّ لمعضلة (الغريب)، مع التركيز مبدئيا على ما جاء في أصول أساسية ثلاثة، هي بالترتيب:

1 – القرآن الكريم.

2 – الحديث الشريف.

3 – لسان العرب .

ثم كانت، من أجل ذلك، الرواية والجمع والحصر والترتيب والشرح والتذليل، للألفاظ والمعاني الغريبة، ومن ثمة بدأت الإرهاصات الأولى للتأسيس المعجمي في العربية ، في القرن الأول الهجري، على يد ثلة علماء الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم).

1 – مفهوم " الغريب " في اللغة والاصطلاح:

* **الغريب** من الناس **لغة**، هو البعيد عن وطنه، وجمعه (غُرَباء). ومنه قول الشاعر:

إذا كوكبُ الخرقاء لاح بسُحْرَةٍ سُهيلٌ، أذاعت غزْلَها في **الغرائب** [1] .

وقالت العرب أيضا : " قذَفَتْهُ نوى غَرْبة، أي بعيدة ". [2]

* **واصطلاحا**، هو - في ما تعلق بألفاظ اللسان - " الغامض من الكلام "، ومنه " كلمة غريبة". ويقال: تكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره. وقد غربت هذه الكلمة؛ أي غمضت فهي غريبة. وأوضحوا المقصود من الكلام الغريب، بقولهم: " وكلام غريب: بعيد عن الفهم". (3)

من كل ما سبق، يلاحظ أن الكلام الغريب، أو الغرابة في اللفظة س كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة " بين الناطقين بهذا اللسان أو ذاك، وذلك لأن المُعَوَّل عليه في ذلك هو استعمالُهم.

وأعار علماء العربية (اللفظ الغريب) عنايتهم من الدرس والبحث ، فميّز البلاغيون - على وجه الخصوص- جملة من صفات الخاصة به في قسمين بارزين من الألفاظ هما :

① - ما تنْتابُ السامع معه حيرةٌ في فهم المعنى المقصود من اللفظ، لتردده بين معنيين أو أكثر بلا قرينة. ولأنه قد خرج لوجه بعيد عن معناها الأصلي، كما هو الحال في بعض الألفاظ المشتركة ، كقول رؤبة بن العجاج :

ومقلةً وحاجباً مزجّجا وفاحماً ومَرْسَنا مُسَرَّجَا

فلا يُعلم ما أراد بقوله «**مُسَرَّجا**» حتى اختلف أئمة اللغة في تخريجه ، فقال ابن دريد: يريد أن أنفه في الاستواء والدقة كالسيف السّريجي. وفي شرح ابن سيده : يريد إنه في البريق واللمعان كالسراج...، فلهذا قلنا إنه قد يحتار السامع في فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين بدون قرينة تعين المقصود منهما. وأما مع القرينة فلا غرابة في ذلك، كما ورد مع لفظة (عزَّر) في قوله تعالى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ الأعراف/157. فإنها مشتركة بين التعظيم والإهانة. ويبدو لي أن ذكْرَ النصر هاهنا كان قرينة لإرادة التعظيم وليس للإهانة.

② ـ ما يعاب استعماله لاحتياجه إلى تتبع اللغات، وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم وقواميس اللغوية المطوّلة ، وهو على نوعين :

1/2 – **ما يعثر له على تفسير بعد كدّ وبحْث** ، نحو: (تكأكأتم) بمعنى (اجتمعتم)، من قول عيسى بن عمرو النَّحوي [4]، الذي كان مشهورا (بالتقعير)، أي استعمال الكلام (الحوشي الغريب) ، من ذلك مثلا ما حكاه الجوهري في كتاب " الصحاح " قال إنه كان يعاني من مرض ضيْق التنفّس ، فأدركته الأزمة ذات يوم، وهو في السوق، فسقط عن حمار له، واجتمع عليه الناس، وهم يقولون: مَصْروعٌ مَصْروعٌ ، وكلهم بَيْنَ قَارئ ومُعَوّذٍ من الجَان. فلما أفاق من غشيتِه نظَرَ إلى ازدحامهم ، ثم قال : " ما لكم **تكأكأتم عليّ كتكأكئكم** على ذي **جِنّةٍ** ، **افْرَنْقِعُوا** عنّي". ومعناه (بلساننا المبين) : ما لكم اجتمعتم عليّ كاجتماعهم على مجنون، ابتعدوا عني... فابتعد الناس عنه متأثرين بما رَأوا، غير أن بعضَ الحاضرين عَلّق قائلا : " إن (جِنّهُ) يَتَكلّمُ بالهنْديَّة ".

2/2 – ومنه ما لم يُعْثر على تفسيرٍ لَهُ، وقد احتار علماء اللغة في أمره، كقول أبي الهميسع :

إن تَمنعِي صَوْبَكِ صوبَ المَدْمَعْ يَجْري على الخَدِّ كضِئْبِ الثَّعْثَعِ

من طَمْحَةٍ صَبيرُها **جَحْلَنْجَحْ**

جاء في (القاموس المحيط) للفيروزأبادي ، ومثله في (لسان العرب) لابن منظور" أنهم ذكروا اللفظ ولم يُفَسِّروهُ، وقالوا : " كانَ أبو الهَمَيْسَعِ هذا من أعْرابِ مَدْيَنَ، وما كُنَّا نَكادُ نَفْهَمُ كلامَهُ ". وكان الأزهري، صاحب (تهذيب اللغة) يقول في مثل هذه الأألفاظ : س هذه حروف (يعني ألفاظ) لا أَعرفُها ولم أَجدْ لها أَصلاً في كتب الثِّقاتِ الذين أَخذوا عن العرب العارِبة ما أَوْدَعُوا كتبَهم، ولم أَذكرها وأَنا أَحِقُّها، ولكنّي ذكرتُها اسْتِنْداراً لها وتَعَجُّباً منها، ولا أَدري ما صحّتُها "!

2 – نماذج من ألفاظ الغريب :

2 – 1 / في القرآن الكريم :

لا نقصد ها هنا بمصطلح (الغريب) ما كان مُخِلا بالفصاحة والبلاغة ؛ وإنما نريد الغامض من الكلام المبهم في الأفهام، وأصله مشتق من قولك: غربت الشمس تغربُ غروباً إذا بَعُدت و توارت في مغيبها عن الأنظار، ومنه شخص غريب إذا بَعُد عن وطنه وصار مجهولا عند من حوله. وصيغة اللفظ (فعيل) تعني (فاعل). ومنه: أغْرَبَ الرَّجُلُ في كلامه؛ أي جاء بشيءٍ غريبٍ بعيدٍ عن الفهم.

ويرى بعض الدارسين للسان العربي أن ليس في القرآن الكريم لفظ غريب، باعتباره نصا عربيا خالصا، ويستشهد على ذلك بكون القرآن نزل (بلسان عربي مبين) على أمة جاء ليخاطبها بما تفهم ، حتى يكون رحمة بها وحجّة عليها، كدأب الرسالات السماوية التي قبله، وقد قال تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) سورة إبراهيم /4). ولهذا السبب كان بعض المتشددين من علماء العربية يرفضون رفضا قاطعا قبول أي قول في وجود الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم ، وفي حسبانهم أن مثل هذا القول يخالف أحكام وصفه بالعربي المبين في الآية أعلاه ، ومن خالفها فهو آثم.

والمقبول عقلا ونقلا عند الدارسين الأولين والآخرين، هو إمكانية وجود اللفظ (الغامض) أو المستعصي عن الفهم، في أي نص لغوي مهما كانت طبيعته ، ومهما سمت قدسيّته ، والقرآن كلام الله المنزل على سيدنا محمد(ص) هو (نص لغوي عربي) يحمل رسالة خالدة ، كما أنه موجّه ـ يقيناـ إلى مخاطبة أفهام ومدارك وعقول بشرية، عاجزة ـ بالطبع ـ عن فهم كل ما أتى به ، وإدراك كل مقاصده، فيكون بالضرورة وجود ألفاظ قد غَرُبت عن أفهام الناس، أو عزبت عن مداركهم، فلابد لها ـ إذن- من مساعدة لغويةune assistance linguistique تذلّل الصعوبات عند وجودها.

والمعلوم عند ذوي الألباب أن الناس (أفرادا وجماعات، في كل عصر ومصر)، قد يختلفون في فهم لغتهم وتشعّب دلالات ألفاظها، تبعا لاختلاف قدراتهم وطبائعهم والثقافات التي ورثوها، ودرجة المستوى الحضاري المكتسب، والوعي النفسي المرتقب.

وينطبق هذا الحكم على حال العرب مع النص القرآني، فقد وجدوا في نصه الكامل ألفاظا ومعاني وقفَ عقلُهم عندها حائرا متدبّرا، يفحص ويتمعّن ويقلّب مقاصدها وتلوّن دلالاتها، فكان أن وجدها- رغم صورتها العربية المألوفة - من

(الرصيد اللفظي) الذي لم يعرفه كثير منه أو يألفه أو لم يتداوله، أو لم يعالجه...، في معاني حياتهم اليومية، ولذلك فهي غريبة عن المدارك والأفهام. ويمكننا، تبسيطا للدرس، ذكر بعض صفات ألفاظ القرآن، وهي:

1 - ألفاظ عربية (ابتكرها القرآن) للتعبير عن معاني الحياة المستجدة في مختلف جوانب الحياة التي أدخلها في حياة المسلمين.

2 - ألفاظ عربية خرجت من الاستعمال مع خروج معانيها من حياة العربي، فبعدت عن الأفهام، وجاء القرآن الكريم ليبعثها متداولة من جديد.

3 - ألفاظ لها أصول أعجمية، لمعاني حضارية معروفة عند الأمم الأخرى، وعربت صورتها بدخول معانيها وتمّ تداولها في منطقة عربية، أو وسط حضاريّ معيّن دون آخر من أرجاء الجزيرة العربية الأخرى، وجاء القرآن الكريم فوجدها مستعملة عند العرب، فأقرّ استعمالها.

4 - ألفاظ عربية أصلا وفصلا، معبرة عن معاني معروفة في حياة العربي، لكنها مستعملة بصورة عند قبيلة دون أخرى، فتكون بالضرورة مجهولة في الأوساط القبلية الأخرى.

ونظرا إلى أهمية استيعاب الأوامر والنواهي وما يتبعهما من فرائض وواجبات فقد تهمّم المسلمون منذ البداية بكل ما يمكن أن يساعدهم على حلّ مشاكل الفهم والإفهام. وكان الرسول(ص) ملاذهم الحصين لكل الملمات، ومنها (قصور) أفهامهم عن إدراك معاني القرآن الكريم، وما يمكن أن يتولد عن هذا القصور من غموض في إدراك المقاصد وفهم التوجيهات الربانية، ومنهج تطبيقها الصحيح...، لذلك كان(ص) يتطوّع لشرح غوامض الألفاظ والمعاني ومبهماتها،

لا يكلّ في ذلك ولا يملّ، سواءً سُئل في شيء منها أم لم يسأل، وفق مَا عُرف عليه من دراية بلسان العرب، وبلهجات القبائل المختلفة، ولا جرم، فهو البليغ المطلّع، لا ينازعه(ص) اللسان العربي وآدابه أي بشريّ...، (وسنرى جوانب من بلاغته(ص) حين الكلام في الحديث الشريف) .

والمعلوم، يقينا، أن الله تبارك وتعال_ قد علّم رسولَه الكريم ما لم يكن يعلم، ثم أمره بتبليغ الرسالة على الوجه المطلوب، قال: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكنتعلمُ وكان فضلُ الله عليك عظيمًا) سورة النساء/ 113.

وذكر القرطبي في تفسيره (الجامع30/7) نقلاً عن الصحيحين عن ابن مسعود، أنه لما نزل قول الله تعالى: (الذينَ أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ) الأنعام /82، شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله، وقالوا أيُّنا لم يظلم نفسه – فقال رسولِ الله (ص): ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: (يابُنَيَّ لا تشركْ باللهِ إنَّ الشركَ لظلم عظيمٌ) لقمان /13. وبعد انتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، كان المسلمون يتّجهون إلى كبار الصحابة والتابعين، والعلماء الفاهمين، يستفسرون عن ألفاظ القرآن ومعانيها.

ثم صار للعلماء من بعده (ص) دوْرٌ منظور وجُهد مشكور في ميدان (علم التفسير وشرح الغريب)، وهو امتداد لعلومه وقبسٌ من نوره (ص)... ثم هو امتثال لأمره (ص) القائل: « أعْربُوا القرآنَ والتمسوا غَرائبَه » [5] .(رواه الحاكم في المستدرك) .

ولأمر ما اقتفى أئمة العربية الأوّلون هذا الأثر الكريم، باتخاذهم لأنفسهم وسيلة إلى تعلمه والأخذ به في مسائل)العربية)عامة، ومسائل تدارس القرآن خاصة. قال أبو العباس ثَعْلب [6]: « وكنتُ أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره ، فلما أتقنتُه أكبَبْتُ على الشعر والمعاني والغريب»[7] .

ومن العجيب أن وجدنا من بينهم من يحفل بحفظ (الغريب)، ويُكاثِر به غيرَه، بل ويتفنّن في البحث عن أغواره ومتاهاته وأصنافه ومنازله وأصوله وتلوّناته...، وقد يصل الأمر أحيانا بين جُمَّاع الغريب إلى مشاحنات مفضيَّة إلى التنافُر والتطاحُن والعداوة بلا مبرّر، وذلك حينما يزعم أحدهم أنه أعرف (بالغريب) من الآخر، أو الآخرين في مقامات خاصّة، أو في حَضْرَات معيّنة، يكون للغالب فيها جوائزُ، أو عطاءاتٌ معتبرة من لدن ذوي الجاه القائم، والمال السائم، أو السلطان الفاهم ... ولله في خلقه شؤون.

ويبقى الهدف التربوي الظاهر من درس (غريب القرآن) والتصنيف في موضوعاته ، والتأليف في أبوابه هو تقديم معاني المفردات القرآنية لطلاب العلم والأدباء والباحثين حتى يقفوا على حقيقة أمرها، فيحسنوا الإفادة منها. وذكر الراغب الأصفهانى في مقدمة كتابه (مفردات غريب القرآن) موضّحا بقوله : « إن أول ما يُحتاج أن يُشتَغَل به من علوم القرآن، هي العلومُ اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيقُ الألفاظ المفردة، وتحصيلُ معاني مفردات ألفاظ القرآن،... وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علمٍ من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدتُه وواسطته وكرائمُه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمِهم، وإليها مَفزعُ الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم...»[11] .

كما ذكر شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (المتوفى حوالي سنة 666 هـ/1267م)، في كتابه سغريب القرآن[11] أن طلبة العلم وحملة القرآن سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن ، فألف لهم ما أرادوا». [8]

ب - مُصنّفاتٌ في غريب القرآن ومعانيه:

ويقال إن أول من صنّف في معنى غريب القرآن هو أبو سعيد **أبان بن تغلب بن رباح** البكريّ الجريريّ الكِنديّ الرّبعيّ الكوفيّ، الأديب، القارئ، الفقيه، المفسّر، أحد المحدّثين المشهورين، ومن مشاهير أتباع التابعين بالكوفة، ومن أعاظم القراء. نُسبت له تصانيفُ لم يصلنا منها شيءٌ ، وذُكر له فيها كتابٌ في)غريب القرآن) ، وآخرُ في (معاني القرآن). توفي عام 141هـ/ 758م. وهناك من يقول إن ابن عباس [9] هو أول مَن قال بغريب القرآن، وطبع له كتاب فيه، عدة مرات، بعنوان (غريب القرآن)، منها طبعة مكتبة القرآن بالقاهرة عام 1988م، بتحقيق محمد إبراهيم سليم. ثم توالت التصانيف في (علم غريب القرآن)، واتخذت تسميات مختلفة، منها : معان_ القرآن، الوجوه والنظائر، الأشباه والنظائر، مجاز القرآن، تأويل مشكل القرآن...، وغير ذلك من المسميات، وكلها تعالج ألفاظ (غريب القرآن) ومعانيه. وهي من الكثرة والتنوّع واختلاف الأسماء وكيفيات المعالجة بحيث أتعبُ في عَدّها لو أردتُ، إلا أنه ، وتعميما للفائدة، أقترح عليكم بعض العناوين الفاعلة، مرتّبة بحسب تاريخ وفاة صاحبها:

* **معاني القرآن**، للكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، المتوفى عام 189هـ/804 م.

* **غريب القرآن،** لأبي بكر محمد بن حسن بن دُرَيْد، المتوفى عام 321 هـ/933 م.

* **غريب القرآن ،** المسمّى نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ، المتوفى عام 386 هـ/ 996م.

* **المفردات في غريب القران،** لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى. المتوفى عام 502 هـ 1108 /م.

* **تذكرة الأريب في تفسير الغريب،** لعبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد، المعروف بأبي الفرج ابن جوزي، المتوفّى عام 597 هـ/ 1200م.

والقائمة طويلة جدا، ولا أحسبني قادرا على الإحاطة بها في هذه العجالة.

ج - أمثلة من (غريب القرآن) وما قيل في تفسيرها:

ارتأت حكمة الله أن ينظر المسلم في آي الذكر الحكيم ، متدبّرا لألفاظه ومعانيه ، متفهما لشريعته ومقاصده في كل زمان ومكان. وأما نحن في مقامنا هذا، فالمطلوب منا _ كدارسين - بعد أن تحدثنا عن (الغريب) أن نورد أمثلة من ألفاظ القرآن الكريم، التي نعتقد فيها هذه الصفة، كي نطبّق عليها، فبالمثال يتضح المقال كما يقال ، لذلك فانظر إلى هذه العيّنة- يرحمك الله _ وتمعّن ما قيل فيها:

1 - الأبُّ:

جاء في قوله (عزوجل):

(فَلْيَنظُرِ الإنسانُ إلى طعامِه٢٤ أنا صببنَا الماءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنا الأرض شَقًّا٢٦ فَأنْبَتْنا فيها حَبًّا ٢٧ وَعِنَبًا وقَضبًا ٢٨ وَزَيْتُونًا ونخْلاً ٢٩ وحدَائق غُلْبًا ٣٠ وفَاكِهةً وأبًّا ٣١ مَتَعًا لكُم ولأنعامِكم٣٢) (عبس / ٣١)

قال الاشتقاقيون إن اللفظ من أصل (أب ب) ، ومنه : (أبَّ - أبًّا). وهو لفظ واحد، جاء مرة واحدة في سورة مكية النصوص اللغوية والتفسيرية، وهي الآية المذكورة أعلاه ، وذكروا لها تفاسير أغلبها يشير إلى دلالتها على (الكلأ والمرعى)، أو (ما تعتلف منه الدواب)، وقال آخرون شيئا يقاربه، أي أن الأبّ هو: الكلأ والمرعى، وكل ما ينمو بدون تدخل الإنسان ويرعاه الحيوان". وقيل: ما يأكله الآدميون من النبات يسمى الحصيد، وما يأكله غيرُهم يسمى الأبّ.

والصحابة (رضوان الله عليهم) هم أعلم الناس بعد الرسول(ص) بآي الذكر الحكيم، لغتها، وأسباب نزولها، وموطن استعمالها، وهم أهل الفصاحة والبيان، وفن القول، قد تجد منهم من يصرح بجهله لمدلول هذا اللفظ أو ذاك، أو يتحرّجُ ورَعًا وتقوًى أن يخوضَ في معاني المفردات القرآنية، ومن هؤلاء مثلا أبو بكر الصديق(رضي الله عنه)، الخليفة الأول ، يسأل عن معنى (أبًّا) في قوله تعالى: (وفاكهة وأبًّا) فيقول: " أيُّ سماء تُظِلّني؟ وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني ؟ إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم". (10)

وهذا عُمر بن الخطاب(رضي الله عنه)- كما روى ابن شهاب عن أنس- يقرأ هذه الآية، ثم يقول: " كل هذا قد عرفنا، فمَا الأبّ ؟ ... ثم ألقى عصًا كانت بيده وقال: هذا - والله - التكلُّف. وما عليك يا ابنَ (أم) عُمر إنْ لم تَدْرِ ما الأبُّ ؟ ثم قال: « اتّبعوا ما تبيَّن لكم من هذا الكتابِ، وما لم يَتَبيَّنْ فدَعُوهُ » .

وتشابهت الإجابة عن السؤال عند بعض الصحابة، ومنهم ابن عباس(رضي الله عنه)، ذلك الشاب العالم (راجعْ ترجمته في هامش الصفحة السابقة) ، الذي شرح (الأبّ) لغويا بقوله هو " ما نبتت الأرض، مما لا يأكل الناس" .

وفسّر عكرمة العلاقة بين اللفظين بقوله إن " الفاكهة: ما يأكله الناس ، والأبّ : ما يأكله الدواب " .

2 - حَنِيذ :

جاء اللفظ في قوله(عز وجل) : (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) (هود /69). وحَنَذَ اللَّحْمَ : شواه وأنضجه، فاللحم حنيذ. وأصله " محنوذ " ، وصرف من " مفعول " إلى " فعيل ". وجاء في (معجم مختار الصحاح) : حنذ الشاة : شواها. بعد أن جعل فوقها حجارة محماة لتنضجها فهي حنيذ. وعليه، فالحنيذ (يستوي الاسم للذكر والمؤنّث) هو المشوي على الحجارة (الرضف) ، ويكون غالباً بوضع (العجل) ، أو غيره من (الأنعام) التي يراد إنضاجها، في حُفرة خاصة فيها رضف، ويوقد عليها، ثم يُغلق باب الحفرة فينضج اللحم بسرعة. ويلاحظ هنا كذلك أن الحنيذ ما هو إلا نوع من الشواء، ولكن طريقة تحضيره تختلف عن الشواء المعتاد. قال ابن جرير الطبريّ في تفسيره للآية إن إبراهيم(عليه السلام) قام إلى عجل " ذبحه ثم شواه في الرَّضْف، فهو الحنيذ حين شواه ".

وفي الآية تنبيه ضمني إلى وجوب الإسراع **بقِرْى** الضيف الغريب، ثم إنه من تمام الضيافة وحسنها أن يكون الأكل كافيا ، بل كثيرا، لاحظْ - إن شئت - أن سيدنا إبراهيم(عليه السلام) قدّم عجلا كاملا لثلاثة أشخاص فقط. ومن مراعاة آداب الضيافة أن يقدّم (العجل) غير منقوص ليدلّل على أنه قد أنضج من أجلهم، مبالغة في الكرم، وكان من الممكن أن يكفيهم كيلو لحم واحد، لو كانوا بيننا !!

ومازال تقديم (الحنيذ) للضيوف من التقاليد العريقة التي يحرص العرب عليها ، وشعبيتها كبيرة في مناطق الجنوب، ووجْبة الحنيذ تَحْظى دوما باهتمام أهل البادية. وإذا كان الفول هو الطبق المفضّل في الإفطار الرمضاني عند المعْسرين في الحجاز، فإن وجبة الحنيذ تكوِّن الوجبة المفضلة للإفطار عند الميْسورين من أهل المنطقة الجنوبية في السعودية.

3 - خَرَقُوا :

جاء اللفظ في قوله(عز وجل: (وخَرَقُوا له بَنينَ وبَنَاتٍ بغير علمٍ) (الأنعام/ 100). قد يشتبه هذا الفعل بفعل آخر يأتي معه بالوزن نفسه (خرقوا = ثقبوا، ومرّوا من خلال...) ، فيكون هذا الاشتباه سببا في الغموض والإبهام، ومن ثمة يأتي وجه الغرابة.

وبسبب غموض معنى الكلمة قد يلجأ كل مفسّر إلى إعطاء (مرادف) حسب ما يفهم، ولذا تعددت المترادفات للفظ الواحد، وتباينت قربا وبعدا، مع العلم أن المترادف الحقيقي نادر جدا، وهكذا قالوا إنّ (خرقوا) قد يكون من بين معانيها: جعلوا، كذبوا، خرصوا، قطعوا له، وصفوا...، وقال ابن كثير في شرحه: " ومعنى (خرقوا) أي اختلفوا، وائتفكوا، وتخرّصوا، وكذبوا ...،" وذكر قول علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن: " خرقوا يعني تخرّصوا "... وسبحان الله عما يُشركون.

4 - فَاطِر:

ورد هذا اللفظ في آيات قرآنية عديدة، وتوجد سورة كاملة بهذا الاسم، قال تعالى:(الحمد للّه فَاطرِ السموات والأرض جَاعلِ الملائكة رُسُلاً أولى أجنحة مَثْنَى وثُلْثَ ورُبْعَ يزيد في الخلقِ ما يشاء قدير)(فاطر/01).

ويبدو اشتقاق هذا اللفظ من أصل عربي صرف هو (ف ط ر)، ومنه الفطرة، وهي الخلقة والطبيعة، واللفظ على وزن اسم فاعل، من معنى فطر الشيء: أوجده على غير مثال سابق، أو خلقه من العدم، أو ابتدعه... ويبدو لي أن الناظر لهذه الكلمة يرى معناها بيّنا واضحا، عربيا خالصا ، فلا داعي للقلق، ولكن مع ذلك نجد من يرتبك في دلالتها التأويلية أو يتردّد ، كأن الصعوبة آتية من شدة سهولة فهمنا لها... ومثال ذلك ما يروي عن (ترجمان القرآن وحبر الأمة)، الصحابي الجليل عبد الله بن عباس(رضي الله عنه)، عن نفسه، أنه لم يكن يدري ما معنى (فاطر)، معترفا بقوله: " ما عرفت (فَاطِرِ السموات والأرض) حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدُهما: أنا فَطَرْتُهَا؛ أي ابتدعْتُها " .[11]

فهل يعقل أن يكون ابن عباس يجهل المعنى، أم أن هناك شيئا آخر خفي فهو يطلبه ؟ المستنتج من اعترافه أنه كان شديد الحرص على تتبّع معنى الكلمة القرآنية، وأن لا يكتفي بالظاهر منها، وتلك ميزة الباحث المحقّق، والدارس المدقّق. نفعنا الله وإياكم بهذا الصفات... قولوا آمين.

5 - المُخْبِتِين :

ورد لفظ (الإخبات) في القرآن الكريم بمشتقاته في ثلاثة مواضع هي قوله سبحانه تعالى: (فَإِلَهُكم إِلَهٌ واحد فلهُ و أسلموا وبشِرِ المخْبِتينَ)(الحج/34) ، وقوله عَزَّ من قائل : (إنَّ الذين أمنوا وعملوا الصالحات وأخْبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هُم فيها خالدون) (هود/23 ، وقوله (عز وجل) :

(وَلِيَعْلم الذين أوتوا العلمَ أنَه الحَقُّ من ربكَّ فيؤمنوا به فتخْبِتَ له قلوبهم) (الحج/54) .

واللفظ ، ها هنا ، في حالة جمع المذكر السالم، ومفرده **(مُخْبِت)** ، على صيغة اسم فاعل من الفعل المزيد (أخبت) ، ومصدره (الإخبات) ، والفعل الثلاثي المجرّد منه (خبت) ومصدره (الخَبْت). وأصل دلالته اللغوية على المكان المنخفض أوالمطمئن من الأرض؛ ضدّ المُصعِد والمرتفِع؛ ثم استعير لمعنى تواضع الإنسان الدّيّن، كأنّ **(المُخْبِت)** سَلَكَ نفسَه في الانخفاض، فأصبحت سهلة سمحة مِطْواعة؛ ويقال: فلان فيه خِبْتة؛ أي : تواضُعٌ ودمَاثَة.

ومعلوم أن (علم المفردات العربي La lexicologie arabe) يؤكّد ما لظاهرة القلب والإبدال بين الأصوات من تأثير عميق في إنشاء الألفاظ وابتداعها وتنمية الرصيد المعجمي المستعمل. انظر مثلا إلى بعض لهجات القبائل في الجزيرة العربية وما وقع في بعض ألفاظها من إبدال، ولاحظ كذلك لهجة قبائل أولاد نائل عندنا (وهم عرب خلّص) يقولون لك : اقْضَبْ دراهِمك ويَعنون (اقْبَضْ دَرَاهَمَكَ). وقد تسمع في بعض جهات الوطن من يسبّ فيقول: هذا عدوّ خبيت (بالتاء) ، وهو يقصد : هذا عدوّ خبيث (بالثاء). فيلتبس على السامع فهم المقصود، أهِجَاءٌ هو أم مدْح ؟ ... ولولا سياق المقام لكانت فتنة كبرى.

ولمصلحته في الدنيا والآخرة يحفظ المؤمن ما كان من دعائه(ص) : " رَبِّ اجعلْني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مِطواعًا، إليك مخبتًا، لك أوَّاهًا منيبًا " . (رواه أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي) ، وقال أيضا(ص): " اللهم إنَّا نسألك قلوبًا أوَّاهَةً مُخْبتَةً مُنِيبَةً في سَبِيلك ". - رواه الحاكم -. ونعود للتذكير بأن لفظ (خبيت) في درسنا يكون للمدح ، لا غير، وكل منا يطمح في أن يعدّ عند الله مخبتا منيبا، فاللهمّ اجعلنا من عبادك المخبتين إليك.

وتظهر لنا هذه الألفاظ غريبة لأنها غير مستعملة في لساننا العربي اليوم، أو تغيّرت دلالتها بعوامل وأسباب متعددة ومتباينة يهتمّ بدراستها علم الدلالة وعلماؤه. وبما أن (الغريب) كما فهمنا هو دائما في حاجة إلى تفسير، فقد بحث العلماء المسلمون الأولون في القضية إلى أن كان لهم من الفتح ما أرادوا، وأنشأوا علما من العدم، أخصوه لأنفسهم، وأسموه (علم التفسير). وسنقف يوما عليه وقفة دارس متدبّر، إن شاء الله.

2 / 2 - في الحديث الشريف :

أ- مفهوم غريب الحديث لغة واصطلاحا، وحقيقة وجوده:

أرجو أن تتذكروا جيدا أنه قد سبق لنا القول في موضوع عن معنى الغريب لغة واصطلاحا أثناء تناول " غريب القرآن ". وأستسمحكم الآن لإعادة بعض (الكُلَيْمَات) ابتغاءَ توكيد المعلومة وتثبيتها، فنقول: إن لفظ (غريب) يجمع على (غرباء)، واشتقاقه من: غَرُبَ عن وطنه غَرَابَة وغُرْبةً إذا ابتعد عنه، وغَرُبَ الكلامُ غرابةً إذا غَمُضَ وخَفِيَ.[12]، وبذلك نكون قد فهمنا أن اللفظ الغامض هو ما كان بعيدا عن الفهم، بسبب قلّة استعماله واحتياجه إلى بيان وتوضيح.

وأما اصطلاحا فقد يكون المقصود من (غريب الحديث) هو ما يخفى معناه لقلة استعماله ودورانه على الألسنة، بحيث يبتعد فهمه ولا يظهر إلا بالتنقيب عنه في كتب اللغة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ننبّه إلى أن " علم غريب الحديث " هو فنّ قائم بذاته ، قد أفرد له العلماء المختصّون بحوثا خاصة لأهميته، على اعتبار أن الفهم الصحيح والتلفظ السليم للكلمة أو العبارة الغريبة يتوقف

عليهما فهم المعنى الصحيح، وبالتالي يترتب صحة استنباط الأحكام الشرعية والإفادة القصوى من متن الحديث. ومن المؤكّد أن العناية بفهم الغريب من الألفاظ واجبة لمن يروى الحديث بالمعنى؛ لأنه لا يستطيع أن يختار من الألفاظ والعبارات ما يؤدى المعنى نفسه إلا إذا كان على فهم صحيح للفظ الأصلي.

وألّف العلماء في موضوع (غريب الحديث) تصانيف كثيرة، بأسماء متشابهة ومختلفة أحيانا، وليس من مهمتنا في هذه العجالة أن نوسّع الحديث عنه، غير أنه لا بأس من أن نتعرّف على وجود هذا الصنف من الغريب المتعلق بكلام الرسول الكريم)ص) ، وبيان مقاصده ، مع العلم رسول الله)ص) كان أفصح العرب لسانا ، وأوضحهم بيانا، ولا غرابة في ذلك فقد أيّده الله بالوحي، وعلّمه ما لم يكن يعلم، حتى انقادت له اللغة بحذافيرها انقيادا، مصداقا لقوله(ص) إنه قد " أوتي جوامع الكلم » .

ولفصاحته و قوة براعته كان بإمكانه أن يرتجل الألفاظ للمعاني ارتجالا فتأتي منه لطيفة عجيبة ، ينبهر لسماعها أهل البلاغة والفصاحة والبيان، من ذلك مثلا ما يُروى عن علي بن أبي طالب (ص) أنه قال : " ما رأيت أفصح من رسول الله(ص) ، ما سمعت كلمة عن عربي فصيح إلا وقد سمعتها منه ، وسمعته)ص) يقول : « مات حتف أنفه " ما سمعتها من عربي قبله ! ". وعن عمر بن الخطاب (ص) أنه قال : " يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل(عليه السلام) فحفَّظَنِيهَا فحَفِظْتُهَا ". والحديث - أخرجَه ابن عساكر في تاريخه - ، وورد الخبر برواية أخرى مشابهة نقلها السيوطي في المزهر.[13]

وكان الصحابة(رضي الله عنهم) يعرفون أكثر الألفاظ التي يقولها (ص) ، ولم تكن لهم مشكلة في فهم لغته إلا نادرا، ولكن نشأت أجيال من بعده لا تعرف من اللغة إلا ما تتخاطب به، وجهلت الكثير من ألفاظ اللغة ومعانيها، وغابت عن قاموسهم جملةٌ كبيرة من معاني الألفاظ الواردة في الحديث الشريف وفى غيره، ومن هنا وُجد الغريب، وكان شعور الناس بالحاجة إلى فهمه، والتخصّص في حفظه ودرسه، وصار بينهم مَن يُعرفُ (بتضلّعه) في هذه المادة فيوجّه إليه من يبتغيها. وقد يُسأل أحدُهم فيتحرّج ورَعا وتقوًى فلا يجيبُ، فيوجّه هو بدوره مَنْ سأله إلى العارفين بالغريب. فهذا مثلا الإمام أحمد بن حنبل يسألونه عن شيء من (غريب الحديث) فيقول: " سَلُوا أصحابَ الغريب؛ فإني أكرهُ أن أتكلمَ في قول رسول الله (ص) بالظن فأخطئ " .[14]

وإذا كان تفسير الغريب إنما يكون بالرجوع إلى أهل اللغة واستعمالاتهم فإن العلماء نبهوا إلى أمر هام وهو أنه قد يريد الشارعُ (المقصود هنا من يقوم بسنّ القوانين والتشريعات الدينية أو الدنيوية) من بعض الألفاظ غير ما يستعمله العرب ، وهذا كله يدرك بالقرائن والسياقات.

ج - بعض ألفاظ (غريب الحديث) وما قيل في تفسيرها:

أنبّهُ حضرة القارئ الفاضل إلى أن النماذجَ الحديثيّة المرفقة أدناه هي عيّنات قليلة من بحر واسع، ولا نرغب من وراء تقديمها سوى تحقيق غرض تربوي من خلال إعطاء مثال توضيحي للشروح. ومن أراد المزيد فلينظر المصنفات الكثيرة في هذا الميدان الفسيح ، والتي سنقترح عليكم بعضا منها لاحقا ، إن شاء الله. وفي انتظار ذلك تفضّل بهذه الأمثلة:

1 - عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ص) قال : " إن الله يُبْغِضُ كلَّ **جعظري ، جوّاظ ، سخّاب** في الأسواق ، **جيفةٌ بالليل ، حمارٌ بالنهار، عالمٌ بالدنيا، جاهلٌ بالآخرة** " . - الحديث في مقدمة ابن الصلاّح في علوم الحديث. وكذلك عند الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في " صحيح الجامع الصغير"، تحت رقم 1878 - نجد في الحديث جملة من غريب اللفظ وغريب المعنى، وكل يحتاج منا إلى توقّف وتدبّر، فتشعّب الآراء دليل على شدة غرابته. ولنبدأ بالألفاظ ، وهي- في حسبتنا - ثلاثة : **جَعْظَرِيّ ، جوّاظ، وسَخّاب** .

* **الجعظريّ :** ورد في معنى اللفظ أقوال منها: أنه ذلك الإنسان الذي يكثر جمع المال ويمنعه لنيّة فاسدة ؛ أي ليتوصلَ لإشباعِ شهواتهِ المحرَّمةِ وليفخَرَ و يتكبرَ على عبادِ اللهِ . أما من يجمع المال بالحلال فليس مذموما ؛ لأنّ رسول اللهِ (ص) لم يَذُمَّ المالَ ذماً مطلقاً ولا مدحَه مدحاً مطلقاً، المالُ منهُ ما يُذمُّ ، وهو الذي يصرفُ في معصيّة الخالق، ومنه ما يُمدحُ وهو الذي يُنْفق في الصلاح والفلاح، كما أمر الخالق(عز وجل). وقيل **(الجعظريّ)** ، هو الإنسان المتكبّر الجافي عن الموعظة. وقيل: هو الفظُّ الغَليظ.

* **الجوّاظُ :** هو الرجلُ المستكبرُ.

* **السخّاب :** صيغة مبالغة في (السَّخب) ، ويأتي اللفظ بالسين والصاد (السَّخّاب أو الصّخّاب)، ويعني كثير الخِصام بالأسواقِ ، و كثير رفع الصوت فيها؛ أي من شدةِ حرصِهِ على جمع المالِ يلجأ إلى كثرة الكلامَ والجدال واليمين (والهَفّ وتَبَلْعِيطْ) ، كل ذلك عنده جائز، والمهمّ هو الحصول على المال والثروة ، ولا يهمّ بعدها أبالحق كانت أم بالباطل!!

ونرى **غريب المعاني** يتمثل في كنايات الألفاظ **(جيفةٌ بالليل، حمارٌ بالنهار، عالمٌ بالدنيا، جاهلٌ بالآخرة)**، هذه الكلمات يبدو ظاهرها مفهوما، وباطنها مبهما.

ومما جاء في تفسيرها قوله: " **جيفةٌ بالليل؛** يعني أنه بليد في فهمه، منهمكٌ في عمله الدنيوي لا يلتفت إلى سواه من الطاعة والعبادة، فإذا جاء الليل استلقى على فراشه وبقي كالجيفة إلى الصباح، خاملا كسولا عن كسب حسنات القيام والناس نيام. **وحمارٍ بالنهارِ** ؛ أي أن همَّه التفنُّنُ بالأكلِ والإكثارِ من الملذاتِ، وينشغلُ بذلكَ عنِ القيامِ بما فرض الله عليه، ثم إذا كان إلى جانب ذلك **عارفاً بأمرِ الدنيا ، جاهلا بأمرِ الآخرةِ،** فقد عَظُم شرُّه؛ أي أن من آتاه اللهُ مالا وكان عارفاً بطرق جمعه لكنه جاهل بأمورِ دينه ؛ و بما افترض الله عليه معرفَته من علمِ الدينِ فهو من أشرار المخلوقات. والعياذ بالله.

2 – عن زيد بن حارثة [15] قال قال رسول الله(ص): أتزوجت يا زيد ؟ قلت. لا. قال تزوج تزد عفةً إلى عفتك ، ولا تزوجْ خمسًا : **شهبرة، ولا لهبرة، ولا نهبرة، ولا هيدرة، ولا لفوتا**. قلت: يا رسول الله لا أدري مما قلت شيئا، وأنا بأحدِاهن جاهل . قال ألستم عربًا ؟... أما الشهبرة فالطويلة المهزولة، وأما اللهبرة فالزرقاء البذية، وأما النهبرة فالقصيرة الدميمة، وأما الهيدرة فالعجوز المدبرة، وأما اللفوت فهي ذات الولد من غيرك " .

وقد وجدتُ لهذا النص ذاته روايات أخرى يختلف في بعض لفظها عن الأول، غير أنها تتفق كلها على مجيء مثل هذا الغريب على لسانه الكريم (ص). [16]

3 – عن عبد الله بن حرام قال: سمعت النبي(ص) يقول: " عَلَيْكُمْ

بِالسَّنَا وَالسَّنُّوتِ فإنَّ فِيهِمَا شِفَاءً من كُلِّ دَاءٍ إلاَّ السَّامَ . قِيلَ : يا رسُولَ اللهِ، وَما السَّامُ ؟ قَال : الْمَوْتُ ". (17)

ومما جاء في شرح هذه الكلمات ما ذكره ابن منظور في " لسان العرب " (انظر ج,2 ص 47 وج 14 ص 405 أن السَّنَا نبْتٌ يُتَدَاوَى به. والسّنوت (بفتح السين وضمّها)... قال: واختلفوا في أصل معناه، فقيل هو العسل، وقيل: الرُّبّ، وقيل: الكمون، وقيل: نَبْتٌ يشبه الكمُّون.

4 - وقال رسول الله(ص): " إن أحبّكم إلي وأقربكم مجلسا منّي يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقا، وأبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مجلسا يوم القيامة هم الثرثارون المتشدّقون المُتَفَيْهِقُون". قالوا : يا رسولَ الله قد عرفنا الثرثارين والمُتَشَدِّقِين، فمن هم **المُتَفَيْهِقُون** " قال : " **المُتَكَبِّرُون**".

والمتمعّنُ في مثل هذه الأحاديث، وهي كثيرة، يجده الرسول الكريم يتطوّع لشرح ما كان غريبا عن الفهم، وأحيانا تراه ينبّه المستمعين إلى مكانتهم في العربية، ولم لا يفهمونها وهم العرب الخلّص؟... وبهذا الفِعل يبدو لنا معجميا متمكّنا يصنع صنيع المعلم الذي يهمُّه أن يفهم تلامذتُه ما يسمعون.

وفي السيرة النبوية المعطّرة كثير من المواقف التي تخبر بقدراته (ص) على امتلاك ناصية اللغة، بما فيها معرفة لهجات العرب و(لغاتهم) وطبائعهم في الكلام وتشقيقه، كما يستطيع أن يخاطب كلَّ قبيلة بلهجتها، فيفهم منهم ويفهمون منه ما يقول بسهولة تامّة ، وقد يجاريهم أحيانا في طبائعهم اللغوية حتى إذا استعملوا غريبا وحشيا جاوبهم بمثله تلطُّفا منه واستحداثا للألفة والمحبة. وكانت وفود العرب تقدم عليه (ص) فيخاطب كل قوم ويكاتبهم (بلغتهم) فكان يتكلم مع كل ذي

(لغة) غريبة (بلغته) ومع كل ذي (لغة) بليغة بلغته. وحدث أن قدم وفد بني نهد (وهم قبيلة يمنية كانوا يتكلمون بألفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب) ، فقام مقدمهم واسمه (طَهْفَة بن أبي زهير) خاطبا يشكو الجَدْبَ إلى رسول الله(ص) فقال: " يا رسول الله أتيناك من غوري تهامة بأكوار الميس ترمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن ومات العسلوج وسقط الأملوج وهلك الهدي ومات الودي..." إلخ.

فقال رسول الله(ص): "اللهم بارك لهم في محضها ومذقها ، وابعث راعيها في الدثر بيَانِع الثمر، وافجر له الثمد ، وبارك له في المال والولد ، من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن أتى الزكاة كان محسناً، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً " . (18)

ألا ترى معي أن استعمال النبي(ص) لذلك الوحشي من الألفاظ كان ضرورة وليس حاجة، لأن فصاحته لا تستوجب استعماله، فهو أفصحُ العرب وأبْيَنُهُم وأعرَبُهُم...، لكن في الأحوال والمقامات الخاصة مثل هذه يكون الغريب مسموحا به ومستساغا، بل هو مستحبّ حتى يبيّن لكل قبيلة من قبائل العرب بلهجتهم، فيفهموا عنه ويتفقهوا في الدين. والحقيقة أن فصاحة رسول الله(ص) لا تقتضي استعمال مثل هذه الألفاظ إطلاقا، بل ولا يكاد يوجد (الغريب) في كلامه اليومي إلا جوابا لمن يخاطبه بمثله، كهذا الحديث وما جرى مجراه.

ب - مُصنّفات في غريب الحديث ومعانيه:

اجتهد علماء الحديث واللغة، من الرعيل الأول، فصنّفوا في الغريب وشرحه، وقاموا بإحصاء دقيق لما عثروا عليه عبر التراث، وكمّل بعضهم بعضا في هذا الميدان، فكل متأخر قد يستدرك على من تقدّمه، فيضيف إليه، أو ينقص منه قليلا أو كثيرا.

وكان أول من قام بالتأليف في هذا الفن أبو عُبَيْدة مُعَمّر بن المُثَنّى (ت 209 هـ/ 824م)، إذ جمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كُتَيِّباً صغيراً، يمثلُ البدايةَ، والبدايةُ دائما صعبة. ثم جاء من بعده أبو الحسن النضْرُ بن شُمَيْل المَازني (ت 203 هـ/818م) ووضع كتاباً أكبرَ من كتاب أبي عُبيدة بسَط فيه القول على صغر حجمه. ثم جمع عبد الملك بن قُرَيّب الأصْمعي المشهور (ت 216 هـ/831م) كتاباً أحسنَ فيه وأجادَ، وكان كتابُه أكبرَ حجماً مِمَّن سَبَقه.

حتى إذا جاء زمن أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ/838م)، وكان من كبار علماء الحديث والأدب والفقه، وجدناه وقد جمع كتابه المشهور في **(غريب الحديث والآثار)**. وأتمّه في أربعين سنة، وهو كتاب حافل بالأحاديث والآثار الكثيرة المعاني، اللطيفة الفوائد.

ثم أكثرَ الناسُ بعدئذ من التصانيف في هذا الفن، وغمرت عناوينُها المختلفةُ ساحةَ الميدان وفاضتْ حتى صَعُب عليّ حصرُها كاملةً في هذه العُجَالةِ، لهذا السبب أستأذنُ فأقترحُ عليكم النظرَ في بعض العناوين الهامّة التي يمكن الوصول إليها بسهولة ؛ فهي مطبوعةٌ ومتوافرةٌ على رفوفِ المكتبات ، ومنها :

1 – **" الفائق في غريب الحديث "** ، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر، جار الله الزمخشري (ت 538هـ/1143م) . وهو كتابٌ قيِّمٌ جامعٌ، رتَّبَه على وضْعٍ اختارهُ على حروف المعجم، غير أن البحثَ فيه عن الكلمات الغريبة عَمَلٌ شاقٌّ؛ لأنَّه يجيء بشرح الكلمات الغربية في حرف واحد فتَرِدُ الكلمةُ في غير حرُوفها.

2 – **" النهاية في غريب الحديث والأثر"** ، للإمام أبي السعادات مجْد الدين مبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير (ت 606 هـ/ 1209م) . يتناول الألفاظ الغريبة الموجودة في الأحاديث النبوية والآثار، يرتبها ألفبائيا مع شرحها ، ثم يذكر الكلمة وبعض الأحاديث التي وجدت فيه، ويضع عليها تعليقات هامة. يعتبر هذا الكتاب أفضل مصنّف في هذا الفنّ. وهو نفيس جدا، وفيه فوائد كثيرة، كما يعد أكبر مرجع في غريب الحديث. طبع بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطن، نشرته المكتبة العلمية بيروت، عام 9931هـ/1979م، في خمسة أجزاء.

ومِنَ المصَنِّفين مَنْ جَمَع (غريبَ القرآن وغريبَ الحديث) معا في كتاب واحد، مثل :

1 – أبي موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني المديني (ت 185 هـ/1185م) في كتابه **" المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث "** ، ويسمى أيضاً بـ**" تتمة الغَرِيبَيْن "**، وهو كتاب، طبعته جامعة أم القرى (المملكة السعودية) ، بتحقيق عبد الكريم الغرباوي. الطبعة الثانية 1426 هـ/1989 م.

2 – أبي عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني الهروي (ت104 هـ/0101م) ، في كتابه**" السائر في غريب القرآن والحديث "**، جمعه ورتبه ترتيباً

لم يسبق إليه، فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها، وأثبتها مرتبةً على حروف المعجم ، وحذف الأسانيد وجمع فيه من غريب الحديث ما في كتب من تقدّمه، وزاد عليه، فجاء كتاباً حافلاً جامعاً. ذاع صيتُه بين الناس واتخذوه عُمْدةً في الغريب.

2 / 3 - في غريب لغة العرب :

1 - مفهوم غريب لغة العرب وصفاته :

مرّ بنا في الدرسين السابقين (غريب القرآن وغريب الحديث) شرحٌ مبسط لمعنى الغريب لغةً واصطلاحا، ونعود لمراجعة بعض جوانبه هنا تذكيرا لمن نسيَ ، فنقول: أجمع أهل الاختصاص في اللغة على أن (الغريب) من الغرابة ، ومعناها " كون الكلمة وحشية، غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال، فمنه ما يحتاج في معرفته إلى أن ينقّر ويبحث عنه في كتب اللغة المبسوطة " وقد بسطنا القول فيهما، وأعطينا أمثلة كافية ، حسب قناعتنا.

إن **(غريب اللغة)** بالمفهوم العام، يقابله (أنيس اللغة(. والأول هو كل الألفاظ التي لا نفهم معناها ، وتحتاج منا إلى استشارة (المعجم) ، وتمثل الكمّ الهائل من ألفاظ اللغة ، وقد أشار إلى عدده وكيفية حسابه عالمنا (الفراهيدي) في (عينه)، كما أكّد غلبة نسبتها في المجموع الإجمالي للمفردات الممكنة. وأما المصطلح الثاني فيراد به جملة الألفاظ التي حفظناها ونتداول مجملها في الأداء اللغوي اليومي للتعبير عن أغراضنا، لهذا السبب صارت معروفة مألوفة.

وهناك أسباب متعددة تجعل اللفظ غريبا، أهمّها الإهمال وعدم الاستعمال، وهو إخراج اللفظ من دائرة الاستعمال بطريقة عفوية عادة ، فينسحب من سلسلة

الكلام الملفوظ المتداول شيئا فشيئا حتى تغيب صورته ويَنْدَرِسُ أثرُه بعد أن كان معلوما مألوفا، ثم يأتي جيل من الناس لا يعرفه لفظا ولا معنى، وفي هذه الحال يصبح (غريبا).

واعتبرْ بألفاظ العصر الجاهلي بالنسبة لعصرنا، فمثلا إذا نظرنا في الشعر الجاهلي فإننا - حتْما - سنجد الكثيرَ الكثيرَ من الألفاظ التي نقف عندها حائرين لا ندري معناها، فنضطرّ إلى السؤال عن مغزاها، أو (استشارة) القاموس اللغوي عن فحواها. من ذلك مثلا ما تصادفه في دراستك للشعر الجاهلي من اللفظ الغريب وكثرته؛ لأن زمانَهم غيرُ زماننا، وألفاظ لسانهم غيرُ لساننا، فقد تهذّبت ألفاظنا فصارت أرقّ وألطفَ من ألفاظهم، بسبب تأثير الارتقاء الحضاري (المادي والمعنوي) الذي مرّ به الناطقون باللسان العربي، وصرنا لا نفهم كثيرا من ألفاظهم إلا بمساعدة القواميس، التي قد لا تسعفنا أحيانا، وإن تنوّعت طبيعتها ومادتها.

2 - أمثلة من غريب اللغة في الشعر والنثر :

وكمثال على ذلك هيّا ننظر إلى ألفاظ بعض الأبيات المختارة من قصيدة عربية مشهورة تسمى (لامية العرب) لشاعر مشهور من شعراء الصعاليك يسمى (الشّنفرى الأزْدي) نشرح بعضها، كما جاء (في لسان العرب لابن منظور) ، ثم أترك لك محاولة تدبّر أوجه (الغرابة) في بعض الألفاظ ومعانيها:

أقيمُوا بني أمّي صدورَ مَطِيكم ... فإني إلى قَومٍ سِواكم لأميلُ !

فقد حُمَّتِ الحَاجاتُ والليلُ مُقمرٌ ... وشُدَّت لِطياتٍ مَطَايَا وَأرْحُلُ

وفي الأرض مَنْأىً للكريمِ عَن الأذَى ... وفيهَا لَمَنْ خَافَ القِلَى مُتعزَّلُ

لَعَمْرُكَ ما بالأرضِ ضيقٌ على امرئٍ سَرَى رَاغباً أو رَاهِباً وهو يعقلُ

ولي دونكم أهْـــلُونَ : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وأَرْقَطُ زُهْـــلُول وَعَرْفَاءُ جيألُ

هُمُ الأهلُ لا مُسْـــتَوْدَعُ السِّرِّ ذائعٌ لديْهِم ولا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وَهَاكَ شرْحًا مُقتضبًا لبعض الألفاظ الغريبة الواردة في المقطوعة :

- **(السِيِّد)** : " الذئب يقال: سِيدٌ رَمْلٌ، وفي لغة هذيل: الأسد والجمع سِيدانٌ، والأنثى سِيدَه، قال الجوهري ... وقد يُسمى به الأسد ". وعبارة الجوهري هاهنا تفيد سياق التقليل في الاستعمال الدلالي؛ إشارة إلى لغة هُذَيل خاصة دون سائر العرب.
- **(العَمَلَّس)** : " الذئب الخبيث والكلب الخبيث " .
- **(الأرْقَط)** : " الرُّقْطَة : سواد يشوبه نقط بياض، أو بياض يشوبه نقط سواد، وهو أرقط، والأنثى رَقْطَاء ".
- **(الزُّهْلُولُ)** : " الأملس من كل شيء ".
- **(جيْأل)** : " جَيْأل وجيْأَلَة : الضَّبعُ.

هذا من (الشعر)، وأما من (النثر)، فأقترح عليكم النظر في كلام هذه العجوز العربية البدوية المُكَنّاة (أم الهيثم)، حسب ما روته لنا أمهات الكتب ومصادر اللغة عن الأعراب ونوادرهم، وهو في حياة الأعراب وفي زمانهم كلام فصيح معتاد عربي لا غرابة فيه، بخلاف زمن أبي عبيدة (صاحب كتاب الغريب، وقد سبقت معرفته)، ثم بخلاف شديد لما نجده نحن اليوم.

وتمّن رواية السيوطي ، وعدّد الألفاظ الغريبة ، قال : " مرضتْ وعَادَها جماعةٌ وفيهم أبو عبيدة ، فلما استأذنوا ودخلوا سألها أحدُهم : يا أمَّ الهيثم

كيف تجدينَكِ ؟ قالت: أنا في عافية. قال : وما كانتْ علّتُك ؟ قالت: كنتُ وَحْمَى بدِكَة (تشتهي الودك)، فشهدت مأدبة، فأكلت جُبْجُبَة من صَـفِيف هِلِّعَة فاعـترتْني زُلُخَة ". فقلنا : يا أمَّ الهيثم؛ أيّ شيء تقولين ؟ فقالت: " أو للناسِ كلامان ؟... ما كلّمتُكم إلا الكلام العربي الفصيح!!" . (20)

الخاتمة:

لم يكن للعرب الأولين، سكان جزيرة العرب، في عصر الجاهلي ، وقبيل الإسلام، ذكر في البحث المعجمي، لأنه لم ينبثق في حياتهم مبرّر مقنع وهدف ملموس يمكن أن يدفعهم إلى الاشتغال بأمر التعجيم، وذلك لسهولة فهم ألفاظهم المتداولة ، فهم يعبّرون عن مقتضيات حاجاتهم بلسان عربي مبين، ينطقونه سليقة، ولم يكن همّهم البحث في ما وجد من تعقيد إلا ما ندر. ولكن الحاجة الماسّة إلى الإعجام برزت مع ما عنّ من غموض في فيض المعاني الجديدة التي أتت بها بلاغة القرآن الكريم ، وما أوجب عليهم الشارع الحكيم من حسن التدبّر والفهم، وتلك مسألة حساسة، ومن هنا فُتح باب النظر في غريب الألفاظ والمعاني، فصارت مبعث انشغالهم ومحطّ عنايتهم، يؤكّد ذلك ما جاء في التوجيهات التربوية للرسالة النبوية المحمّدية القائمة على الكلمة ومعناها، وهذا هو لبّ المعجمية في كلّ عصر ومصر. وقد رأينا في ثنايا العرض جملة من الأمثلة الحيّة من الإرث الموروث كان أساسها البحث في الغريب ، ورصدنا ما جاء فيها من شروح وبحوث وأقوال وتصانيف لعلماء أجلاء استدللنا بها على أن البحث في الغريب هو أساس المعجمية العربية في القرن الأول الهجري، وأن النشأة المعجمية الأولى هي عربية إسلامية أصيلة، بدأت بحافز ديني، وانتهت إلى البحث في اللغة من أجل اللغة. والله أعلم.

مصادر البحث ومراجعه:

* القرآن الكريم .

* الحديث النبوي .

1 ابن كثير/ التفسير. - دار الأندلس: بيروت، -د.ت-، ج .4

2 ابن منظور/ لسان العرب. مادة (غرب).

3 ابن النديم / الفهرست ، ط. طهران .

4 ابن الصلاح، تقي الدين الشافعي، في كتابه مقدمة في أنواع علوم الحديث، النوع الثاني

5 ابن عبد ربه الأندلسي/ العقد الفريد، ج.1

6 أحمد الشرقاوي/ معجم المعاجم.- ط .1-دار الغرب الإسلامي: بيروت ، -1407، 1987م-.

7 جار الله الزمخشري/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .- ط/ انتشارات آفتات تهران. -د.ت-. ج 2 .

8 جلال الدين السيوطي / المزهر في علوم اللغة العربية؛ تح. محمد جاد المولى وآخرين.- دار إحياء الكتب العربية: -د.ت- ، ج1 والثلاثين : معرفة غريب الحديث.

9 جلال الدين السيوطي / الجامع الصغير، ج1 .

10 الخطابي/ بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

11 الزمخشري/ أساس البلاغة . مادة (غرب) .

12 الفيومي/ المصباح المنير. (غرب)

13 مجمع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط، ج .2

الهوامش:

1 ـ ابن منظور/ لسان العرب. مادة (غرب).

2-الزمخشري /أساس البلاغة . مادة (غرب) .

3-الفيومي/ المصباح المنير. (غرب)

4-أبو عمرو، عيسى بن عمر الثقفي، النحوي، البصري، قيل كان مولًى لخالد بن الوليد رضي الله عنه ، ونزل في قبيلة (ثقيف) فنُسِبَ إليهم؛ وكان صاحبَ (تقْعير) في كلامه واستعمال للغريب فيه وفي قراءاته، وكانت بينه وبين أبي عَمرو بن العلاء صحبة، ولهما مسائل ومجالس. توفي سنة 149هـ/766م.

5-الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. ص 34

6- أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، العلامة المُحَدّث، إمامٌ نحو، حجةٌ ، دَيّنٌ، صالحٌ ، مشهورٌ بالحفظ ، صاحبُ تصانيف كثيرةٍ، منها : " اختلاف النحويين " وكتاب " القراءات" ، وكتاب "معاني القرآن" ... عُمّرَ، وأَصَمَّ . صَدَمَتْهُ دابَّةٌ فوقَعَ في حُفْرةٍ ومات بسببها في جمادى الأولى عام 291 هـ/ مارس 904 م.

7- ابن النديم / الفهرست .- ط. طهران، ص. 81

8- أحمد الشرقاوي/ معجم المعاجم.- ط.1.- دار الغرب الإسلامي: بيروت ، 1407هـ1987م، ص15.

9- هو أبو العباس، عبد الله بن عباس، ابن عمّ رسول الله (ص)، ولد قبل هجرة النبي إلى المدينة بثلاث سنين (-3هـ/ 619م.(وهو صغير جاء به أبوه إلى النبي (ص) فقبّله ومسح وجهه ورأسه ودعا له، فقال: اللهمَّ امْلأْ جوفَه فهما وعلما، واجعلْه من عبادك الصالحين. ثم قال : يا عمُّ، هذا حَبْرُ أمتي وفقيهُها والمؤدي لتأويل التنزيل. كما دعا(ص) له ذات يوم بقوله:" اللهم فقّهْهُ في الدين وعَلّمه التأويل" . سَأل ابنُ عباس يوما بعضَ أصحابه عن شيء، فقال: لا أدري، فقال ابنُ عباس: أحسنتَ. إن قولَ لا أدري نصفُ العلم. وكان أحسنَ الناس عيْنًا قبل أن يكفَّ بصرُه قبيل موته بست سنين أو نحوها، وتوفي بالطائف سنة 68هـ687/ م، وهو ابن إحدى وسبعين سنة وأشهُر، أو سنة اثنتين وسبعين هجرية. رحمه الله.

10-راجع جلال الدين السيوطي في كتابه " الجامع الصغير" ، ج1 ، ص317

11 ـ جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .

ط/ انتشارات آفتات تهران. -د.ت-. ج 2. ص 8, و" تفسير ابن كثير"، ط. دار الأندلس بيروت. -د.ت- .ج 7. ص 462. ومثله في" الإتقان في علوم القرآن"، للسيوطي.ج1. ص 113

12 - راجع مثل هذه المعاني في المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية المصري، ج 2/ ص672

13-جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة العربية. تح / محمد جاد المولى وآخرين ، دار إحياء الكتب العربية - د.ت-. ج1. ص35

14-انظر ابن الصلاح، تقي الدين الشافعي، في كتابه " مقدمة في أنواع علوم الحديث، النوع الثاني والثلاثين: معرفة غريب الحديث.

15- هو زيد بن حارثة بن شُرَاحيل بن كعْب بن عبد العزى، وكان طفلا حين سُبِيَ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد

من سوق عُكَاظ مع جملة من الشباب (الرقيق) ، فأهداه إلى عمته خديجة، ثم هي وهبتْه إلى محمد) حين تزوجته قبل البعثة، فأعتقه وتبنّاه، وصار يعرف في مكة كلها بـ (زيد بن محمد)، وذلك كله قبل نزول الوحي. ولما أبطل الوحي مسألة التبنّي عاد زيد إلى اسمه الأول (زيد بن حارثة)، وكان الرسول (ص) يحبه حبا جمًّا حتى لقب (حِبّ رسول الله). وتطوّرت الحال هكذا حتى صار زيد بن حارثه أمينا لسرّ رسول الله، وقائدا لبعوثه وسراياه، وأحدَ خلفائه على المدينة إذا غادرها (ص). وفي السنة الثامنة للهجرة استشهد زيدٌ في معركة دفاعا عن راية الإسلام، فبكى عليه رسول الله(صحتى انْتَحَبَ، ولما سُئل عن ذلك، قال: " هذا بكاء الحبيب على حبيبه ".

16 ـ جاء الحديث بروايات مختلفة في كل من كتاب " اليواقيت الثمينة في صفات السمينة " ، جلال الدين السيوطي، و"كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" للمتقي الهندي، و"أدب الدنيا والدين ". لأبي الحسن الماوردي.

17ـ ذكره ابن كثير في" تفسيره". (ط. دار الأندلس بيروت، – د.ت–، ج4. ص7) حين شرحه للآية الكريمة (و أوحى ربُك إلى النحل) سورة النحل 16 / الآية 68.

18 ـ انظر ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، الجزء الأول.

19 ـ هو ثابت بن أوس الأردي، المعروف بالشنفرى ، شاعر جاهلي من أفتك الصعاليك وأعداهم، نشأ في بني سلامان من بني فهيم، فلما كبر عرف أنه أسر صغيرا، وقيل هم أخواله أخذوه بعد مقتل والده، فنشأ فيهم، فلما علم غادرهم وأقسم أن يقتل منهم 100 رجل قيل أنه سمي بالشنفرى لغلظة شفتيه مما يشير إلى سواد لونه، وقيل بل لحدة في طبعه. عاش في البراري والجبال وحيدا حتى ظفر به أعداؤه فقتلوه قبل 70 سنة من الهجرة النبوية. تنيب له لامية العرب وهي من أهم قطع الشعر العربي وإن لم تكن من المعلقات إلا أنها توازيها في البناء والثراء اللغوي.

20 – السيوطي في «المزهر» ج2 ص 539.

معجم الشيخ عبد الرحمن بن محمد الثعالبي

(786 هـ /1385 م ـ 875 هـ /1470 م)

د. محمد عيسى وموسى

جامعي الجزائر

1 ـ المقدمة

2 ـ إشكالية معجم الثعالبي وصلته بتفسيره

3 ـ وصف المخطوط

4 ـ محتوى الكتاب

5 ـ مصـــادره

6 ـ معجم الثعالبي والمعاجم التراثية

7 ـ المعجم في صيغته الجديدة

8 ـ نماذج للمقارنة بين المخطوط و المطبوع والصيغة الجديدة .

9- أدرجت المصادر والمراجـع في موضعها داخـل النـص بين معقوفتين .

1 ـ المقدمة

إن الاشتغال بالتراث الجزائري المخطوط في هذه السلسلة من الحلقات، قد أفرز أول نتائجه، وأخرج معجما للثعالبي في ثوب جديد، وقد كان من قبل في حكم المجهول، إن ذلك إنصاف للثعالبي وللتراث الجزائري المخطوط ، وقد طبع المعجم في بداية القرن الماضي دون منقوصا ولذلك أصبحت الحاجة ملحة إلى التدقيق في النص، وإضافة الآيات والأحاديث المرتبطة بكل لفظ من ألفاظ المعجم وتخريجها، حتى يكون المعنى أقرب من مقصد المؤلف، وحتى يصبح المعجم صالحا للتداول والاستعمال، لا يختلف في شيء عن المعاجم الحديثة، وقد يتميز عن بعضها لاختصاصه وتناوله موضوعا دقيق التخصص، هو اللفظ الغريب الوارد في القرآن والسنة، ولذلك كان لزاما البحث في القرآن الكريم وفي الصحاح عن الآيات والأحاديث وتخريجها، ثم إضافتها.

وردت إشارة مقتضبة إلى هذا المعجم في الحلقة الأولى من هذه السلسلة من المقالات وكان عنوانها: قراءة في مواضيع اللغة والبلاغة والنحو: الحلقة الأولى، اللغة والبلاغة (مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع3, جوان 2006, ص. 65 ـ 92 الحلقة الأولى) .

وفي هذه الحلقة الجديدة وصف للمعجم ومضمونه قبل الإجراء الجديد، ثم تعريف بما أضيف للمعجم وكان من قبل منقوصا، وعرض لما تم عمله منذ تلك الفترة، وقد تحققت الأمنية، وتحول ما كان حلما إلى واقع، وأصبح إنجاز المعجم في حلة أنيقة حسب المواصفات المعاصرة للمعاجم الحديثة أمرا واردا.

وقد اشتمل البحث على العناصر التالية: أولا: المقدمة ثانيا: إشكالية معجم الثعالبي وصلته بتفسيره ثالثا: وصف المخطوط رابعا: محتوى الكتاب خامسا: مصادره سادسا: معجم الثعالبي والمعاجم التراثية سابعا: المعجم في صيغته الجديدة ثامنا: نماذج للمقارنة بين المخطوط والمطبوع والتحقيق الجديد.

2 ـ إشكالية معجم الثعالبي وصلته بتفسيره:

إن من يتصفح آثار الشيخ عبد الرحمن الثعالبي عند الدارسين، لا يعثر في أعمالهم على ما يشير إلى تأليفه معجم في اللغة، أحصى الدكتور أبو القاسم سعد الله في أحدث ترجمة له للثعالبي عشرين أثرا في مواضيع: التفسير، والسيرة النبوية، والفقه، والتصوف، والحديث الشريف، والوعظ والإرشاد، ولا توجد إشارة ضمن الأعمال التي ذكرها إلى المعجم في اللغة (أبو القاسم سعد الله، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج 4, 2005, ص 807ـ 811) .

لعل السبب في ذلك، يعود إلى أعمال من اهتموا بتراث الثعالبي فدأبوا في السابق على إلحاق المعجم بتفسير الجواهر الحسان، وجعلوه جزءا منه وكأنه التفسير نفسه، والصواب غير ذلك. إن المعجم تأليف مستقل ومنفصل عن التفسير، وقد وضعه الثعالبي بعد الفراغ منه، وبعد إلحاح إخوانه بوضع معجم يشرح فيه ما ورد من الغريب في تفسير الجواهر الحسان، ويبين هذا التأويل سبب اللبس عند الذين أحصوا آثاره ولم يدرجوا فيها المعجم إلى أعماله إضافة إلى لبس آخر كان بسبب العنوان الذي جاء غامضا لم يفصح عنه الثعالبي بوضوح، وهذا بيان ذلك:

إن عبارة: الغريب وردت في بداية المخطوط مرتان، قال: فإنه لما يسر الله علي إكمال هذا المختصر (أي تفسير الجواهر الحسان)، وفرغت من تصحيحه، وكثر الراغبون بحمد الله في تحصيله، سألني بعض إخواني أن ألحق به شرح ما وقع فيه من الغريب، ليتم بذلك مقصود الكتاب، والله الموفق للصواب، فأجبتهم إلى ذلك...، ومن نسخ هذا المختصر فلابد له أن يكتب معه هذه الأوراق التي في الغريب، إذ به يتم مقصود الكتاب، ومن الله أرتجي حسن المآب، ورتبته على حروف المعجم (الورقة 162 وجه).

ووردت كذلك عبارة الغريب في نهاية المخطوط مرتان، قال: يقول الفقير إلى الله عز وجل، عبد الرحمن بن محمد لطف الله به وعفا عنه، قد يسر الله إتمام ما قصدناه، من شرح الغريب الواقع في مختصرنا، وهو بحمد الله مفيد ومتعد نفعه في سائر الكتب سيما كتب الحديث والتفسير، واعلم أيها الأخ أن التحدث بالنعم شكر لها، والذي أخبرك به: إني رأيت لكتابي هذا المسمى: بـ ز الجواهر الحسان في تفسير القرآن ز الذي ألفت هذا الغريب من أجله، عجائب وأمورا مباركة... (الورقة 182 ظهر / 183 وجه) .

إن عبارة: الغريب التي في بداية المخطوط، والتي وردت كذلك في آخره جاءت مجردة دون الوصف، أو الإضافة، أو الإشارة إلى أنها تسمية للمعجم، ولم ترد عبارة: (المعجم)، إلا مرة واحدة عرضا في قوله المذكور سابقا: « ورتبته على حروف المعجم» .

3 ـ وصف المخطوط

رقمه في المكتبة الوطنية: 2734

عدد أوراقه: 22 ورقة (44 صفحة)، 31 سطرا في كل وجه

البداية: في الورقة (162) وجه.

النهاية: في الورقة (183) ظهر.

الخط مغربي جميل غير واضح، بسبب تأثير الرطوبة، استعمل فيه اللون الأحمر لإظهار عناوين الأبواب والفصول، ثم لبيان الفصل بين الألفاظ والمعاني، وكذلك لتحديد بداية

ونهاية ما أضافه المؤلف من عنده، ويرد ذلك عنده في كل مرة بالعبارتين: «قلت » و «انتهى » .

بداية المخطوط : يقول الفقير إلى الله سبحانه، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي لطف الله به : ... (الورقة 162) وجه .

آخره:... وغفر الله العظيم لنا، ولوالدينا ولأيمتنا، ولمن سبقنا بالإيمان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. (الورقة 183) ظهر.

ملاحظة: على المخطوط آثار رطوبة أثرت على النص مع تآكل في كل أوراقه بفعل الأرضة

4 ـ محتوى الكتاب:

توزعت مواد المعجم على ثمانية وعشرين بابا، بعدد حروف الهجاء، إلا أن ترتيبها الألفبائي جاء مضطربا في المخطوط، وفي المطبوع كذلك، فإن الأبواب الأولى جاءت مرتبة: من الهمزة إلى حرف الزاي، أتبعها الثعالبي بالأبواب

الأخرى بترتيب مغاير وهو كالتالي: حرف الطاء والظاء. ثم الكاف واللام والميم والنون. ثم الصاد والضاد. ثم العين والغين والفاء والقاف، فالسين والشين. ثم جاءت أبواب: الهاء والواو والياء، في موضعها في الأخير. وقد تم تعديل ذلك وصنفت الأبواب حسب الترتيب الألفبائي السليم.

أما عرض الألفاظ، والعبارات الخاصة بكل باب من الأبواب التي رتب المعجم على أساسها، فإنها جاءت مجمعة دون اعتماد الترتيب الألفبائي، ما استدعى إعادة عرض المحتوى بكتابة مفرداته مرتبة.

اعتمد الثعالبي أسلوبا خاصا في جمع الألفاظ وعرضها، وذلك على أساس تفريع كل باب إلى فصول، يضم كل فصل أربع مجموعات من الألفاظ، ميزها حسب مصدرها، بدأ في كل فصل بما نقله من كتاب الصحاح للجوهري اسماعيل بن حماد، (توفي حوالي 398 هـ / 1008 م) وأتبعه بما نقل عن مختصر العين للزبيدي أبو بكر محمد بن حسن 316 – هـ ـ 928 م / 379هـ ـ 989 م)، ثم شرح الغريبين، غريب القرآن، وغريب الحديث للهروي أحمد بن محمد (ت 410 هـ / 1011 م)، ثم أنهى كل فصل بما نقله عن كتاب مشارق الأنوار لعياض بن موسى اليحصبي (496 هـ ـ 1103 م / 544 هـ ـ 1149 م).

ويعني ذلك أن الثعالبي لم يقم بدمج مواد المجموعات الأربعة التي اعتمدها وإنما تناول مواد كل مصدر في مجموعة مستقلة، وسماها فصلا، وإنما فعل ذلك بدافع الحرص على الأمانة العلمية فيما نقله إلا أن ذلك الحرص قد نتج عنه كثير من التكرار في الألفاظ بسبب اختلاف المصدر.

5 ـ مصـادره

المصادر الأساسية أربعة هي:

- الأول:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد		398 هـ	تاج اللغة وصحاح العربية

- الثاني:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن	316 هـ	379 هـ	مختصر العين

- الثالث:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
الهَرَوي، أبو عبيد أحمد بن محمد		410 هـ	شرح الغريبين، غريب القرآن وغريب الحديث

- الرابع:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
القاضي أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي	496 هـ	544 هـ	مشارق الأنوار

وقد اعتمد أيضا على مصادر ثانوية أخرى، من بين تلك المصادر نذكر ثلاثة منها:

- الخامس:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق	186 هـ	244 هـ	لعله كتاب ، « إصلاح المنطق»

- السادس:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر		367 هـ	كتاب الأفعال

- السابع:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن	577 هـ	619 هـ	شرح مقامات الحريري

ونقل مادته أيضا من كتب الصحاح قال:س وزدت فيه بيان ألفاظ وقعت في غيره يكثر في اللسان دورانها، ويفتقر الطالب إلى معرفتها، وجلها مما وقع في الموطأ والبخاري، وغيرها من الكتب الستة.(الورقة 162) وجه.

6 ـ معجم الثعالبي والمعاجم التراثية

أ ـ الخليل ومدرسته

ينسب تأسيس هذا العلم إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 هـ – 170 هـ) لتأليفه كتاب العين، واعتمد فيه أسلوب ز التقليبات ز الذي كان يهدف من ورائه إلى أن يحيط إحاطة كاملة بكل الألفاظ العربية المستعملة إلى عهده، وكذلك كل الألفاظ المهملة وهي الغالبة. (عبد اللطيف عبيد/التجربة القاموسية العربية، في: بحوث الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي، الرياض 2008).

تطورت المعجمية العربية وبلغت نضجها ورقيها في القرن الرابع، على يد مجموعة من العلماء الذين تأثروا بالخليل بن أحمد واتبعوا نهجه منهم:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان
ابن دريد، محمد بن الحسن	223 هـ	321 هـ	الجمهرة

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان
القالي، إسماعيل بن القاسم	280 هـ	356 هـ	البارع في اللغة

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان
ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني		395 هـ	مقاييس اللغة، والمجمل في اللغة

ب ـ الجوهري ومدرسته: ت 393 هـ

وفي هذا القرن الذي هو قرن ازدهار المعاجم، برز الجوهري بقاموسه الصحاح (ت 393 هـ)، ولكنه على خلاف معاصريه لم يسلك نهج الخليل بن أحمد، وإنما اتبع في تأليفه أسلوب القافية، أي باعتماد الحرف الأخير بابا، الحرف الأول فصلا، تبعه وسلك نهجه عدد من المعجميين منهم:

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
الصاغاني، أبو الفضل حسن بن محمد	577 هـ	650 هـ	العباب الزاخر في اللغة

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
ابن منظور، عبد الله بن محمد	630 هـ	711 هـ	لسان العرب

المؤلف	المولد	الوفاة	العنوان / العناوين
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب	729 هـ	817 هـ	القاموس المحيط

ج ـ الثعالبي ومنهجه، ت 875 هـ

أما الثعالبي، فإنه سلك مسلكا مغايرا لما سبق ذكره في معجمه، وسار على نهج الزمخشري في أساس البلاغة (ت 538 هـ)، فإنه رتب المعجم على الأبجدية

العربية باعتماد ترتيب الألفاظ حسب أوائل الحروف للكلمات، ولم يكن ذلك شائعا في الاستعمال، وإنما كانت الغلبة لأسلوب الخليل، أي« التقليبات» أول الأمر، ثم لأسلوب « القافية » بعد ذلك.

7 ـ المعجم في صيغته الجديدة

إن المفردات التي وردت في المعجم، هي في الأصل ألفاظ استخرجت من سياق النص القرآني والسنة النبوية الشريفة، ولكن الثعالبي لم يذكر السياق، وإنما اكتفى بسرد الألفاظ وشرحها دون تخريجها، وبهذا الصنيع أصبحت الألفاظ في معجم الثعالبي معزولة عن محيطها وسياقها، لذلك كان لابد من الرجوع إلى مصادره، ثم البحث عن سياقه الأصلي، وذلك في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية، لبيان مدلوله ضمن سياقه وتراكيبه من أجل توضيح المعنى، أو المعاني في الحالات التي يرد اللفظ في أكثر من سياق.

وتم تطبيق أسلوب ابن منظور في اللسان، الذي اعتمد الجذر في عرض الألفاظ، وقد ترتب عن هذه العملية نقل ألفاظ كثيرة من أبوابها في الأصل، إلى أبواب أخرى وفق الجذر المستخرج مثال ذلك: لفظ الإشادة في المخطوط هو في باب الهمزة، لكن بعد تخريج جذره وهو شيد من أشاد يَشيد إشادة، تم نقله إلى باب الشين، مثال آخر: لفظ الإماطة في المخطوط هو في باب الهمزة، وبعد تخريج جذره وهو ميط من ماط يَميط إماطة، تم نقله إلى باب الميم.

إن الهدف من هذا العمل: هو إحياء أداة معجمية قديمة غير لا يعرفها الدارسون، وإخراجها في حلة معاصرة، تكون صالحة للطلاب كما أرادها

الثعالبي، ثم لتستجيب في الوقت ذاته لحاجة الباحثين المهتمين بالدراسات المعجمية واللغوية، للربط بين ماضي اللغة العربية وحاضرها في الجزائر، وفي العالم العربي والإسلامي. ثم لإبراز جهود العلماء وانشغالهم باللغة ومحافظتهم على سلامتها، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

8 ـ نماذج للمقارنة بين: المخطوط والمطبوع والصيغة الجديدة.

اللوحة رقم: 1

بداية حرف الهمزة معجم الثعالبي المخطوط للمقارنة باللوحة رقم: 2 و3

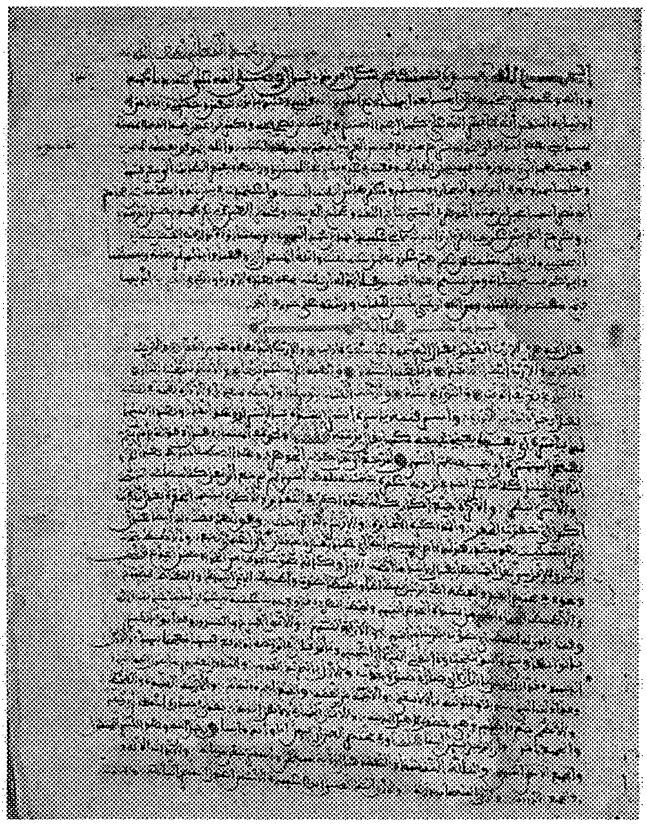

ملاحظات:

1 ـ نموذج بداية حرف الهمزة

2 ـ في اللوحة خمسة وعشرون لفظا دون ترتيب، هي المجموعة الأولى عن الجوهري

3 ـ النص بالشكل وباللونين: الأسود والأحمر، قارن باللوحة رقم: 2

4 ـ رقم المخطوط في المكتبة الوطنية: 2734 الورقة رقم: 162

اللوحة رقم: 2

بداية حرف الهمزة معجم الثعالبي المطبوع للمقارنة باللوحة رقم: 1 و 3

(باب حرف الهمزة)

قال الجوهري، الأرب، العضو، يقال السجود على سبعة آراب، والأرب الدهاء، وهو من العقل، والأريب العاقل، والأرب أيضا الحاجة، و(تأهب) استعد وأهبة الحرب عدتها، و(الأجيج) تلهب النار، و(التاريخ) تعريف الوقت، والتوريخ مثله، وأرخت الكتاب بيوم كذا وورخته بمعنى، و(الأدرة) نفخة في الخصية، يقال رجل آدر بين الأدرة، و(أسر) قتبه يأسره أسرًا شده بالأسار وهو القد وهذا الشيء لك بأسره أي يقده تعني بجميعه، كما يقال برمته، قلت ونحو في المشارق، قال وقوله بأسرهم بفتح الهمزة أي جميعهم انتهى.

ولنرجع إلى نقل كلام الجوهري وهذا اصطلاحنا في هذا الجزء أنا إذا نقلنا كلامًا عن أحد في ترجمة غيره ختمناه بلفظ انتهى ثم رجع إلى نقل كلام صاحبه الترجمة. و(الأشر)، البطر. و(الأكرة)، جمع أكار كأنه جمع أكر في التقدير وهو الحراث، والأكرة بالضم الحفرة، يقال تأكرت أكرًا أي حفرت حفرًا والمؤاكرة المخابرة أي المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع. و(الأرش)، دية الجراحات.

وقولهم فعلت ذلك، (أيضا)، قال ابن السكيت هو مصدر قولك أض يئيض أيضًا، أي عاد يقال أض فلان إلى أهله أي رجع. و(الأطيط)، صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها، يقال لا أتيك ما أطت الإبل، وكذلك صوت الجوف من الخوى وحنين الجذع قلت ونحوه في مختصر العين ولفظ أط

ملاحظات:

1 ـ نموذج بداية حرف الهمزة

2 ـ في اللوحة أحد عشر لفظا دون ترتيب، هي بدية المجموعة الأولى عن الجوهري

3 ـ النص دون شكل وهو في المخطوط بالشكل، قارن النص باللوحة رقم : 1

اللوحة رقم: 3

بداية حرف الهمزة، الصيغة الجديدة للمعجم للمقارنة باللوحة رقم:1 و2

ملاحظات:

1 ـ نموذج بداية حرف الهمزة

2 ـ الألفاظ تحتها خط هي الجذور وما اشتق منها وكلها باللون الأحمر في النص الأصلي.

3 ـ في اللوحة أربعة مداخل وبداية المدخل الخامس

4 ـ على رأس المداخل الجذور مرتبة ألفبائيا حسب منهج ابن منظور في اللسان: أبد ـ أبه ـ أتم ـ أتن ـ أتي ... قارن ذلك بمضمون اللوحتين السابقتين: 1و2

5 ـ تحدد المعقوفتان ( ) بداية ونهاية الإضافة والتعليق على النص الأصلي .

اللوحـة رقم: 4

بداية حرف الباء معجم الثعالبي المخطوط للمقارنة باللوحة رقم: 5 و 6

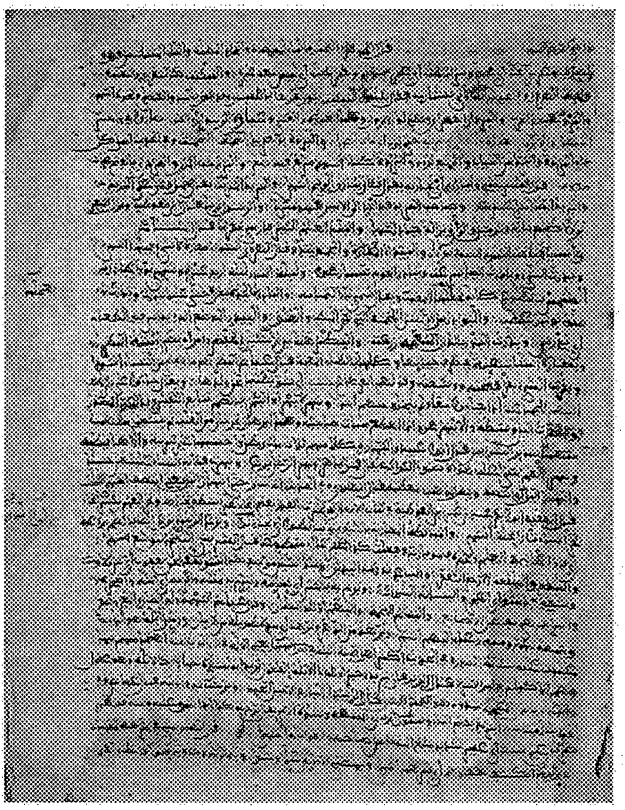

ملاحظات:

1 ـ نموذج بداية حرف الباء

2 ـ في اللوحة ثلاثة وعشرون لفظا دون ترتيب، هي المجموعة الأولى عن الجوهري وشيء من المجموعة الثانية عن الزبيدي .

3 ـ النص بالشكل وباللونين: الأسود والأحمر قارن النص باللوحة رقم: 5

4 ـ رقم المخطوط في المكتبة الوطنية: 2734 . الورقة رقم : 163 وجه

اللوحة رقم: 5

بداية حرف الباء معجم الثعالبي المطبوع للمقارنة باللوحة رقم: 4 و 6

(باب حرف التاء)

قال الجوهري (ترب، الرجل افتقر كأنه لصق بالتراب، والمتربة المسكنة والفاقة ومسكين ذو متلابة أي لاصق بالتراب. و(التريبة)، واحدة الترائب وهي عظام الصدر ما بين الرقوة إلى الثندوة. و(الترح)، ضد الفرح. و(تاح) له الشيء وأتيح له الشيء أي تهيأ وقدر، وقال الزبيدي وتاح الشيء يتيح، وأتاحه الله أي هيأه انتهى. و(التالد)، المال القديم الأصلي وهو نقيض الطارف، وكذلك التلاد، وفي الحديث من قول ابن مسعود هن من تلادي يعني السور أي من الذي أخذته من القرآن قديمًا وأتلد الرجل إذا اتخذ مالاً ونحوه لعياض، قال قوله هن من تلادي بكسر التاء أي من قديم ما أخذت من القرآن تشبيها بتلاد المال وهو قديمه انتهى. و(تلد)، فلان في بني فلان، أي أقام فيهم. و(التنور)، هو الذي يخبز فيه، قال عياض قوله وكان تنورنا وتنور النبي صلى الله عليه وسلم واحدًا هو الذي يخبر فيه وهو هكذا في كل لسان ووافقت العجم في اسمه العرب وليس في العربية له اسم غير هذا انتهى، قلت وفي التعميم تسامح. و(التور)، إناء يشرب فيه وسيأتي في كلام عياض. و(التيار)، الموج، قال عدي:

كالبحر يقذف بالتيار تيارًا

ويقال قطع عرقًا تيارًا سريع الجرية.

وفعل ذلك، تارة، بعد تارة أي مرة بعد مرة، والجمع تارات وتير وهو مقصور من تيار وأتاره، أي أعاده مرة بعد مرة. و(الترهات)، الطرق الصغار

ملاحظات:

1 ـ نموذج بداية حرف الباء

2 ـ في اللوحة ثمانية ألفاظ دون ترتيب، هي بداية المجموعة الأولى عن الجوهري

3 ـ النص دون شكل وهو في المخطوط بالشكل، قارن النص باللوحة رقم: 4

اللوحـة رقم: 6

بداية حرف الباء، الصيغة الجديدة للمعجم للمقارنة باللوحة رقم: 4 و5

باب الباء

ملاحظات:

1 ـ نموذج بداية حرف الباء

2 ـ الألفاظ تحتها خط هي الجذور وما اشتق منها وكلها باللون الأحمر في النص الأصلي.

3 ـ في اللوحة مدخلان وبداية المدخل الثالث

4 ـ على رأس المداخل، الجذور مرتبة ألفبائيا حسب منهج ابن منظور في اللسان : ببس ـ بتت ـ بثث... قارن ذلك بمضمون اللوحتين السابقتين: 4 و 5 .

5 ـ تحدد المعقوفتان ( ) بداية ونهاية الإضافة والتعليق على النص الأصلي ..

البنية التركيبية والعلاقات الإسنادية وأثرها في تشكيل الدلالة

د. خالد بوزياني

قسم اللغة العربية

جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر

يتناول موضوع البحث مسألة التركيب النحوي وعلاقته بالمعنى والدلالة فالتشكيل النحوي كان ولا يزال يؤثر بطريقة أو بأخرى على نمط معين من الكلام، وأخذت مسألة البناء الشعري تثير اهتمام النقاد لبحث هذا النظام الخاص الذي يتشكل عن طريق تنظيم الكلمات وتأليفها وفق منطق خاص ورؤية خاصة ولغة ليست في متناول الجميع عبر جماليات النشاط التصويري والأسلوب الشعري الخلاق.

لقد اهتم سيبويه بهذه القضية وأدرك بعمق أهمية التركيب وعلاقته بالمعنى عندما قام بتصنيف الأنماط الكلامية إلى التقسيم الخماسي.

إن العلاقات التركيبية كانت أيضا من بين أكبر الاهتمامات التي ساعدت على تحليل عملية النظم وتوخي معاني النحو عند عبد القاهر.

إن الملاحظات العميقة التي أمدنا بها النقاد حول ما يتميز به التركيب النحوي من خاصيات دقيقة وما يحتوي عليه من ثراء وغموض وتعقيد لجديرة بأن نقف عندها متسائلين عن البعد الإستيتيكي للظاهرة الشعرية خاصة وأن هذا التركيب قد أسهم بشكل واضح في إعطاء مفهوم خاص للشعر.

لقد تساءل النقاد قبلنا في التراث النقدي والبلاغي عن المسألة الشعرية من حيث التنظيم الداخلي والخارجي، وحاولوا اللجوء إلى المعايير لكبح جماح الشعراء والعمل على الحد من إفراطهم في قلب موازين اللغة ومنطقية الأداءات الكلامية ومطابقتها لسياقاتها .

أولم يقولوا بمبدأ مطابقة المقام لمقتضى الحال؟ ألم يجعلوا الحدود والجدران ضمن ما يسمى بعمود الشعر؟ لم يجد الناقد القديم بدًّا من أن يلجأ إلى النحاة واللغويين يستلهم منهم المعايير والقوانين التي يتشكل حولها الكلام وتتألف بواسطتها آليات اللغة، لكن اللغة الشعرية تنأى دائما عن الملاحظة والتصنيف والتقعيد وفق قوانين المنطق وآلياته وشروطه.

والسؤال المطروح: هل يقدم التركيب النحوي مادة شعرية جديدة على مستوى دلالاته ؟ .

إن الظاهرة الشعرية تتحدد وفق تلك الدلالات اللغوية التي ـ كما وصفها الدكتور نور الدين السد ـ قائلا:س تأتلف في كل متكامل لتشكل الخصوصية الفنية والجمالية للنص الأدبي، وبهذه الصيغة يتم تلقيها، لأن العمل الفني ليس موضوعا بسيطا، بل هو تنظيم معقد بدرجة عالية وذو سمة متراكبة مع تعدد المعاني والعلاقات اللغوية فيه»[1].

ومن هذا المنظور طرحت المسألة الشعرية أولا عند النحاة واللغويين منذ البدايات الأولى للدرس النحوي عند سيبويه وشيوخه، ثم استمر طرحها بإلحاح شديد في الخطاب اللساني عند تشومسكي وغيره من أعلام الفكر اللغوي المعاصر.

وعلى هذا الأساس أخذت فكرة التنظيم والتشكيل اللغوي تهيمن على الأبحاث اللسانية والأسلوبية للوصول إلى فك لغز الشاعرية من الوجهة النحوية والتركيبية، وما تثيره من عوامل معقدة ومتشابكة للوصول إلى المعنى والدلالة.

إن اهتمامات النحاة واللغويين الأوائل بمسألة التركيب النحوي وعلاقته بالمعنى والدلالة، جعلتهم يركزون أبحاثهم على الآليات التركيبية والهيئات النحوية فيما يجعل خطابا ما قابلا للفهم وخاضعا لمنطقية اللغة ومعاييرها.

الصورة الأدبية بين التركيب والدلالة:

إن مشكلة الدلالة في الشعر كانت ولا تزال قضية معقدة يكتنفها غموض شديد، وذلك على مجمل الصياغات التي تتناقض على مستوى الدوال والمدلولات، أو على مستوى التنافر بينها من خلال صوغ أشكال لم يألفها القارئ وخاصة في الشعر البرناسي والرمزي حيث ينأى الشاعر إلى عالم غريب، عالم الأحلام والصور، ولا يستطيع الإنسان العادي إدراكه أو الوصول إليه إلا عن طريق تفكيك الصورة أو كما يقول (باشلار):«لا يمكننا دراسة الصورة إلا بالصورة»[2].

ولنتأمل هذه الأبيات التي كتبها الشاعر (ريلكRilk)[3]

هذا الصوت المستدير للعصفور

يستريح داخل اللحظة التي يلد فيها

واسعا كأنه سماء فوق الغابة الذابلة

وكل الأشياء تأتي طواعية كي تنتظم داخل هذا الصوت

كل المشاهد هناك تأتي لكي تريح نفسها

إن المتمعن في هذه الأبيات لا يمكنه الوصول إلى فهم الدلالة المقصودة فالجمل على المستوى التركيبي سليمة، لكنها منزاحة عن القواعد الدلالية، وعليه فالقارئ هنا لا يستطيع تفكيكها على مستوى المدلول الأول بل عليه أن يلجأ إلى تفكيك ثان أي إلى إمكانية تحليل المعنى إلى وحدات أصغر4 أو ربما قد يلجأ إلى التأويل.

ويبرهن (كوهن) على ذلك من خلال علاقة التركيب بالدلالة فيقول:«إنه لمن قبيل المحال صياغة جملة اعتمادا على رصف الكلمات المأخوذة من المعجم مباشرة واحتمال تركيب جملة بأخذ الكلمات صدفة من المعجم ووضع بعضها إلى جانب بعض»[5].

وهذا ما قصده عبد القاهر الجرجاني حينما قام بتوزيع العناصر اللغوية لبيت امرئ القيس:

من نبك قفا حبيب ذكرى منزل[6]

من دون مراعاة الارتباط الدلالي، ليثبت أن الجملة لا تقوم على رصف الكلمات رصفا عشوائيا.

ويستوقفنا في هذا المقام اهتمام سيبويه بهذه القضية وإدراكه بعمق لأهمية التركيب وعلاقته بالمعنى عندما قام بتصنيف الأنماط الكلامية إلى تقسيم خماسي حسب ما يلي[7]:

1. المستقيم الحسن مثل: **أتيتك أمس وسآتيك غدا**
2. المحال وهو أن تنقض أول كلامك بآخره مثل: أتيتك غدا وسآتيك أمس
3. المستقيم الكذب مثل: **حملت الجبل وشربت ماء البحر**
4. المستقيم القبيح وهو أن تضع اللفظ في غير موضعه كقولنا: قد زيد رأيت وكي زيدا يأتيك.
5. المحال الكذب سوف أشرب ماء البحر

النمط الأول: يحقق النحوية وشروط الصدق.

النمط الثاني: هنا لا يوجد أي خرق على المستوى التركيبي إذ إن الجملة مكونة من: فعل + فاعل + مفعول به + ظرف، غير أن الخرق موجود على مستوى البنية الدلالية للجملة في عدم وجود علاقة منطقية بين الفعل الماضي والظرف الاستقبالي.

النمط الثالث: لا ينتهك معيار النحوية على مستوى البنية التركيبية للجملة وتوزيع الرتب النحوية فيها ولكن يخرق معيار الصدق أو ما يطلق عليه (كوهن) اللامنطقية [8].

النمط الرابع: وهو يخرق مبدأ السلامة النحوية على مستوى التركيب وتوزيع الرتب النحوية وليس مستوى الدلالة.

النمط الخامس: وينطبق عليه ما ينطبق على النمط الثاني والثالث.[9]

وعلى هذا الأساس طرح سيبويه قضية ذات أهمية كبيرة تتمحور حول مفهوم السلامة النحوية ، وهو مفهوم عميق يحيلنا إلى إمكانية وجود تراكيب لا تلتزم بمنطقية اللغة بخرقها للمعيار عن طريق الانزياحات الكامنة وراء التعايير الاستعارية الذي يمدنا به التشكيل الخيالي والنشاط التصويري المعقد.

وهكذا انتقلت فكرة مبدأ السلامة النحوية إلى الفكر اللساني المعاصر عن طريق سياق ابستيمولوجي يرتكز على مدى ما توصل إليه علماء اللغة ودارسي الخطاب بصفة عامة وطرح قضية النحوية كمبدأ أساسي لمفهوم السلامة النحوية أي ما يجعل من خطاب ما نحويا أو غير نحوي.

إن هذا التقسيم يراعي مسألة التنافر بين الدوال ومدلولاتها، وهي التي تكون على مستوى خرق قانون اللغة كما نلاحظ في الجملة: الشجرة تهمس فهذه الجملة ليست نحوية إلا في مستواها العام أي في المستوى التركيبي فهي مطابقة للصياغة التركيبية التالية: **ج إ + ج ف** أما من حيث الدلالة فهي غير صحيحة وهذا ما يدعوه تشومسكي بدرجات النحوية.[10]

لقد اهتم البلاغيون العرب بمسالة الدلالة وأولوها عناية فائقة خاصة مع عبد القاهر الجرجاني، فقد تعاملوا مع المستوى الدلالي بما جادت به قرائح الشعراء من تنوعات في الصياغة والشكل والمضمون.

يقول عبد القاهر الجرجاني معلقا على قول لبيد[11]:

وغداة ريح قد وزعت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

«وذلك أنه جعل للشمال يدا، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه، يمكن أن تجري اليد عليه، كإجراء(الأسد) و(السيف) على الرجل في قولك: انبرى لي أسد يزأر، وسللت سيفا على العدو لا يفل، والظباء على النساء في قوله: من الظباء الغيد، والنور على الهدى والبيان في قولك:أبديت نورا ساطعا وكإجراء اليد نفسها على من يعز مكانه كقولك:أتنازعني في يد بها أبطش، وعين بها أبصر، يريد إنسانا له حكم اليد وفعلها، وغناؤها ودفعها، وخاصة العين وفائدتها، وعزة موقعها، ولطف موضعها، لأن معك في هذا كله ذاتا ينص عليها. وترى مكانها في النفس، إذا لم تجد ذكرها في اللفظ.وليس لك شيء من ذلك في بيت لبيد، بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدير المصرف لما زمامه بيده ومقادته في كفه. وذلك كله لا يتعدى التخيل والوهم، والتقدير في النفس، من غير أن يكون هناك شيء يحس، وذاتا تتحصل». [12]

إن استخراج التشبيه هنا يحتاج إلى تأويل وتأمل وتفكر، ذلك أننا في قول زهير[13]:

صحا القلب عن سلمي وأقصر باطلُه وعرّي أفراس الصبا ورواحلـه

لا نستطيع أن نثبت ذواتا أو شبه الذوات كما في تشبيه الرجل بالأسد فالرجل موصوف بالشجاعة، وكذلك البدر الموصوف بالحسن والبهاء، والسحاب بالسخاء والسماحة.[14]

إن تحليل عبد القاهر الجرجاني يغوص في صلب المسألة الدلالية وذلك بالكشف عن العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول في الاستعارة.

العلاقات والإسنادية في التشبيه والاستعارة:

لقد اهتم البلاغيون والأسلوبيون في دراستهم للصورة الأدبية بالمستويات التركيبية للجملة مبرزين أهم العلاقات النحوية التي تربط بين العناصر اللغوية، ومن جانب آخر ركزوا على العلاقات الإسنادية بين طرفي التشبيه في الاستعارة والمجاز .

والتركيب عند عبد القاهر الجرجاني يتعلق بموضوع النظم أو ما يطلق عليه توخي معاني النحو، فليس «النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها».[15]

إن العلاقات التركيبية في بناء الجملة عند عبد القاهر الجرجاني تنطلق من مفهوم معاني النحو فلا يمكننا أن نتصور معنى فعل من غير أن نريد إعماله في اسم، ولا معنى اسم من غير أن نريد إعماله في فعل وجعله فاعلا له أو مفعولا، أو نريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام، مثل: أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا أو ما شابه ذلك.[16]

ويشرح عبد القاهر هذا القانون بإزالة أجزاء الكلام عن مواضعها وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، كقولنا في بيت امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل[17]

فنغير من مواضع الألفاظ كقولنا:من نبك قفا حبيب ذكرى منزل[18] فهل يتعلق منا فكر بمعنى كلمة منها؟ إن الفكر لا يتعلق إلا إذا توخينا معاني النحو في تركيب البيت وهو ما صنعه امرؤ القيس من قوله قفا أمر و نبك جوابا للأمر وكون من متعدية إلى ذكرى وكون ذكرى مضافة إلى حبيب وكون منزل معطوفا على حبيب.[19]

وجملة الأمر ألا يكون هناك إبداع في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة وإن لم يقدم ما قدم ولم يؤخر ما أخر، وبدئ بالذي ثني به أو ثني بالذي ثلث به لم تحصل الصورة الأدبية.[20]

وعلى هذا الأساس فإن عبد القاهر الجرجاني يولي التركيب النحوي اهتماما كبيرا لأنه يمثل عن نظاما فنيا متكاملا، ولا تقوم الفصاحة على الألفاظ منعزلة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنه يوجبها لها موصلة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها فإذا قلنا في لفظة اشتعل من قوله تعالى:«واشتعل الرأس شيبا»[21] إنها في أعلى مرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن التركيب كله والدليل على ذلك أيضا أنه لا يمكننا قول أن حروف لفظة اشتعل فصيحة بغير تركيب». [22]

والسؤال المطروح هنا، كيف نظر عبد القاهر الجرجاني إلى الصورة الأدبية من خلال النظم؟

إن النظم يقتضى أن يحصل التلاؤم بين العناصر اللغوية داخل التركيب النحوي للجملة، وأن التراكيب تتمايز وتتفاضل في جودة الصياغة والنظم وهذا ما أكد عليه عبد القاهر الجرجاني قائلا:سالبلاغة والفصاحة والبيان والبراعة

وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم» [23]

وعليه لا بد أن يشتمل النظم حسن التأليف بين العناصر اللغوية بالتركيز على العلاقات السياقية بأن ننظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة.[24] ويضرب لنا عبد القاهر مثالا على ذلك في قوله تعالى:«وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين»[25] ويتجلى لنا في هذه الآية الإعجاز الذي يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وأن مزية الحسن والشرف تظهر من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا.

وقد علق عبد القاهر الجرجاني على هذا التركيب في الآية الكريمة مبينا علاقة كل عنصر لغوي بما قبله وما بعده قائلا:س فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية قال: ابلعي واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليه.. ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم في أن كان النداء بـ(يا) دون (أي) نحو: يا أيتها الأرض ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم أن قيل وغيض الماء فجاء الفعل

على صيغة فعل الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى قضي الأمر ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو: استوت على الجودي ثم إضمار السفينة قبل الذكر»[26].

ويضيف عبد القاهر الجرجاني على هذا الوقع الجمالي الذي أحدثه التشكيل النحوي وهو كما يرى شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن وذلك من خلال النشاط التصويري الذي أحدثه التركيب لا الألفاظ منعزلة على هذا التركيب «فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر» ومن أمثلة ذلك لفظ أخدع في بيت الحماسة:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

وبيت البحتري[27]:

وإني وإن بلغتني شرف الغلا وأعتقت من ذل المطامع أخدعي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

فنجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدناه في بيت البحتري من الروح والخفة والإيناس والبهجة.

وما يقال على لفظة الأخدع يقال أيضا على لفظة الشيء فإننا نراها مقبولة حسنة في موضع وضعيفة مستكرهة في موضع آخر كمثل رجلين استعملا كلمات بأعيانها ثم نرى هذا قد فرع السماك ونرى ذاك قد لصق بالحضيض فكذلك لو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ وإذا استحقت المزية والشرف واستحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال ولكانت إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا، ومثال ذلك قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ومن مالىء عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وإلى قول أبي حية:

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

فقد أدت لفظة شيئ هنا وظيفة جمالية بارعة في الحسن أما في بيت المتنبي:

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران

فإننا نراها تقل وتضؤل بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم.

وعلى هذا الأساس ندرك أن التفاوت الشديد في الاستعارة المبتذلة للعامي كقولنا: رأيت أسدا، ووردت بحرا، ولقيت بدرا، والخاص النادر الذي لا نجده إلا في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال كقول الشاعر[28]:

ومالت بأعناق المطي الأباطح

أراد أنها سارت سيرا حثيثا،فسير المطي هنا غاية في السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها.

ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللطف وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخرّ(محرز بن المكعبد الضي):

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أصحابه بوجوه كالدنانير

يريد الشاعر من ذلك «أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون إلى نصرته وأنه لا يدعوهم لحرب أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من هاهنا وهاهنا وتنصب من هذا المسيل وذلك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها»[29].

فالتشكيل النحوي إذا يعطي للصورة بعدا جماليا من خلال النشاط التصويري الممارس عن طريق حسن تأليف الألفاظ وإحكام ربط العلاقات داخل السياق النحوي للعبارة، ومن أمثلة بديع الاستعارة ونادرها التي استشهد بها عبد القاهر الجرجاني قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسا له وأنه مؤدب وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه:

عودته فيما أزور حبائبي إهماله وكذاك كل مخاطر

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر

فالغرابة هاهنا في الشبه نفسه وفي استدراك أن هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهيئة في موضع الثوب من ركبة المحتبي وليست الغرابة في قوله:

وسالت بأعناق المطي الأباطح

ولعبد القاهر في التمييز بين الاستعارتين تحليل نحوي دقيق للغاية يقول:«...جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأباطح فإن هذا شبه معروف ظاهر ولكن الدقة واللطف في خصوصية أفادها بأن جعل سال فعلا للأباطح ثم عداه بالباء ثم بأن أدخل الأعناق في البيت فقال بأعناق المطي ولم يقل بالمطي ولو قال سالت المطي في الأباطح لم يكن شيئا وكذلك الغرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى سال ولكن في تعديته بـ (على) والباء وبأن جعله فعلا لقوله شعاب الحي ولولا هذه الأمور كلها لم يكن هذا الحسن وهذا موضع يدق الكلام فيه».

ويقول ابن المعتز[30]:

حتى إذا ما عرف الصيد الضار وأذن الصبح لنا في الإبصار

المعنى حتى إذا تهيأ لنا أن نبصر شيئا لما كان تعذر الإبصار منعا من الليل جعل إمكانه عند ظهور الصبح إذنا من الصبح وقوله أيضا:

بخيل قد بليت به يكد الوعد بالحجج

ويقسم عبد القاهر الاستعارة حسب ركني الإسناد إلى قسمين رئسيين:

القسم الأول: ويكون فيه المستعار اسما.

القسم الثاني: ويكون فيه المستعار فعلا.

وسنصيغ هذا التقسيم في الشكل الآتي:

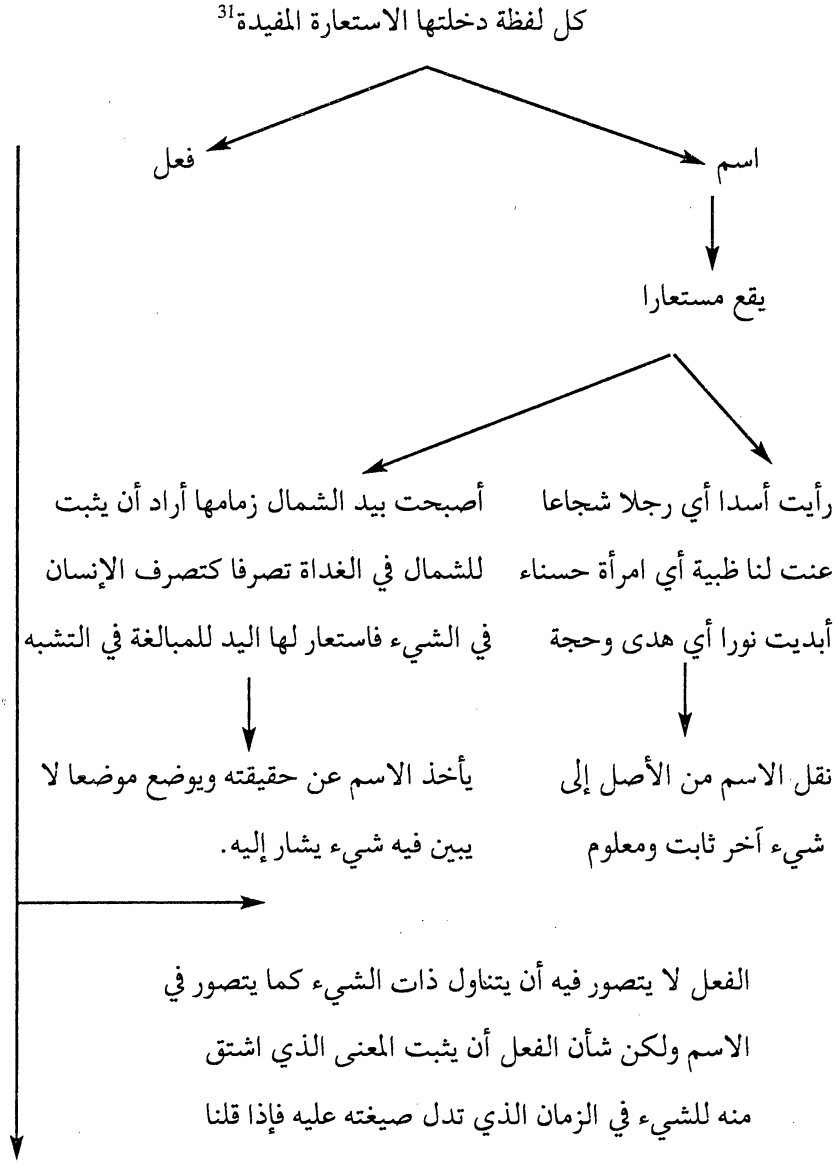

مثلا: **ضرب زيد** أثبتنا الضرب لزيد في زمن مضى،

فإذا استعير الفعل لما ليس له في الأصل فإنه يثبت

باستعارتنا له وصفا هو شبيه لا نعني أن ذلك الفعل

مشتق منه وأمثلة ذلك كثيرة في لغة العرب كقولهم:

ـ نطقت الحال بكذا

ـ أخبرتني أسارير وجهه بما في ضميره

ـ كلمتني عيناه بما يحوي قلبه

وهذا التحليل شبيه بالتحليل الذي قام به (فرانسوا مورو) فيما أطلق عليه **باستعارة الغياب** وذلك عندما يكون الشيء المدلول مضمرا، والشيء الدال هو وحده الحاضر والذي يمكن التصريح به إما بواسطة اسم أو فعل أو صفة أو حال:[32]

1 ـ الاسم:

كقول الشاعر: **اقطفوا منذ اليوم ورود الحياة.**

فالورود يعني بها اللذات وهي استعارة غياب وهي اسمية فينبغي لكي يمكن استنباط الشيء المدلول غير المعبر عنه، أن يدل سياق الفكر على ذلك فدراسة العلاقة بين الورود والحياة هي التي تسمح باستنباط الشيء المدلول في الخطاب وبعبارة أخرى إن الشيء المدلول لا يمكن اكتشافه إلا بعد المواجهة بين الشيء الدال وبين السياق كما يمكن أن تكون استعارة الغياب في حدودها القصوى غير مفهومة.

2 ـ الفعل:

إن مشكلة عدم فهم الاستعارة المذكورة آنفا أو ما يطلق عليها المعقدة، غير وارد مع حالة استعارة الغياب الفعلية، ففي مثال (فيكو):

أيتها الأوراق التي ترجف في أطراف الأغصان

إن معنى (ترجف) ظاهرة للعيان: ففاعل الفعل ينزع عن الصورة أي غموض، وهكذا فاستعارة الفعل هي إذن أقل جرأة من الاستعارة الاسمية، فهذه تخضع الاسم لتغيير ظاهر، وتلك تفرض تحويلا مضمرا.

وعليه فإن استعارة الاسم تعوض اسما بآخر واستعارة الفعل تقتصر على أن تحول إلى الفاعل أو مكمل الفعل صفة يسهل استنباطها من هذا الأخير،وهكذا فإن النزوع الأكثر انتشارا مع استعارة الفعل هو التشخيص أو بعث الحياة في الأشياء غير الحية أو المجردة.

3 ـ الصفة:

إن استعارات الكائنات الحية لغير الأحياء في أغلب الأحيان هي استعارات في الأفعال، في حين أن تحويل الصفات يتحقق في الغالب عكس ذلك من الكائنات غير الحية إلى الأحياء ومثال ذلك:

الأرض تشرب، الريح تنفخ، الجدول يهمس،

وعجوز أخضر، قلب صلب، رجل جافٌ..

فليس صعبا العثور على تفسير لهذه الواقعة إذ إن الأفعال هي أشد إثارة وتلاحظ بقوة في الكائنات الحية، في حين أن الأشكال الأكثر ظهورا في الثبات، أي الصفات تبرز بقوة في الأشياء غير الحية والمحكومة عادة بالسكون.[33]

وهذا ما يطلق عليه عبد القاهر الجرجاني صفة الإثبات في استعارة الفعل عندما قال:« الفعل لا يتصور فيه أن يتناول ذات الشيء كما يتصور في الاسم ولكن شأن الفعل أن يثبت المعنى الذي اشتق منه للشيء في الزمان الذي تدل صيغته عليه».[34]

ويعود عبد القاهر مرة أخرى للتفريق بين قسمي الاستعارة،وهو أن الشبه في القسم الأول الذي هو: رأيت أسدا ـ بمعنى رجلا شجاعا ـ وصف موجود في الشيء الذي استعرنا اسمه وهو الأسد، وأما قول لبيد [35]:

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

«فالشبه الذي له استعيرت اليد ليس بوصف في اليد، ولكنه صفة تكسبها اليد صاحبها ، وهي التصرف على وجه مخصوص وكذا قولك: أفراس الصبا ليس الشبه الذي استعيرت له الأفراس موجود في الأفراس بل هو شبه يحصل لما يضاف إليه الأفراس حيث يراد الحقيقة نحو قولنا: عُرّيَ أفراس الغزو وأُجِمَّت خيل الجهاد» [36].

الإسناد والمجاز العقلي:

لقد قام البلاغيون بتقسيم المجاز العقلي إلى[37]:

1. ما كان فيهما المسند والمسند إليه حقيقتين لغويتين مثل: بنى الوزير المدينة، لأن البناء وهو المسند والوزير هو المسند إليه، حقيقتان بالاستعمال لكل منهما في معناه اللغوي، ولا مجاز إلا في الإسناد الذي أضيف فيه الفعل لغير فاعله الحقيقي كقول النعمان بن بشير:

ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك نائم

فالليل والنوم حقيقتان ، لاستعمال كل منهما في معناه اللغوي، ولا مجاز إلا في إسناد (نائم) إلى ضمير الليل والليل لا ينام إنما ينام فيه. كقول الشاعر:

نهاري بأشراف التلاع موكل وليلي إذا ما جنني الليل آرق

2. ما طرفاه مجازيان لغويان، مثل قولهم: **أحيا الأرض ربيع** الزمان، فإن الإحياء الذي هو إيجاد الحياة قد استعمل في غير معناه، وهو إيجاد نضارة الأرض وإحداث خضرتها ،ففي أحيا استعارة تبعية وذلك أنه شبه إيجاد الخضرة وأنواع الأزهار بإعطاء الحياة وإيجادها.

3. ما كان فيه المسند حقيقة والمسند إليه مجازا لغويا كقولنا أنبت الزهر شباب الزمان، فالمسند هو إثبات الزهر للنبات وهو حقيقي، والمسند إليه شباب الزمان مجازي والإسناد عقلي.

4. ما كان المسند فيه مجازا والمسند إليه حقيقة مثل قولنا: أحيا الأرض الربيع فقد أسند الإحياء إلى الربيع وهو حقيقة.أو كقول المتنبي[38]:

وتحيي له المالَ الصوارمُ والقنا ويقتل ما يحييي التبسمُ والجدا

فجعل الزيادة والوفور حياة للمال، وتفريقه في العطاء قتلا له، ثم أثبت الإحياء فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم، مع أن الفعل لا يصح منهما.ومثل ذلك قولهم:

أهلك الناسَ الدينار والدرهمُ فجعلت الفتنة إهلاكا، ثم أثبت الهلاك للدينار والدرهم.[39]

ويجري مجرى هذا المجاز قولهم: نهارك صائم وليلك قائم ونام ليلي وتجلى همي وكقوله تعالى:« فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتهُم»[40] وكقول الفرزدق:

سقتها خروق في المسامع لم تكن علاطا ولا مخبوطة في الملاغم

فهذا كله مجاز لكن ليس في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ لكن في أحكام أجريت عليها.

5 ـ الحذف:

والحذف هو أيضا من المجاز: ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو قوله عز وجل:«واسأل القرية ز41والأصل:وأسال أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر، والنصب فيها مجاز، كقولهم: بنو فلان تطؤهم الطريق يريدون أهل الطريق، والرفع في الطريق مجاز لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأهل، والذي يستحقه في الأصل هو الجر».[42]

وفي قوله تعالى:«ليس كمثله شيء»[43] إن الجر في (مثل) مجاز، لأن أصله النصب والجر حكم عرض من أجل زيادة الكاف».[44]

الإسناد والتشبيه:

يقسم ابن الأثير التشبيه إلى:

1 ـ التشبيه المضمر

2 ـ التشبيه الظاهر

« وفي المضمر إشكال في تقدير أداة التشبيه فيه في بعض المواضع»[45] والمضمر ينقسم إلى أقسام خمسة:

1. يقع موقع المبتدأ والخبر مفردين كقولنا: زيد **أسد**

2. يقع موقع المبتدأ المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف إليه.

3. يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين.

4. يرد على وجه الفعل والفاعل.

5. يرد على وجه المثل المضروب.

وهذان القسمان الأخيران هما أشكل الأقسام الخمسة في تقدير أداة التشبيه.

تقدير الأداة في المضاف إليه: كقولنا:

1 ـ زيد أسد والتقدير كالأسد

2 ـ قول النبي صلى الله عليه وسلم: الكمأة جدري الأرض وهنا لا يحتاج إلى تقدير الأداة، فنستطيع القول:

ـ الكمأة للأرض كالجدري

ـ الكمأة كالجدري للأرض

فهنا لا يحتاج في تقدير الأداة إلى تقديم المضاف إليه فإذا شئنا قدمنا أو أخرنا لأن المضاف إليه معرف.

أما إذا كان المضاف إليه نكرة فلابد من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه كقول البحتري:

غمام سماح لا يغب له حيا ومسعر حرب لا يضيع له وتر

فإذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا: سماح كالغمام ولا يقدر إلا هكذا، والمبتدأ في هذا البيت محذوف وهو الإشارة إلى الممدوح.س46

حذف المشبه مع حذف المسند إليه:

لقد ذكر السكاكي [47] حذف المسند إذا كان السامع متحفزا له عارفا القصد إليه عند ذكر المسند في مثل قول الشاعر :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

إشارة إلى حذف المسند إليه «أنا» في أنا عليل ، وكذلك قول أحدهم:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندا بسريع

أراد هو سريع فحذف المسند إليه على أساس التقدير.

وعلى هذا النحو يحذف المشبه لا على أساس الاستعارة ، ولكن على أساس حذف المسند إليه كما في قول الشاعر :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهـم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

نجوم السماء كلما غاب انقض كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبـه

التشبيه هو : نجوم سماء ← المشتبه به

المشتبه : حذف لوقوعه مسندا إليه يدل عليه السياق في البيت الأول

التباعد والتقارب في البنية التركيبية الدلالية للاستعارة:

يطرح عبد القاهر الجرجاني في هذه القضية رؤية جديرة بالوقوف والدراسة، ويتعلق ذلك بمسألة التباعد والتقارب في البنية الدلالية للاستعارة، فالصورة الجيدة هي التي يستطيع فيها الشاعر أن يصيب بين المختلفين المتباعدين في الجنس في الملاءمة والتأليف السوي بينهما.

والجدير بالملاحظة هنا أن عبد القاهر الجرجاني قد استعمل مصطلح الملاءمة48 والذي استعمله (جان كوهن) كثيرا في كتابه بنية اللغة الشعرية وإن كان بينهما اختلاف بسيط.

وعلى هذا الأساس فإن الصورة الجيدة عند عبد القاهر هي ما جمعت بين مختلفين، يقول عبد القاهرمعلقا على بيت ابن المعتز:

فكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا[49]

«ولم يكن إعجاب هذا التشبيه لك وإيناسه إياك لأن الشيئين مختلفان في الجنس أشد الاختلاف فقط، بل لأنه حصل بإزاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون وأتمه، فبمجموع الأمرين ـ شدة ائتلاف في شدة اختلاف ـ حلا وحسن».[50]

إن عبارة «فبمجموع الأمرين شدة ائتلاف في شدة اختلافس الأخيرة تشبه إلى حد بعيد عبارة كوهن:سويتكون مجموع العملية من زمنين متعاكسين متكاملين»[51].

إن هذا الطرح يشبه ما ذهب إليه (ستيفن أولمان) بقوله:« إن الصورة التي تبقى في الذاكرة حقا ليست مجرد تقرير تشابه واضح، بل هي التي تكشف تماثلا خفيا بين ظاهرتين تبدوان منفصلتين»[52].

البنية الدلالية ومبدأ التناقض:

إن مبدأ التناقض يفترض وجود تنافر بين المسند والمسند إليه على مستوى الصفات، فإننا إذا أطلقنا صفة شيء مادي على شيء معنوي كاللون في الأمثلة الآتية [53] :

احتضار أبيض و رائحة سوداء

فنلاحظ خاصية الخروج الدلالي وإن كانت هذه الخاصية ليست هي الوحيدة في هذا المستوى، فالمنطقي أن نستعمل كلمة **(أحمر)**[54] للأشياء الملونة أو القابلة لأن تكون ملونة، وعليه فإن العنصر **(أحمر)** لا يمكن أن يكون مسندا إلا للأشياء المادية والتي يمكن أن يكون لها لون، فهنالك أشياء مادية لكنها غير قابلة للون مثل عبارة: **الرياح السوداء**.

فمبدأ التناقض موجود بين الرياح التي لا لون لها وبين اللون الأسود وسيظل هذا التناقض قائما وإن نفينا الجملة فعندما نقول: أصوات الأجراس زرقاء أو قلنا: أصوات الأجراس ليست زرقاء «فمن ناحية التصور اللغوي فإن النفي إطلاقا من تعريف المتضمنات، يظل محتويا على المتضمن فإن ننفي عن المسند إليه لونا ما، فإن ذلك يعني أن له لونا آخر».[55]

وعليه فإن مبدأ التناقض ينطبق تماما على هذه الحالة من حالات الصورة وبالتالي فإن نفي الجملة الانزياحية هو في حد ذاته انزياح.

وفي بعض الجمل ينفي المدلول ما يؤكده الدال، بحيث يصبح التعبيران غير متعادلين، فالأول يؤكد العلاقة بين وجهي الدال والمدلول، في حين يؤكد التعبير المنفي على المدلول الذي يذهب بالدال في الاتجاه المضاد له.[56]

إن النفي لا يمثل أي خروج عن القاعدة، وإن كان قابلا للإنتاج من الناحية النظرية فإن ذلك الإنتاج لا يكون ثقيلا ومؤثرا، ومرد ذلك إلى فقدانه قوته النفييّة، وبعبارة أخرى لن تصبح له نفس قوة الجمل التي نفاها، ويقدم لنا (كوهن) مثالا للشاعر (فكتور هوجو)[57]:

عطر طري ينبعث من باقات الزنبق

Un frais parfum sortait des

Touffes d'asphodèles

يلاحظ (كوهن) أن التركيب النعتي : **عطر طري** Un frais parfum يحتفظ بثلاث صور نمطية على مستويات ثلاثة:

1 ـ مستوى دلالي:

يتمثل في عدم الملاءمة بين عطر الدالة على المشمومات وطري الدالة على الأشياء الملموسة.

2 ـ مستوى نحوي:

يتمثل في تقديم وتأخير عبارة طري العطر.

3 ـ المستوى الصوتي:

أي التجانس والتوافق الصوتي الذي ينعكس على علاقة الدوال بالمدلولات:

frais parfum

فلو أدخلنا النفي على جملة: عطر طري بكلمة ذابل أو فاتر في مثل عبارة:

عطر ليس بذابل

لتبين لنا من الوهلة الأولى أن العبارتين تؤديان المعنى نفسه لكن البنية الدلالية تقول غير ذلك فالعبارتان لا تتشابهان لأن المدلول فقد في العبارة الثانية مساندة الدال.[58]

البنية الدلالية بين الاستعارة والكناية:

أولا الاستعارة:

يقسم (فرانسوا مورو) الاستعارة إلى استعارة حضور واستعارة غياب وذلك حسب حضور المدلول أو غيابه:

1 ـ ففي استعارة الحضور يتوفر كل من المشبه والمشبه به وهذا ما يقابل في البلاغة العربية التشبيه البليغ، غير أن استعارة الحضور تطابق بين ركني التشبيه بدل التقريب بينهما.

وهذه الاستعارة بدورها تنقسم إلى أقسام ثلاثة[59]:

الاستعارة الاقترانية:

وهي ما ارتبط فيها الشيء الدال بالشيء المدلول بالاعتماد على وظيفة الاقتران مثل: **أجنحة الظلام المنتشر**

الاستعارة الإسنادية:

ويكون فيها الشيء الدال مسندا إلى الشيء المدلول أو العكس ومثال ذلك:

روحك منظر طبيعي مختار

الاستعارة بالإضافة:

ويكون الشيء المدلول مربوطا بالشيء الدال بواسطةde أي الإضافة.مثل:

طبعه من فولاذ.

وهذه الاستعارة يصنفها ابن الأثير حسب ركني الإسناد عندما تقع موقع المبتدأ المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف إليه[60].

2 ـ الكناية:

يقترح (فرانسوا مورو) مخططا لتمثيل العلاقات بين الشيء المدلول والشيء الدال في الاستعارة وفي الكناية بالطريقة الآتية[61]:

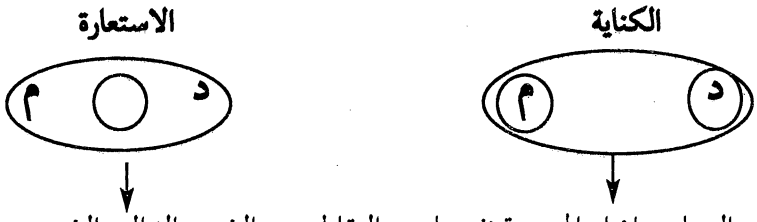

ففي مثال: **الذهب يسقط تحت الحديد**، نلاحظ أن كلمة ذهب تحيلنا استعاريا على مدلول: القمح المحصود.

أما استعمال الجملة: الحصاد يسقط تحت الحديد فهي عبارة كنائية كما هو في الرسمين الآتيين:

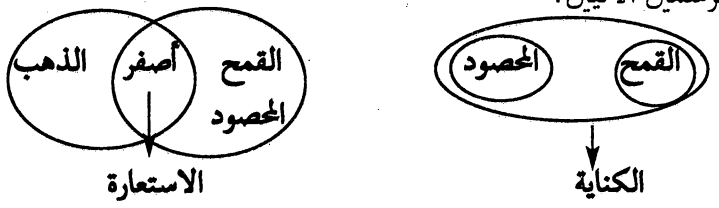

وهكذا فإن الكناية تقوم من حيث علاقة الدال بالمدلول على المجاورة في حين تقوم الاستعارة على مبدإ المشابهة.

يمكننا في خاتمة هذا البحث أن نشير إلى أهمية البنية التركيبية والعلاقات الإسنادية في تشكيل المعاني والدلالات عبر النشاط التصويري الذي تمدنا به طاقات اللغة، وذلك ضمن التصورات اللغوية والبلاغية في النظريات الشعرية المختلفة.

الهوامش:

1 ـ نور الدين السد /الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر 1997 الجزء الأول ، ص 89

2 ـ غاستون باشلار، شاعرية أحلام اليقظة، ص. 51

3 ـ ينظر جان كوهن/ اللغة العليا.-الطبعة الثانية: المجلس الأعلى للثقافة 2000 ص.218

4 ـ ينظر جان كوهن/ بنية اللغة الشعرية ص. 122

5 ـ جان كوهن/ بنية اللغة الشعرية ص. 102

6 ـ ينظر المرجع نفسه ص.369

7 ـ سيبويه/ الكتاب .- ج1, ص. 25

8 ـ ينظر جان كوهن/ بنية اللغة الشعرية ص. 102

9 ـ وينظر أيضا طارق النعمان مفاهيم المجاز بين البلاغة والتفكيك الطبعة الأولى ميريت للنشر والمعلومات القاهرة 2003 ص24

ـ المرجع نفسه ص104 10

11 ـ ينظر ديوان لبيد ص 176

12 ـ عبد القاهر الجرجاني/ أسرار البلاغة؛ تحقيق محمد الفاضلي.- الطبعة الثانية المكتبة العصرية: بيروت، 1999 ص.38

13ـ ينظر ديوان زهير ،ص. 64

14 ـ ينظر المرجع نفسه ،ص 40

15 ـ عبد القاهر الجرجاني/ دلائل الإعجاز.- طبعة موفم للنشر ،ص. 94

16 ـ ينظر المرجع نفسه، ص.369

17 ـ الديوان، ص. 29

18 ـ ينظر المرجع نفسه، ص.369

19 ـ ينظر المرجع السابق، ص.377

20 ـ ينظر المرجع نفسه ،ص.335 –336

21 ـ سورة مريم الآية 4

22 ـ ينظر المرجع السابق،ص .367

23 ـ عبد القاهر الجرجاني / دلائل الإعجاز: موفم للنشر، ص.57

24 ـ ينظر المرجع نفسه، ص.58

25 ـ سورة هود الآية 44

26 ـ المرجع نفسه ص. 59

27 ـ الديوان ص. 106

28 ـ الشطر من بيتين هما:

فلمّا قضينا من منى كل حاجة ومسح ركن البيت من هو ماسح

نزعنا بأطراف الأحاديث بيننا ومالت بأعناق المطي الأباطيح

وينسبان إلى كثيّر عزّة مرّة وإلى عقبة بن كعب بن زهير مرّة، وهو بلا نسب في لسان العرب وهناك شرح حسن لهم في الخصائص 238/1

29 ـ المرجع نفسه ص. 85

30 ـ دبوان ابن المعتز، ص. 129

31 ـ عبد القاهر الجرجاني / أسرار البلاغة، ص 42/48

32 ـ فرانسوا موروا/ البلاغة :المدخل لدراسة الصور البيانية؛ ترجمة محمد الولي وعائشة جرير.- أفريقيا الشرق: الدار البيضاء،2003,ص. 44

33 ـ فرانسوا موروا/ البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، ص.46

34 ـ ينظر عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص. 42/48

35 ـ الديوان ص. 176

36 ـ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 42

37 ـ ينظر بدوي طبانة/ معجم البلاغة العربية.- الطبعة الرابعة.- دار المنار : جدة؛دار ابن حزم: بيروت ، 1997, ص. 444.

38 ـ ديوان المتنبي ص 370

39 ـ ينظر عبد القاهر الجرجاني / أسرار البلاغة ص. 274

40 ـ سورة البقرة الآية 16

41 ـ سورة يوسف الآية 82

42 ـ ينظر عبد القاهر الجرجاني / أسرار البلاغة ،ص .306

43 ـ سورة الشورى الآية 11

44 ـ ينظر عبد القاهر الجرجاني / أسرار البلاغة ،ص. 307

45 ـ ضياء الدين بن الأثير/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ؛تقديم وتعليق د/ أحمد الحوفي ؛د/ بدوي.- طبانة الطبعة الثانية .-دار النهضة للطبع والنشر، القسم الثاني ص. 115

46 ـ ضياء الدين بن الأثير/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم الثاني ص. 115

47 ـ السكاكي/ مفتاح العلوم.- ط 2 .-، دار الكتب العلمية : بيروت ،1987 ، ص. 176

48 ـ ينظر عبد القاهر الجرجاني / أسرار البلاغة ص. 114

49 ـ ديوان ابن المعتز ،ص.141

50 ـ المرجع نفسه ص115

51 ـ ينظر جان كوهن /بنية اللغة الشعرية، ص. 109

52 ـ ستيفن أولمان/ الأسلوبية وعلم الدلالة؛ ترجمة محي الدين محسب .-دار الهدى للنشر والتوزيع : المنيا ؛ القاهرة 2001: ص. 28

53 ـ ينظر جان كوهن اللغة العليا ،ص .80, ينظر المرجع نفسه ص. 81

54 ـ ينظر المرجع نفسه ص. 81

55 ـ المرجع نفسه ص. 83

56 ـ ينظر المرجع السابق ص. 122

57 ـ ينظر المرجع نفسه ص. 123

58 ـ ينظر المرجع السابق ص. 123

59 ـ فرانسوا موروا/ البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية ،ص.41

60 ـ ينظر ضياء الدين بن الأثير/ المثل السائر ،ص . 115

61 ـ فرانسوا موروا/ البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية ،ص. 60ح

الذخيرة العربية
وأهميتها
في رفع المستوى الثقافي والعلمي للمواطن العربي

أ. عبد الحليم ريوقي

- الجزائر-

مقدمة:

تميز هذا العصر بتطور كبير في جميع مناحي الحياة، وأصبحت تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة هي المسيطرة على كل المستويات، ومذللة لصعابها وعوائقها، ولها أهمية لا مفر منها لفك الكثير من العقد والتشابكات التي وقعت فيها المجتمعات في هذا العصر، وأصبحت أسيرة فيها، حتى إننا نسمع بأن الكثير من الدول أصبحت تسعى لما يسمى بالحكومات الإلكترونية، وكذلك ما من علم من العلوم - التي تعددت وتفرعت- إلا ويستعين بها، ويكيف استخدامها بما يسهل عليه عمليات الحفظ الجيد، أو سرعة البحث أو المقارنة الشاملة في ما سبق أو الاطلاع على ما جد فيه من تطورات...، ومن هذا المنظور كان السعي والعمل من أجل إيجاد مشروع هادف تستغل فيه تكنولوجيات الإعلام الحديثة (الحاسوب، الإنترنيت،...) لخدمة الباحثين، الدارسين، وكل طالب أو مستزيد

في مجال علوم اللغة العربية، وهذا السعي شكل اللبنة الأولى لميلاد مشروع الذخيرة العربية.

فمشروع الذخيرة العربية يقوم على بنك آلي من النصوص العربية القديمة والحديثة مما أنتجه الفكر العربي، فهو ديوان العرب في عصرنا، وسيكون آليا أي محوسبا، وعلى شبكة الإنترنت، وهو بنك نصوص لا بنك مفردات أي ليس مجرد قاموس بل مجموعة من النصوص مندمجة حاسوبيا ليتمكن الحاسوب من المسح لكل النصوص دفعة واحدة أو جزء منها كبيرا أم صغيرا أو نصا واحدا، وغير ذلك[1]. ويعرفه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وهو صاحب فكرة المشروع بقوله:«هو بنك آلي من النصوص العربية القديمة، وخاصة التراث الثقافي العربي والحديثة مثل الإنتاج الفكري العربي المعاصر، وأهم الإنتاج العلمي العالمي بالعربية، وذلك على موقع من الإنترنيت»،[2]وهو يغطي ويكشف في نفس الوقت «استعمال العربية طوال خمسة عشر قرنا في أروع صوره، ثم هو يغطي الوطن العربي أجمعه في خير ما يمثله من هذا الإنتاج الفكري (زيادة على الكثير جدا من الخطابات العفوية)»[3]. وتمثل الذخيرة العربية اقتراحا حضاريا يعد إضافة علمية نوعية يسهم في تقدم العلم، ويرسم استراتجياته المستقبلية، فالمشروع يعنى بلم شتات المعارف الموجودة سابقا لإعطاء تصور لها في المستقبل، وهذا التصور يتفاعل ويؤسس لاقتراحات سابقة وأخرى لاحقة[4] ففي مرحلة أولى للمشروع سيتم حيازة:

- النص القرآني بالقراءات السبع وكتب الحديث الستة.
- أهم المعاجم اللغوية (وحيدة اللغة والمزدوجة).

- الموسوعات الكبرى الهامة عربية الأصل، والمنقولة عن اللغات الأخرى.

- عينات من الكتب المدرسية والجامعية القيمة الرائجة في الوطن العربي أو في البلد الواحد.

- عينات من الكتب الخاصة باكتساب بعض المهارات منها تعليم اللغة العربية على الطريقة الحاسوبية.

- عينات من الكتب التقنية.

- عينات من البحوث والدراسات ذات الأهمية العلمية المنشورة في المجلات المتخصصة.

- عينات من المقالات الإعلامية الصحفية والإذاعية والتلفزيونية والمداخلات المنطوقة في اللقاءات العلمية.

- أهم ما حقق ونشر من كتب التراث الأدبية والعلمية من العصر الجاهلي (شعر الشعراء المدون) إلى عصر النهضة،[5] وهذا العنصر الأخير هو الأهم في المشروع.

فهو مشروع يعتمد على وسائل التكنولوجيا الحديثة، بحيث يتم تخزين وحيازة الكتب والمؤلفات العربية القديمة والحديثة، والتي لها صلة بالتراث اللغوي العربي بواسطة الحواسيب، وبعد ربطها بمحرك بحث يتم وضعها تحت تصرف كل باحث ومتطلع عبر موقع في الإنترنيت، وعلى هذا الأخير أن يختار كتابا معينا أو عصرا معينا أو كاتبا بعينه، وله كذلك أن يختار الكل، بعدها له خانة معينة (أو ما يسمى مربع النجاح) ليكتب فيها كلمة أو جملة ليقوم محرك البحث بتزويده بكل الكتب أو المقالات الموجودة فيها، وبالعزو إلى الصفحة الموجودة فيها، وهذا

حسب اختياراته الأولى ، ويظهر له عدد التكرارات إن على مستوى المؤلف الواحد أو عند كاتب معين أو في عصر معين، فهي بالتالي مدونة لغوية شاملة

المشروع له بعد علمي حضاري فكري لغوي من شأنه أن يسهل عمل الباحثين والدارسين والمتطلعين، وهذا بشكل سريع، ومعرفة أول استعمال (عصر، كتاب ، مؤلف) لكل الألفاظ، المصطلحات والمفاهيم، وحصر كل المؤلفات التي وردت فيها الكلمة، وليس كما هو الحال في السابق عندما يخطأ المرء في رصد أول استعمال لكلمة معينة أو مصطلح محدد، أو حصر كل المؤلفات المتكلمة عنها، أو أنه عاجز عن إيجاد الكتب المنشودة، أو أنها مفقودة أو طبعت طبعة واحدة ونفذت، وهذا ناتج عن عجز في فكر الباحث أو تقصير من جهات أخرى كالمكتبات مثلا، وعليه فالمشروع هو مصدر موثوق من المعلومات العلمية والأدبية واللغوية، وشامل ومحدد ودقيق الاستعمال.

فكرة المشروع : صاحب فكرة المشروع هو أستاذنا الدكتور العلامة عبد الرحمن الحاج صالح، الذي دافع عن فكرة المشروع لمدة ثلاث وعشرين سنة، ومازال، بالرغم من أن المشروع تبنته جل إن لم نقل كل الدول العربية، وكثير من المنظمات، وخاصة جامعة الدول العربية.

وفكرة المشروع الأولى عرضها العلامة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في مؤتمر التعريب الذي انعقد بالعاصمة عمان سنة 1986م، فأوضح أهمية المشروع في البحوث اللغوية والعلمية، خاصة على مستوى توحيد المصطلحات، ورصد المفاهيم، واستثمار وسائل التكنولوجيا الحديثة في ذلك[6].

وعرضت الجزائر المشروع على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ديسمبر 1988م، فوافق أعضاؤه على تبنيه في حدود إمكانيات المنظمة[7]. ونظمت جامعة الجزائر مع المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم في ماي 1991م أول ندوة للمشروع شارك فيها بعض ممثلي الهيئات العلمية العربية، وخرجوا بتوصيات تخص تنظيم العمل وكيفية المشاركة، ورصد هيئات المتابعة، ومنه تقرر تنظيم ندوة ثانية تجتمع فيها المؤسسات الراغبة في إنجاز المشروع[8]. وتقرر أن يستضيف الندوة مركز البحوث والدراسات العلمية بدمشق سنة 1995م، ولكن لم يحصل ذلك[9].

وكانت هناك عدة اجتماعات وندوات وملتقيات لحصر الأطراف المشاركة أو كيفية مشاركتها أو إقناع بعض الهيئات من أجل تبني المشروع، ومن أهم تلك الندوات هي« الندوة الدولية حول حوسبة الذخيرة اللغوية العربيةس المنعقدة بالجزائر من 03 إلى 05 نوفمبر 2001م، والتي شارك فيها عدد كبير من الباحثين والدارسين العرب من الجزائر، تونس، المغرب، مصر، الأردن، والكويت، والتي دارت محاورها حول أهمية المشروع، وتوظيف وسائل التكنولوجيا الحديثة لخدمة المشروع، وتطويعها من أجله، من أجل فعالية أكثر،س ومن حسن حظ المشروع أن تبناه المجمع الجزائري للغة العربية، فنظم المجمع بالمشاركة الجزئية لجامعة الجزائر ندوة تأسيسية انعقدت في الجزائر بين 26و 27 ديسمبر بالرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية، وجمعت تسع دول عربية، ووعد الباقون من المدعوين بالمشاركة في الندوة المقبلة، وخرجت هذه الندوة بتوصيات وقرارات هامة من أجل النهوض بالمشروع، وأهمها إنشاء لجنة دولية دائمة للمتابعة والتخطيط والتنسيق»[10].

وآخر اجتماع كان بعاصمة السودان الخرطوم سنة 2002م بجامعة الخرطوم، وفيه تقرر أن يقدم اقتراح إلى جامعة الدول العربية للتكفل بالمشروع، وفيه تقرر أيضا تسمية المشروع بـ:«مشروع الذخيرة العربية» بعد أن كان يسمى مشروع الذخيرة اللغوية العربية، فالمشروع وإن كان في أصله يعنى باللغة العربية وعلومها إلا أنه يتجاوز الجانب اللغوي لشموليته،[11] والمشروع لا ينظر إلى اللغة العربية وآدابها فقط، ولا إلى العلوم اللسانية وحدها، وإنما ينظر إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية، العلوم الأساسية والتكنولوجية على حد سواء، لأن اللغة هي الوسيلة بالنسبة للباحث في أي علم من العلوم[12].

وفي14 سبتمبر2004م تبنى المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية المشروع بالإجماع، والذي يقوم على أن تكون هناك لجنة قطرية أو وطنية في كل بلد يترأسها المسؤول المحلي للمشروع (ترشحه حكومته ويعينه الأمين العام لجامعة الدول العربية)، وكل واحد من هؤلاء يمثل دولته في الهيئة العليا للمشروع، وهو المسؤول عن متابعة المشروع في بلده، والتنسيق والتخطيط في الهيئة العليا، وكل دولة تشكل خلايا الحيازة والمتابعة والبحث (كل خلية متكونة من ثلاثة (03) إلى عشر (10) أفراد للحيازة يشرف عليهم دكتور، ويضاف لهم مشرف تقني برتبة مهندس حاسوبي)، هذه الخلايا تقوم بمهام حيازة الإرث الضخم من التراث اللغوي العربي وفق برنامج محدد لكل دولة من طرف الهيئة العليا للمشروع، ومقر الهيئة العليا للمشروع يكون بأرض الجزائر بمقر المجمع الجزائري للغة العربية.

وقد وافقت 18 دولة إلى غاية 12 أفريل 2006م على تبني المشروع، وقدمت مرشحيها، وفي27-28 جوان 2009م تم تنظيم اجتماع بالجزائر ضم ممثلي جل الدول العربية، وهيئة جامعة الدول العربية من أجل تبنيها للمشروع بشكل رسمي نظرا لأهميته العلمية والفكرية والحضارية، وعين الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رئيس المجمع الجزائري للغة العربية، وصاحب فكرة المشروع، رئيسا لمشروع الذخيرة العربية، ومقره بالمجمع الجزائري للغة العربية، ووجب الذكر بأن منذ بداية الفكرة وإلى غاية اليوم كثير من الدول، والهيئات العلمية أعجبت بالفكرة، وانطلقت في حيازة الكتب والمؤلفات ذات الصلة بالتراث اللغوي العربي بشكل حر أو منظم وفق الهيئة العليا للمشروع، وهناك عدة لجان بالمشروع أهمها:

- **لجان الحيازة :** وهي تقوم بحوسبة النصوص التراثية اللغوية، والعلمية، والنصوص ذات الصلة بالمشروع.

- **لجنة المعاجم:** تهتم بالمعاجم الكبرى للعلماء المتقدمين، والمعاجم الحديثة مزدوجة اللغة، معاجم المصطلحات العلمية.

- **لجنة التنسيق والمتابعة :** وهي بدورها تتشكل من لجان وهي:

1 - **لجنة التراث:** مهامها حصر النصوص المراد حيازتها، التنسيق لكيلا يحدث التكرار في حيازة النصوص، ومتابعة أعمال المشروع، والعمل والحث على تحقيق بعض الكتب المخطوطة القيمة غير المحققة.

2 - **لجنة الترجمة للبحوث العلمية:** وهي تعمل على متابعة الجديد في الساحة العلمية من بحوث ومقالات ودراسات أجنبية، والعمل على ترجمة النفيس منها خاصة ما يخدم اللغة العربية.

3 – **لجنة الحاسوبيات:** وهي لجنة تعمل على النظر في مشاكل المشروع من جوانبه التقنية، وتذليلها وتطويرها بما يخدم المشروع، ويجعله أكثر نجاعة.

أهداف المشروع :

أهداف المشروع متعددة، لما له من عدة أبعاد علمية، ثقافية، فكرية، تربوية، حضارية، ويهدف أساسا إلى :

– «الذخيرة كبنك معلومات آلي : إن الهدف الرئيسي لمشروع الذخيرة هو أن يمكّن الباحث العربي أيا كان، وأينما كان من العثور على معلومات شتى من واقع استعمال العربية بكيفية آلية، وفي وقت وجيز»[13]. فالمشروع يهدف لإنشاء بنك آلي للغة العربية (بنك نصوص)، بحيازة وحوسبة نصوص المؤلفات ذات القيمة الكبيرة (كتب، معاجم، مقالات، رسائل، أطروحات،...) في علوم اللغة وغيرها، فهو«يتضمن أمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية والتقنية وغيرها، وعلى الإنتاج الفكري العربي المعاصر في أهم صوره، بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتى الميادين»[14]. وللباحث حرية البحث فيها (عن كلمة، جملة،...) عبر وسائط ووسائل التكنولوجيا (الحاسوب، الإنترنيت)، في عصر معين، أو عند كاتب معين، أو في مؤلف ما، ...، أو اختيار كل الكتب والعصور، وهذا للوقوف على أول استعمال للكلمة المعينة (لفظ عادي أو مصطلح علمي)، وحصر كل المؤلفات التي وردت فيها هذه الكلمة، ومنه يصبح البحث أكثر دقة وشمولية، مع ورود تكراراتها في كتاب معين أو عصر معين أو عند كاتب بعينه، كل هذا بشكل سريع لأن المعطيات ستعالج بشكل محوسب وفق التكنولوجيات الحديثة (الحاسوب و الإنترنيت)، ومن شأنه وضع

حد لتداخل الكثير من المصطلحات والمفاهيم وهي أزمة حقيقية في ميدان العلوم.

- **الذخيرة كمصدر لمختلف المعاجم والدراسات:** سيستخرج من هذا البنك (المسمى عند المهندسين بقاعدة المعطيات النصية) العديد من المعاجم نذكر منها:

- **المعجم الآلي الجامع للألفاظ العربية المستعملة:** وفيه تحدد معاني كل مفردة وسياقاتها التي ظهرت فيها، ويحتوي على جميع المفردات العربية التي وردت في النصوص المخزنة القديمة والحديثة.

- **المعجم الآلي للمصطلحات العلمية والتقنية المستعملة بالفعل:** سيحتوي على المصطلحات التي دخلت في الاستعمال ولو في بلد واحد أو جهة معينة لأنها وردت في نص واحد على الأقل، ويذكر مع كل مصطلح ما يقابله في اللغتين الإنكليزية والفرنسية، أما ما لم يدخل في الاستعمال وورد فقط في معجم حديث فيشار إليه فقط مع ذكر مصدره، وسيجزأ هذا المعجم إلى معاجم متخصصة بحسب فنون المعرفة، ومجالات المفاهيم .

- المعجم التاريخي للغة العربية.
- معجم الألفاظ الحضارية (القديمة والحديثة).
- معجم الأعلام الجغرافية.
- معجم الألفاظ الدخيلة والمولدة.
- معجم الألفاظ المتجانسة والمترادفة والمشتركة والأضداد.

وغير ذلك من المعاجم المفيدة .[15]

- رصد دقيق وشامل لاستعمالات اللغة العربية في زمان ما أو عصر معين.

- حصر تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد.

- الوقوف على معاني الكلمات من خلال سياقها في عصر معين، وتحديد زمن ظهورها، وأول استعمال لها.

- رصد التحول / التطور/ التعدد / الانقراض الدلالي للكلمات وسياقاتها.

- يشكل المشروع معجم آلي جامع للغة العربية مع المقابل الفرنسي والإنكليزي يستخرج من البنك الآلي المذكور (معجم مفردات).

- مع وجوب ذكر أن المشروع يهدف إلى ترجمة الأعمال الهامة بلغات أخرى تخدم الجوانب اللغوية العربية، أو لها علائق وترابط بينها، إلا أنه عمل تطوعي تعمل وفقه لجنة مختصة ترصد أهم البحوث الأجنبية وتعمل على ترجمتها، ووضعها في محرك البحث الخاص بالذخيرة العربية، وهذا كل ثلاث أشهر حتى يضمن المواكبة لمسايرة البحوث والتطورات العلمية، بعد أن كانت الأعمال تترجم بعد أن يأتي عليها حين من الدهر، بل وتصبح ترجمتها غير مجدية في حين آخر.

- ويهدف المشروع إلى تسهيل وتنويع ومتابعة الدراسات اللغوية، وميادين أخرى غير لغوية منها الدراسات التاريخية، وخاصة تاريخ الحضارة العربية، وتاريخ الفكر العربي الاجتماعي والعلمي والديني وغيرها، كذلك الدراسات الاجتماعية، والنفسية بحصر مجالات التصورات الخاصة بكل فئة في كل قطر أو إقليم عبر العصور، ودراسة تفاعلها ومدى تأثيرها[16].

- وعلى هذه الأهداف يدرك بأن الغرض منه بحثي، ويهدف لحفظ اللغة بحفظ وحيازة الكتب التراثية، وحفظ علوم اللغة كالنحو والصرف، البلاغة، العروض، وفقه اللغة، ومعرفة أحوال المفردات والتعابير، من أول استعمال، وسياقاتها، ودخيلها ومولدها، وليس الجانب اللغوي فقط بل يتعداه لكل العلوم والمعارف التي لها صلة بالعلوم والمعارف، خاصة بعد إعادة التسمية بـ مشروع الذخيرة العربية ، فإن قيل سابقا بأن الشعر هو ديوان العرب فإن مشروع الذخيرة العربية هو ديوان العلوم العربية في العصر الراهن[17].

- الهدف المهم من وراء المشروع هو أنه مصدر مهم، وموثوق لإنجاز البحوث العلمية بشتى أنواعها، مع ضمان الدقة والشمولية، وخدمة كل متطلع للمعارف أو مستزيد منها، ودعم عملية التعلم والتعليم في كل الأطوار، ومعرفة التطور العلمي عبر الأزمنة بشكل عام أو خاص.

عوائق المشروع:

المشاريع الصغيرة لها عوائقها فما بالنا بهذا المشروع الضخم الهام، بل بالعكس كلما كان المشروع هاما كانت عوائقه كبيرة وكثيرة، ومن عوائق المشروع نورد بعضها، وأهمها، وهي:

- عائق الكمية الكبيرة من المعطيات المراد حيازتها[18]. تراثنا اللغوي العربي على مدار خمسة عشر قرنا تقريبا ضخم من حيث المؤلفات، ومن حيث تعدد الضروب والفروع، بل إن حصر العناوين أمر صعب بذاته، وهو أمر يدعو للفخر، ويدعو لتبني صعوبته بشكل رسمي، صحيح أن مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة، لكن هذا الأمر وصعوبته لا ينكره أحد، وإن كانت الدول والهيئات ستتقاسم

حيازة هذا الإرث المشترك، لكن يبقى هذا العائق مطروحا، ولنقل عندئذ أن المشروع هو مشروع أجيال، مع ذكر أن هناك بحوث تجري بكيفية الماسح الضوئي للنصوص، ومن ثم تحويلها لصيغة الوورد word ، وإن كانت نسبة نجاحه تبقى دون المطلوب، وهذا لا يغلق باب البحث، وهي طريقة لو تنجح ستسرع العمل بكثير، فبواسطته سينجز في يوم واحد ما ينجز في شهر بالطريقة العادية، وسينجز في أسبوعين ما سينجز في سنة.

- المشروع تبنى فكرة المشاركة الحرة لضخامة المشروع وتكاليفه الباهظة، وبالتالي توزيع العمل على أكبر عدد ممكن من المؤسسات العربية[19]، ففي الندوة الأولى التي انعقدت بالجزائر من أجل إرساء المبادئ الأساسية لإنجاز المشروع (يونيو 1991م) تبنت فكرة المشاركة الحرة للمؤسسات العلمية والجامعية ومراكز البحث ،...،[20]، وهو ما يطرح عائق تكرار حيازة المؤلف الواحد من طرف عدة جهات، وهنا وجب التنسيق التام بين الجهات، والأطراف المشاركة[21] .

- عائق حصر الكتب التي لها صلة بالتراث اللغوي العربي، كما هو معلوم بأن ما دار في فلك النحو والصرف وفقه اللغة والبلاغة والعروض، هو من التراث اللغوي العربي، وهذا لا يعني الحصر بل هناك كتب لها صلة بالتراث اللغوي العربي، حتى وإن كانت غير لغوية، ككتب التاريخ، والتفاسير، والفلسفة، ليست كلها حتما، ولكن بعضها له صلة بالتراث اللغوي العربي، فغريب القرآن والحديث الشريف من صلب كتب التراث اللغوية لأنها تفاسير لغوية، أضف إلى ذلك بأن المعلومات النيرة والدقيقة والفريدة في علوم اللغة العربية ضمتها كتب أخرى لا صلة لها باللغة ككتب التاريخ مثلا* لسبب واحد، وهو أن المؤرخ

التأريخي مثلا لا يذكر معلومة قيمة في اللغة ورد ذكرها في كتب اللغة بل يذكر ما لم يذكر فيها، وهنا يطرح مشكل تحديد قائمة الكتب المحازة ذات صلة بالتراث اللغوي العربي، وهنا وجب وضع خلايا للحصر والمتابعة، والتدقيق والفرز.

– عائق توحيد طرائق النشر الأولي، وتقنيات الحصر والإحصاء (عائق تقني يقضى عليه باتفاق الأعضاء المشاركين على توحيدها، وتسميتها للعمل وفقها، وعدم الحياد عنها)، فالأمر يتعلق بالنسبة لما يحتاج الحاسوب من البرمجيات (soft-ware) ليستطيع الإجابة المناسبة للأسئلة التي تطرح عليه، وهناك أبحاث جادة في هذا الشأن، وهناك أخبار بأن هذه البرمجيات قد تم إنجازها، وقد عرضت على المشاركين في ندوة وطنية بالجزائر[22].

– عائق أن هناك بعض الكتب المخطوطة الهامة، والقيمة في اللغة العربية غير محققة، وهو عائق يقضى عليه بنهضة حقيقية في مجال تحقيق هذا الإرث العظيم من التراث اللغوي، وإلا كان العيب فينا، كيف لا وأجدادنا ألفوا، ونحن عجزنا حتى على تحقيق ما ألفوا.

– عائق اختيار أفضل الكتب من حيث القيمة العلمية[23] وأحسن التحقيقات للكتب والمؤلفات، لأن المؤلف الواحد يمكن أن تجد له عدة تحقيقات على نقيض أن هناك مخطوطات غير محققة، وهذا العائق يزاح باختيار لجنة تزكي وتفاضل بين التحقيقات المتعددة لتوصي بحيازة طبعة معينة.

– هناك بعض العوائق على مستوى الحيازة، وهو ما اكتشفناه وفق خبرة بسيطة في ميدان المشروع ، وهو أن بعض الكتب طبعت وفق معايير ووسائل مطبعية قديمة (حيث كانت الحروف تركب يدويا في صفحة المطبعة)، ولكن عند

حيازتها وفق التكنولوجيات الحديثة نجد صعوبة في كتابة بعض الألفاظ مثلا ، في بعض الكتب يكتبون الألف (ا) وفوقها همزة وتحتها همزة مثلا كلمة اسجاح، ويضعون همزة فوق الألف وأخرى تحتها ليدرك القارئ بأن استعمالها على هذا الجانب وعلى الآخر سواء، لكن وفق الحاسوب الحالي لا يمكن كتابتها بهذا الشكل، وكمثال آخر يكتبون كلمة مذكر ، ويضعون الدال فوق الذال ، للدلالة على استعمال الوجهين*، ولكن في الحاسوب لا يمكن كتابتها، وكمثال حي في هذا الباب هو ما جاء في كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري(ت395هـ) ما نصه « التنين بالفارسية أزدَها»[24], ولكن فوق الزاي ثلاث نقط، ولا يمكن كتابتها بهذا الشكل، هذا أولا وثانيا: عائق في كتابة بعض الهوامش للكتب المحققة بحيث كل صفحة تكتب وفق هامشها كما هي في الكتاب لكن في بعض المرات يتعذر ذلك لامتلاء حجم الصفحة المحازة أضف إلى ذلك بعض الاقتباسات، والاختصارات التي يعتمدها بعض المحققين في الهوامش، فهي لا تشكل عائقا أمامنا لكنها تشكل عائقا على الباحث في ما بعد لأنه لا يفهم معناها[25], بعض هذه المشاكل هي تقنية فمنها ما وجدنا له الحل، ومنه لا يمكن إيجاد حل له إلا بطريقة تقنية، واجتهادا منا وجدنا الكثير من الحلول لجل هذه العوائق، ولكن في الأخير هذه الحلول تؤثر على عملية البحث في ما بعد.

- يضاف إلى هذا بعض الأخطاء المطبعية وهي كثيرة*، ولا يمكن لعالم من العلماء المتقدمين أن يقع فيها ولكن عند طباعتها، تقع أخطاء مطبعية، كوضع الدال مكان الذال[26], وأمر من هذا القبيل يحدث كثيرا، وهو ما يجعل عائقا آخر

أمام الحيازة ووجب التنبه لهذه الأخطاء، كما يجب عدم التسرع بالحكم بالخطأ فالإنسان لا يبني إدراك الخطأ لمحدودية معرفته باللغة ، ففي بعض المرات نجد الكثير يصحح لأنه يعرف كلمة واحدة، وعندما يجد كلمة تشبهها نوعا ما (وهي صحيحة لغة وهو لا يعرفها) يقول بأن هذا خطأ مطبعيا والأصح هي الكلمة التي يتقنها ويعرفها هو *.

- يطرح عائق آخر، وهو متعلق بعملية البحث في ما بعد، ومتعلق بإشكالية المصطلح والمفاهيم، وهو على شقين الأول متعلق بتعدد المفاهيم للمصطلح الواحد، والثاني متعلق بتعدد المصطلحات للمفهوم الواحد وكمثال على الأول نجد على سبيل المثال لا الحصر كلمة «تضمين»، فلو أراد الباحث البحث عن هذه الكلمة كمصطلح علمي وليس ككلمة عادية، فسينتج له خمسة مفاهيم مختلفة وهي:

1/التّضمين في علم النّحو (أو علم البيان)

(saturation sémantique/sémantic saturation): هو إشراب كلمة معنى أخرى لتتعدّى تعديتها نحو الآية «عينا يشرب بها المقرّبون»[27] فالعين يشرب منها وليس بها، والفعل شرب تعدى بالباء لتضمينه معنى ارتوى، وقد يكون في الأسماء أو الأفعال أو الحروف[28], ومن العلماء من يضع هذا النوع في المجاز، وهو ما يجعله يندرج في علم البيان[29].

2/ التّضمين في علم العروض : (enjambement/enjambement) عده بعض العلماء عيبا من عيوب القافية إلى جانب الإيطاء، الإجازة، الإقـــواء، الإجازة، السّناد،... وهو تعلق بيت من أبيات القصيدة ببيت يليه من جهة اللفظ أو المعنى[30].

3/ التّضمين المزدوج*: وهو أن يتكلم المتكلّم بعد رعايته الأسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن، والرّوي كقوله تعالى : «وجئتك من سبإ بنبإ يقين » 31 –32.

4/ التّضمين في علم البديع (insertion d'une citation, quotation /insertion of a.) أمّا التّضمين في علم البديع فهو أن يضمّن الشّعر شيئا من شعر الغير مع التّنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء» [33].

5/ التضمين في علم الصوتيات* : فالمضمّن من الأصوات: ما لا يُستطاع الوقوف عليه حتّى يوصل بآخر قال الأزهري: والمضمّن من الأصوات أن يقول الإنسان قف، فل بإشمام اللام إلى الحركة [34], والتضمين من هذه الجهة ذكر في كتب اللغويين المتقدمين، ولا نجد له أي أثر في كتب اللغويين المحدثين، وهذا يدخل في باب أن التراث اللغوي العربي القديم به كنوز علمية وجب التنبه لها ودراستها.

وبعد هذه الأمثلة يتضح لنا أن هناك مصطلحا واحدا له أكثر من مفهومين(أخذنا التضمين كمثال فقط ويوجد هذا الامر في أغلب المصطلحات)، ووجب على الباحث أن يفرق بين المفاهيم في عملية البحث، وإن كان هذا واضحا من خلال المفاهيم، ولكن وجب التنبه خاصة إذا علمنا بأن الكثير من الباحثين يخلطون بين المفاهيم، ويجعلونها واحدة، وما قلناه هنا ينطبق على الكثير من المصطلحات التي يجب على الباحث التفريق مفاهيمها المتعددة.

الشق الثاني وهو الأكثر عمقا من الأول، وهو ما يتعلق بتعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، وكمثال على هذا نقدم مفهوم التورية، وإن كان مفهومها في

غنى عن تعريفها نعرفها بتعريف الخطيب القزويني(ت739هـ) حين قال: « هي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد بها البعيد»[35] ، والتورية تسمى أيضا :

الإيهام 2- التوجيه 3- التخيل 4- والمغالطة[36], 5- التوهيم 6- الترشيح[37] 7- التعمية 8 [38]- الإشارة [39], ويرى ابن حجة الحموي (ت837هـ) وابن معصوم المدني(ت1119هـ) بأن أقرب اسم لهذا النوع هو اسم التورية لمطابقته المسمى لأنه مصدر وريّت الحديث إذا أخفيته وأظهرت غيره[40], ولكن هذا لا يمنع المصطلحات الأخرى بأن تكتنف مفهوم التورية فمثلا الإيهام أيضا أحق بالتسمية لأن صاحب التورية يوهم السامع بالمعنى القريب وهو يريد المعنى البعيد، وإشكالية المصطلح من إشكاليات العلوم خاصة إذا كان من نوع تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، وأدرجنا هذا العائق لأن الباحث عن كلمة تورية في المشروع سيوافيه محرك البحث بكل الكتب التي تكلمت عن اسم التورية فقط، لكن الكتب التي تكلمت عن التورية بأحد المصطلحات السابقة فلا تظهر، وما قلناه عن التورية يقال عن المفاهيم الأخرى متعددة المصطلحات، وللقضاء على العائق نجد أنفسنا أمام أمرين الأول على الباحث مسبقا أن يعرف بأن للتورية عدة أسماء وعليه البحث عنها بشكل منفصل، والثاني وهو قيام لجنة من الخبراء تعمل على حصر تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، ومن ثم برمجت محرك البحث ليستدعي كل المصطلحات التي لها علاقة بالمفهوم المحدد من خلال مصطلح واحد يريد الباحث البحث عنه، وإن تم الأمر الثاني بالرغم من أنه ليس هينا فعند البحث عن كلمة تورية ستظهر كل الكتب التي تناولت التورية ويظهر معها كل الكتب التي تناولت المصطلحات الأخرى بشكل آلي وفق برمجة خاصة مسبقة.

- يطرح عائق حقوق المؤلفين للكتب التي ينشرونها، وكذلك دور النشر(ملكية فكرية، وملكية حقوق النشر)، وهو مشكل قد يطرح بأقل حدة، نظرا لقيمة المشروع، وهناك حل لهذا العائق، وهو أن يكون تفحص الذخيرة بواسطة اشتراكات، تجمع وتقسم على من يمتلكون حقوق الملكية الفكرية وحقوق النشر باتفاق مسبق[41]، وهناك حل آخر لهذا العائق وهو إصدار رؤساء الحكومات في كل بلد قرارا يفضي بالسماح للجنة الذخيرة المحلية باقتناء نسخة من كل مؤلف يصدر في البلد يستغل كشاهد على الاستعمال، مع المحافظة التامة على حقوق التأليف[42]، يتم ذلك باستثمار الجانب الإحصائي فقط من غير عرض النص الأصلي، يعني أن يعرف الباحث أن الكلمة المعينة هي في كتاب كذا وكذا وصفحة كذا[43]، والأحسن من هذا وذاك هو السماح لهيئة المشروع بنشر الكتب ، لما له من فائدة عظمى على المجتمع العربي، بل بالعكس ننتظر مساهمة دور النشر والمؤلفين في المشروع على كل المستويات لا أن يقفوا عائقا أمام المشروع.

أهمية مشروع الذخيرة العربية في رفع المستوى العلمي والثقافي

إذا كان مشروع الذخيرة العربية يكتسي طابعا علميا فكريا حضاريا من خلال التسمية فهو مشروع يأخذ أبعادا أخرى، فهو أيضا مشروع تربوي ثقافي تعليمي، فالمشروع هو في متناول الطلبة والباحثين والدارسين كما هو في متناول التلاميذ بل إنه بغية كل مستزيد أو متطلع مهما كان مستواه (على الأقل أن يعرف ما يريد ويعرف استخدام تقنية البحث في المشروع)، بل إنه بتقنيته البحثية البسيطة يجعله سهل الاستعمال عند الجميع، ومصدر موثوق ويتميز بالدقة

والشمولية، ويساهم في إثراء الرصيد اللغوي والمعرفي، والتعليمي لكل الأطوار، ويساهم في تكثيف تعليم عموما، وتعليم اللغات خصوصا من عدة جوانب أهمها:

- في البدء ومن خلال اسم المشروع «الذخيرة العربية» يتخيل بأنه خاص باللغة العربية، ويمكن أن يساهم في تكثيف تعليم اللغة العربية فقط، ولا يمكنه أن يساهم في دعم تكثيف اللغات الأخرى، وهنا يمكننا القول: ألا يمكن أن يحتذي بهذا المشروع من طرف اللغات الأخرى، كأن نسمع يوما بمشروع الذخيرة الفرنسية، الذخيرة الإنجليزية، الإسبانية، وهو مشروع رائد وجب أن يحتذي به على مستوى العلوم الأخرى كأن يكون هناك: الذخيرة التاريخية العربية، الذخيرة الفقهية الإسلامية، الذخيرة الفلسفية العالمية...، وهي مشاريع من شأنها أن تحل كثيرا من المشاكل الراهنة، والاختلافات غير المبررة، وإذا انطلقت هذه الذخائر المتعددة من شأنها أن تساهم في بناء معرفي وتكثف عمليات تعليم اللغات والعلوم بصفة أدق.

ومن باب الموضوعية هناك مشروع اسمه الذخيرة اللغوية الفرنسية Trésor de la langue Française ومن الذخائر النصية المحوسبة نذكر القاعدة المسماة بـ Frantext وهي تحتوي على 3500كتابا باللغة الفرنسية تنتمي إلى القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، وما يزال أصحابها يثرونها بنصوص أخرى حديثة[44]، وهي ليست بحجم الذخيرة العربية أولا من حيث الحجم، فتراثنا العلمي من الجانب التوثيقي والتأليفي أكبر من تراث الأمم الأخرى مجتمعة، وثانيا أن المشروع الفرنسي مقصور على اللغة الفرنسية، وهو واضح من اسمه

بينما مشروع الذخيرة العربية فهو شامل، وثالثا وهذا هو الأهم هو أن المشروع الفرنسي لا يمكنك البحث فيه بل إنه مشروع محصور زمنيا من القرن السادس عشر على القرن العشرين، وليس كما هو الحال في مشروع الذخيرة العربية فزمانها يبدأ بدواوين الشعراء الجاهليين، وينتهي إلى آخر بحث أو مقال أو كتاب قيم في عصرنا، كما أنه اعتمد في المرحلة الأولى على تصوير الكتب، وحفظها في بنك معطيات فالباحث فيها يمكن مطالعة كتاب عن طريق تقنية pdf ، ولا يمكنه البحث فيه أو في مجموعة كتب أو عصر معين، وما لاحظناه بأن بعض الكتب تتوفر على هذه التقنية ولكنها ليست معممة، وثالثا فهذا المشروع لا يهتم بنقل المصطلحات إلى اللغات الأخرى كالعربية والإنجليزية مثلا على عكس مشروع الذخيرة العربية فلقد رأينا بأن يعتمد على نقل آلي إلى لغات أخرى كالفرنسية والإنجليزية، وما قلناه هنا ينطبق تماما على شركة غوغل Google والتي تسعى على إعداد موسوعة الكتب العالمية، وهو مشروع بدئ فيه منذ فترة، ولمسنا منهم إرادة في ذلك بعد نشرها عدة إعلانات في كل صحف العالم، وبلغات أهلها تطلب من أصحاب الكتب التقرب لمصالحها في مدة معينة من أجل تسوية الأمور القانونية قبل استغلال محتويات الكتب في موسوعتها، ولكن هذا المشروع ناقص لأن الباحث لا يمكنه البحث فيه لأنه بصيغة pdf ، وهو ما يجعله يفقد صفة الدقة، ولا يساعد في عملية البحث إلا في مجال ضيق وهو مطالعة كتاب معين.

- المشروع يهتم بحيازة القواميس والمعاجم اللغوية وحيدة اللغة ومزدوجة اللغة بين العربية ولغات أخرى[45]، وهو من شأنه تعزيز تعلم لغات أخرى غير العربية، وإثراء الرصيد اللغوي في شقة المتعلق باللغة العربية، وهو مشروع يحوز

على معجم آلي جامع للغة العربية مع المقابل الفرنسي والإنكليزي يستخرج من البنك الآلي المذكور (معجم مفردات)، فهو يعزز تكثيف تعلم اللغات الثلاثة، وهذا على عكس القواميس والمعاجم الورقية والتي من شأنها أن تقفز على بعض الكلمات عمدا أو سهوا، فهذا المعجم الآلي سيكون أكثر اتساعا ودقة، يتميز بالمرونة والسهولة والشمولية، وأكثر سرعة ووضوحا، وهو ما يجعلنا ندرجه في خانة تكثيف تعليم اللغات وفق هذه الخصائص.

- الشيء المهم في جانب تعزيز تكثيف تعليم اللغات هو أن المشروع يهتم بجانب الترجمة للبحوث النفيسة بلغات أخرى غير العربية إلى العربية، وللباحث حق الاطلاع على النص الأصلي والنص المترجم، وهو ما يدفع بروح المقارنة، ومن هنا يساهم المشروع في تكثيف تعليم اللغات، لأن الباحث لا يقف أمام ترجمة لفظية (لفظ مقابل لفظ) بل إنه يقف أمام ترجمة أساليب وتعابير، وهي بكل تأكيد تختلف عن الأولى، وهذا الاهتمام بلغ حتى بإدراج لجنة خاصة تهتم بالترجمة في هذا الجانب، إلى جانب لجان أخرى مثل لجنة التراث، ولجنة الحاسوبيات،...، وهو ما يعكس اهتمام المشروع باللغات الأخرى.

- إن من أهداف المشروع «حصر جميع الطرائق التعليمية المتعلقة بتحصيل مهارة معينة، كتعليم اللغة العربية بحسب أعمار المتعلمين، ومستواهم ولغة منشئهم، وتعليم الفنون المختلفة بالعربية»[46]. يساهم المشروع في عملية تكثيف تعليم اللغات إذا علمنا أن أحد اهتمامات المشروع بطرائق تعليم اللغات بالحاسوب، وخاصة اللغة العربية، ويهدف المشروع باختيار الأحسن منها وفق مسابقات لاختيار أحسن المناهج والطرائق لتدريس وتعليم اللغات، وهو من شأنه

تكثيف تعليم اللغات، واللغة العربية خاصة، «ولهذا ستدخل الذخيرة اللغوية العربية أنواع كثيرة من النصوص منها الموسوعات العلمية والتقنية العربية أو المعربة (مع النص الأجنبي الأصلي)، وطرائق لتعليم العربية ومختلف الطرائق لتعليم تقنيات معينة بمستويات متنوعة » [47].

- المشروع من أحد اهتماماته حيازة الكتب والمراجع المدرسية، والجامعية خاصة التي لها أهمية في عملية التعلم والتعليم[48]. والمشروع يسد ثغرات التعليم، ويصلح ويكمل نقائصه، فالأستاذ أو المعلم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكمل كل الدروس، وأن يوصل الدرس بكامله لكل التلاميذ والطلبة، ولا حتى أن يتطرق لكل قضايا اللغة العربية، وبالتالي فالمشروع وسيلة تتمم هذا وذاك، وهو لا يعترف بحدود الزمان والمكان، ويمكن للمطلع الولوج إليه في أي زمن أو من أي مكان مربوط بشبكة الإنترنيت، كما سيمكن المتطلعين والباحثين من اكتساب مهارات، وكفاءات لغوية بتحصيل سريع للغة العربية أو لغات أخرى مثل الفرنسية أو الإنجليزية.

- والمشروع لا ينظر إلى اللغة العربية وآدابها فقط، ولا إلى العلوم اللسانية وحدها، وإنما ينظر إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الأساسية والتكنولوجيا على حد سواء،[49] فالمشروع له بعد علمي فكري حضاري فهو مشروع جامع (لغوي، علمي، تربوي، ثقافي) فهو مصدر موثوق للمعلومات، وهو في متناول كل باحث، طالب، وتلميذ، بل كل مستزيد من المعارف أو متطلع إليها، وهو في خدمة الملقنين أو المدرسين فهو يساعدهم لإعداد دروسهم والتحضير لها بشكل جيد ودقيق ويتسم بالشمولية، وكما أن المدارس بتعددها

والجامعات باختلافاتها أدخلت بها وسائل التكنولوجيا الحديثة من حواسيب والإنترنت، فسيصبح المشروع سهل المنال، بل يصبح المنفذ الوحيد لأنه مشروع علمي تربوي ثقافي، عكس مواقع أخرى، والطالب والتلميذ يجد فيه كل ما يريد، ويمكنه طرح الأسئلة عكس مواقع أخرى يمكن أن لا يجد المتطلع بغيته، أو بشكل ناقص عن ما يبحث[50]، والمشروع له عدة جوانب أهمها جانب لغوي، وآخر ثقافي، فالجانب اللغوي فهو ديوان العرب لأنه يمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية قديما وحديثا، والجانب الثقافي وهو علمي تربوي في ميادين علمية، تقنية، تاريخية، اجتماعية،....[51]، يضاف إلى هذا أن المشروع يهدف بوجه خاص حيازة: عينات من الكتب المدرسية والجامعية القيمة الرائجة في الوطن العربي أو في البلد الواحد، عينات من الكتب الخاصة باكتساب بعض المهارات منها تعليم اللغة العربية على الطريقة الحاسوبية، عينات من الكتب التقنية ، عينات من البحوث والدراسات ذات الأهمية العلمية المنشورة في المجلات المتخصصة[52]، وهو ما من شأنه ليس تعزيز تكثيف تعليم اللغات، وإنما تعزيز عملية التعلم والتعليم في كل المقررات الدراسية، وفي كل المراحل التعليمية.

- بواسطة هذا المشروع سيتم توحيد المصطلحات العلمية وغيرها في الوطن العربي [53]،كما أن المشروع يساهم في وضع حد لتداخل المصطلحات، والمفاهيم العلمية، وحتى تداخل المعاني الدلالية للألفاظ، وهو عائق أو إشكالية يعاني منها حتى الباحثين والدارسين وليس المبتدئين، فالمشروع سيساهم في وضع حدود فاصلة بين المصطلحات والمفاهيم العلمية لأن الباحث بعد كتابة مصطلح في مربع النجاح يستخرج له المشروع كل التعاريف، وكل الكتب التي تكلمت

عنه، ومنها يمكن أن يحدد المفهوم الصحيح أو عدة مفاهيم، ويفرق بين المصطلحات المتداخلة أو حتى معاني الكلمات ودلالات الألفاظ المتجانسة أو المتشابهة أو الأضداد...، وهو ما يعزز تكثيف تعلم اللغة العربية، وسيصبح بإمكان الباحث أن يعرف أكثر من مترادف أو ضد من الأضداد بعد أن كان بالكاد يجد واحدا هنا وآخر هناك، ومعرفة المصطلحات أمر مهم لأنها متعلقة بمفاهيمها، ومتى عرفت عزز تعلم اللغات، فاللغة مرتبطة بالعلوم، والمصطلحات لها مكانتها في كل علم، والمشروع يمكن «الباحثين والمؤسسات العلمية من وضع المصطلح الأكثر موضوعية الذي يتسم بالوضوح والإحاطة بالمفهوم إحاطة كافية،[...]، ويؤدي ذلك إلى الإسهام في تضييق الفجوة بين الباحثين العرب بما يوحد المصطلحات بينهم بالرجوع إلى واقع الاستعمال» [54].

– المشروع من شأنه أن يعزز تكثيف تعلم اللغة العربية من جانب أن الكثير لا يمكنه حصر أنواع حالات الإعراب مثل أنواع البدل أو أنواع التمييز...، ويضاف إلى ذلك صعوبة سوق شواهد لهذا وذاك، وهو مشكل يواجه الجميع لكن مع المشروع بمجرد كتابة ما تريد تجد أمامك كل الأنواع، وما اتفق عليه، وما اختلف وتطورها وآلاف الشواهد من القرآن الكريم، والشعر...، بل بالعكس ستجد نفسك محتارا في الاختيار والاختصار، وما قلناه في الإعراب يقال في كل حالات النحو والصرف، البلاغة، العروض وفقه اللغة وعلوم اللغة العربية عموما، وهو ما يضفي طابعا متميزا في تعليم اللغة العربية، والنظر في ما يقابله في اللغة الفرنسية والإنجليزية ، وفق المترجم الآلي الموجود بالمشروع..

- ويعزز المشروع كذلك الجوانب الدلالية للألفاظ فكثير من الألفاظ انقرضت، ولم يعد لها استعمال، وهو ما يصادفنا في شعر الشعراء المتقدمين، والمشروع يسهل معرفة دلالتها، وتطورها ومتى ظهرت ومتى اختفت، وفي أي سياق تستعمل، «فالمشروع يسمح بتصفح لمعاني الكلمات من خلال سياقاتها عبر الزمان، وتاريخ ظهور بعض الكلمات الفصيحة والمولدة أو اختفائها، ورصد دقيق وشامل لاستعمال العربية في إقليم خاص في عصر من العصور، ورصد منتظم للاستعمال الحقيقي لمصطلحات ميدان فني معين»[55]، وهو يشكل ما يعرف بغريب اللغة، يضاف إلى ذلك أننا بالكاد نجد مترادفا أو ضدا للكلمة معينة، لكن مع المشروع سيكون لك زخم هام من المترادفات والأضداد، ويساعد المشروع كذلك على وضع حدود فاصلة بين بعض التداخل الدلالي لبعض الألفاظ، ومعرفة بعض المبهمات اللغوية، فللجمل ألف اسم وللأسد أكثر من سبعين اسم، وللنملة أكثر من عشرين اسم،...، وما هو اسم صغير الحية؟ ، وكيف نفرق بين استعمال لفظتا الدرة واللؤلؤة على حسب السياق؟، وإذا كان للجوع عدة أسماء كالجوع والطوى والمسغبة والمخمصة، والسعار، فمتى نستعمل هذا اللفظ دون ذاك؟، وإذا كان للألفاظ: سار، مشى، سرى، وهام، لها نفس المدلول وهو الانتقال، فكيف ومتى نستعمل كل لفظ؟، وغيرها من الأسئلة على هذه الشاكلة، وقد يتعب الإنسان للإجابة عنها وإن وجد شخصا فهو غير ملم بها كلية، وقد لا يجد طرفا آخر يدله على كتاب يجد فيه بغيته، وإن علم بأمر الكتاب لا يكاد يجده، لكن مع المشروع الأمر سهل، ويتميز بالدقة والوضوح، وستجد الجواب سريعا ومعزوا بصفحته وجزئه وصاحب الكتاب وكل الكتب التي

تكلمت عن سؤالك بمتنها وصفحتها، وهو ما يمنح التلميذ والطالب والباحث معلومات موثقة من مصادرها وتتميز بالدقة والشمولية، وهذا الأسئلة التي ذكرناها لها دورها في عملية تعليم اللغة العربية.

- القواميس والمعاجم التي وضعها المتقدمون لا تتسم بالشمولية (فجذر بعض الكلمات بالشكل المعجمي لا يتطرق إلى كل المعاني والاشتقاقات)، والباحثون باختلافهم يجعلونها المستقى الوحيد لجميع أعمالهم و يهملون كتب أخرى هامة في هذا الجانب[56]، ككتب تهتم بدلالة الألفاظ، أو الأضداد أو الترادفات، ...، وغيرها من الكتب التي تعنى بالألفاظ من جوانبها اللغوية، و المشروع سيدعم القواميس والمعاجم العلمية مثل معجم لسان العرب لابن منظور أو القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ...، لأنها توجب على المستزيد منها معرفة جذر الكلمة، وهو ما يتعذر على المبتدئين وحتى على المتمرسين أحيانا أخرى، أضف إلى ذلك أن القواميس والمعاجم التقليدية عاجزة على ربط الدلالات، وتعددها وتنوعها وتطورها، ومتى ظهرت أو اختفت عن الاستعمال، وتعدد المترادفات أو الأضداد أو الفروق الدلالية مثلا بين كلمة حنا وحنى اللهم في ما ندر (قد يبدو الفرق واضحا بينها عند البعض لكن عند البعض الآخر لا يعرف متى يستعمل كتابة هذا اللفظ أو ذاك- وفق الدلالة الخاصة لكل لفظ- خاصة المبتدئين)، لكن مع المشروع الكل سيجد نفسه مرتاحا من كل هذه العوائق لأنه ببساطة سيجد ما قالته كل هذه المعاجم والقواميس وغيرها من الكتب المهتمة ليس بشرح الكلمة دلاليا، ولكن كل ما يتعلق بها من كل الجوانب، وهو ما سيثري الجانب اللغوي لكل المستويات والتطلعات، يضاف إلى هذا المعاجم التي سينجزها المشروع

متخصصة مثل: المعجم التاريخي للغة العربية، معجم الألفاظ الحضارية (القديمة والحديثة)، معجم الأعلام الجغرافية، معجم الألفاظ الدخيلة والمولدة،...

خاصة إذا علمنا أن من بين أهداف المشروع إنجاز معاجم مختلفة كما مر معنا آنفا، ومن بينها معاجم أساسية ووظيفية لتعليم اللغة العربية[57].

- إن من الوظائف الأساسية للمشروع فيما يخص اللغة العربية، وما يندرج في ضمنه من معاجم هو تحصيل معلومات معينة تستخرج من الاستعمال الحقيقي للغة العربية قديما وحديثا لا من المعاجم فقط مثل:

- تحصيل معلومات تخص الكلمة العربية عادية كانت أم مصطلحا.
- تحصيل معلومات تخص الجذور وصيغ الكلم.
- تحصيل معلومات تخص أجناس الكلم.
- تحصيل معلومات تخص حروف المعاني.
- تحصيل معلومات تخص صيغ الجمل والأساليب الحية والجامدة منها.
- تحصيل معلومات تخص بحور العروض والضرورات الشعرية والزحافات والقوافي وغيرها.
- تحصيل معلومات تخص المفهوم الحضاري أو العلمي.
- وغير ذلك[58]

وكل ما ذكر سابقا يشكل رافدا هاما، ونبعا صافيا في تعزيز تعلم وتعليم اللغة العربية لاتصالها بمناهج التعليم ومقرراته، ليس هذا فحسب بل سيعزز تعلّم وتعليم اللغة العربية خاصة، واللغة الفرنسية والإنجليزية، ليس هذا فحسب بل يساهم في عملية تعليم كل المقررات الدراسية والجامعية في كل الأطوار، ورفع

المستوى الثقافي والعلمي للمواطن العربي، ولكل مهتم باللغة العربية من الأجناس الأخرى.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: كتب المحدثين

- **أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح**، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ،الجزائر، ط01, 2007, (جزئين)

- **أ.د.عبد الرحمن الحاج صالح،** أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع 7, جوان 2008.

- **أ. د. عبد الرحمن الحاج صالح**، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع02, ديسمبر 2005.

- **د. بشير إبـريـر،** الـذخيرة الـعربية مشروع علمي حضاري، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 04 ، ديسمبر 2006.

- **مجموعة من الخبراء،** من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع 02, ديسمبر 2005.

ثانيا: كتب المتقدمين:

- **ابن الأثير:** أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمّد بن عبد الكريم، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي، القاهرة، مصر، ط1, 1939.

- **ابن الأجْدَابي:** أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل، كفايَة المتحفّظ في اللغة، تحقيق د.السائح علي حسين، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإسلامية، طرابلس الجماهيرية الليبية، لات.

- **ابن أبي الإصبع المصري:**أبو محمّد زكيّ الدّين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمّد شرف، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1383, هـ.

- **أبو البقاء الكفوي:** أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تحقيق، د. عدنان درويش ، ومحمد المصري، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2, 1993.

- **التّهانوي:** محمد بن علي بن علي بن محمد الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01, 1998.

- **ابن حجّة الحموي :** تقيّ الدّين أبو بكر علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2, 1991.

- **أبو الحسن علي:** بن أبي عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن الروحي، بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، د. محمد زينهم محمد عزب، المكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، مصر، ط 01, 2001.

- **ابن رشيق القيرواني :** أبو علي الحسن، العمدة في نقد الشّعر وتمحيصه، تحقيق عفيف نايف حاطوم، دار صادر بيروت، لبنان، ط1, 2003.

- **الزّركشي:** بدر الدّين محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، لات.

- **ابن الزّملكاني:** ابن الخطيب عبد الواحد بن عبد الكريم، التبّيان في علم البيان، تحقيق د. أحمد مطلوب، و د.خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط1, 1964.

- **السجلماسي:** أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، الرباط، المغرب، 1980.

- **السّكاكي:** أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1, 2000.

- **سيبويه:** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، مصر، ط01, 1316 هـ.

- **السّيوطي:**جلال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1, 1939.

- **شهاب الدين الحلبي:** محمود بن عمر بن سلمان، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد، العراق ،1980.

- **فخر الدّين الرّازي:** محمّد بن عمر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق، إبراهيم السّامرائي، و د. محمّد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1, 1985.

- **الفراهيدي:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي،كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، العراق، ط01, 1981.

- **القزويني:** الخطيب محمّد بن عبد الرّحمن بن عمرو أبو المعالي جلال الدّين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3, 1993.

- **القزويني:** الخطيب محمّد بن عبد الرّحمن بن عمرو أبو المعالي جلال الدّين، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1, 2002.

- **ابن قيّم الجوزية:** شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لات.

- **أبو عبيدة:** معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمّد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2, 1975.

- **ابن معصوم المدني:** على بن أحمد بن محمد الحسنى الحسينى، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق، 1968.

- **ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، دار صادر صيدا، بيروت، لبنان، ط2, 2003.

- **النويري:** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1, 1997.

- **أبو هلال العسكري:** الحسن بن عبد الله بن سهل، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق د. عزة حسين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2, 1993.

الهوامش:

1ـ ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع 2, ديسمبر 2005, ص 263.

2 - أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ط1, 2007, ج2, ص 153.

3 -نفسه، ج 1, ص397.

4 - ينظر، الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، د. بشير إبرير، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 4 ، ديسمبر 2006, ص 35

5 - ينظر من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 264-265

6 - ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، ج 1, ص 395.

7 - نفسه، ج 1, ص 395

8 - نفسه، ج 1, ص 396

9 - نفسه،ج 1, ص 396

10 - نفسه، ج 1, ص 396

11 - نفسه، ج 1, ص 413

12 - ينظر، الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، د. بشير إبرير، ص 37

13 - أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، دراسات وبحوث في اللسانيات العربية، ج 1, ص 396

14 - نفسه، ج 1, ص 396.

15 - نفسه، ج 1, ص 397-398

16 - نفسه، ج1, ص399-400

17 - ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 263

18 - نفسه، ص 286

19 - ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 275

20 – ينظر، دراسات وبحوث في اللسانيات العربية، أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، ج 1, ص 404-405

21 – ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 289-290

* – على سبيل المثال لا الحصر ينظر، كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، لصاحبه الفقيه أبي الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن الروحي، فقد يهيأ لقارئ عنوانه أنه غير لغوي لكنه كتاب مهم لمعرفة مصدر الأسماء من الجوانب اللغوية، فمثلا الكتاب يجيبك من أين جاء اسم قصي لغة، وقس على هذا المثال.

22 – ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 292

23 – نفسه، ص 289

* – ينظر على سبيل المثال ، الكتاب، سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، مصر، ط1, 1316 هـ، ج 2, ص 426, وكذلك ينظر، ص 422 منه.

24 – أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق د. عزة حسين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2, 1993, ج1, ص 663

25 – ينظر على سبيل المثال كل هوامش تحقيق كتاب: كفايَة المتحفّظ في اللغة، ابن الأجْدَابي، تحقيق د.السائح علي حسين، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإسلامية، طرابلس الجماهيرية الليبية، لات، حيث عمد المحقق اختصارا لكل عناوين الكتب المعتمدة في التحقيق فمثلا يضع، مف، مش،مو، موا،أ–ز، أ– س، ...، وهو يعني مف : المفضليات للضبي، مش: مختارات شعراء العرب لابن الشجري، مو: الموشى لمحمد بن إسحاق الوشاء، موا: الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي، أ–ز: الأمالي للزجاج، أ– س : أساس البلاغة للزمخشري، والباحث لا يستطيع الوقوف على هذا بأي حال من الأحوال.

* – قصدنا الأخطاء المطبعية، ولم نقصد الأخطاء العلمية، فالمشروع يهدف لحيازة الكتب التراثية بمتنها كما هي، وعلى الباحث المتمكن الوقوف على هذه الأخطاء العلمية، ويجعلها في صلب بحثه، وله أن يرد عليها، وإن رأى بأنها أخطاء علمية وجب دفعها بالحجة والبينة، وبما يتبين له من آراء علمية أخرى، ومن هذه الأخطاء التي يمكن أن تكون في الجوانب الصرفية أو النحوية، مثلا : « قال الأزهري:كان في تميم امرأة كذّابة أيام مسيلمة المتنبي فتنبأت هي أيضا،واسمها سجاح، وخطبها مسيلمة وتزوجته ولهما حديث مشهور»، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر صيدا، بيروت، لبنان، ط2, 2003.مادة سجح، فامرأة كذابة الأصح لغة أن تكتب أو تنطق «امرأة كذوب»، وهو الأصحّ، لأن المؤنث من صيغة فعّال هو

على وزن فعول، ولا يمكن إدراج هذا في الأخطاء المطبعية لأننا نظرنا في أكثر من طبعة لهذا الكتاب ووجدنا الأمر نفسه، وقد يقول القائل كيف للأزهري وابن منظور أن يقعا في خطأ مثل هذا، فنجيبه بأمرين الأول: هو أن لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة، وثانيا قد لا يكون الخطأ خطأ الأزهري أو ابن منظور إنما هو خطأ وقع فيه من كتبوا المخطوط، قبل تحقيقه وطباعته، والمحقق لم ينتبه له، وكلا الأمران شائعان لا ينكرهما أحد.

26 – ينظر على سبيل المثال، كفايَة المتحفّظ في اللغة، ابن الأجْدَابي، ص 147, حيث جاء « والدر : صغار النمل » والأصح والذر وليس والدر، وهو خطأ مطبعي.

* مثل أن يجد الباحث جملة: سجحت الحمامة، فيقول:بأن الأصح سجعت، ويذهب إلى أنه خطأ مطبعي، وقد وضعوا حرف الحاء مكان العين، وكذلك لو وجد الباحث جملة مدهه بشعر، فيقول بأن الأصح مدحه بشعر، ويقول بأنه خطأ مطبعي فوضعوا الهاء مكان الحاء، ولكن في اللغة يقال:«سجحت الحمامة وسجعت على حد سواء»، ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مادة سجح، وكذلك في اللغة يقال: «مدهه أو مدحه على حد سواء»، ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مادة مده، وعند هذا لا يجب أن يصحح الإنسان على حسب ما يعرف بل بما أقره العلماء، وبما سارت عليه اللغة.

27 – سورة المطففين، الآية 28.

28 – ينظر، البرهان في علوم القرآن، الزّركشي: بدر الدّين محمّد بن عبد الله، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، لات، ج3, ص 338.

29 – ينظر، مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمّد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2, 1975, ج1, ص 14, وكذلك ينظر، الكليات، أبو البقاء الكفوي: أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق، د. عدنان درويش ، ومحمد المصري، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2, 1993, ص 266, وكذلك ينظر، كشاف اصطلاحات الفنون، التّهانوي: محمد بن علي بن علي بن محمد الحنفي، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1, 1998, ج3, ص 126.

30 – السّكاكي: أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1, 2000, ص 697.

* – لايوجد ما يقابلها باللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية.

31 – سورة النّمل الآية 22.

32 – فخر الدّين الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص 66. وكذلك ابن قيّم الجوزية، الفوائد

المشوّق إلي علوم القرآن، وعلم البيان، ص 226, وكذلك ابن الزّملكاني، التبّيان في علم البيان، تحقيق د. أحمد مطلوب، و د.خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ط1, 1964, ص 132.

33 – القزويني: الخطيب محمّد بن عبد الرّحمن بن عمرو أبو المعالي جلال الدّين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3, 1993،، ج6, ص 140, وكذلك، ابن رشيق، العمدة، ج2, ص 370

× – في حدود علمنا لا يوجد مصطلح مقابل له باللغة الفرنسية أو الإنجليزية

34 – ابن منظور، لسان العرب، (مادة ضمن)، وينظر معجم العين ، الفراهيدي، (مادة ضمن)

35 – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 353, وكذلك ، القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1, 2002, ص 359

36 – ينظر، المثل السائر، ابن الأثير، ج2, ص 215–219, وكذلك ينظر، تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، ص 268, وكذلك ينظر، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي بن عمر بن سلمان، تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد، العراق ،1980, ص 249, وكذلك ينظر، نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1, 1997, ج 7, ص 131, وكذلك ينظر، مفتاح العلوم، السكاكي، ص 201, وكذلك ينظر، خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ص 239, وكذلك شرح عقود الجمان، جلال الدين السيوطي، ص 112

37 – ينظر، خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ج1, ص 392, وكذلك ينظر، تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، ص 349

38 – ينظر، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي: أبو محمد القاسم، تحقيق علال الغازي، الرباط، المغرب، 1980, ص 269

39 – ينظر، العمدة، ابن رشيق، ج1, ص 311

40 – ينظر، خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ج1, ص 239, وينظر كذلك، أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني: على بن أحمد بن محمد الحسنى الحسينى، تحقيق شاكر هادي شكر، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق، 1968, ج4, ص 5

41 – ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 291–292

42 – ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، ج1 ص 414

43 – نفسه، ج1, ص 414, الهامش

44 – ينظر، أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، أ.د.عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع 7, جوان 2008, ص 19

45 – ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 264

46 – أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2, ص 153

47 – نفسه، ج2, ص 153

48 – ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 26

49 – ينظر، الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، د. بشير إبرير، ص 37

50 – ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 268–269

51 – ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، ج 2, ص 153

52 – ينظر، من أخبار مشروع الذخيرة العربية (أو الإنترنت العربي)، مجموعة من الخبراء، ص 264–265

53 – نفسه، ص 268

54 – نفسه، ص 267–268

55 – أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2, ص 155

56 – ينظر، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، أ. د. عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع2, ديسمبر 2005, ص 21

57 – ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، ج2, ص 156

58 – نفسه، ج 1, ص 400–402

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية ـ الجزائر
2011
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
- Algérie -
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (021) 84 85 98 / 84 86 11

الإيداع القانوني : 2005–1513
ISSN : 1112-65-23 ردمد